

الأب لويس شيخو

الطاقة الارونية
و
الرadianية اليسوعية
بين القرنين السادس عشر والسابع عشر

منشورات دار المشرق
بيروت

**الطائفة المارونية
و
الرهبانية اليسوعية**
بين القرنين السادس عشر والسابع عشر

280
Sh555t

الأب لويس شيخو

الطاولة الارونية
 و
 الرهابانية الياسوعية
 بين القرنين السادس عشر والسابع عشر

نشر تباعاً في مجلة المشرق
 وألحق بثلاثة فهارس

طبعة ثانية

٢٠٠٣

المركز الإسلامي الثقافي
 مكتبة سماحة آية الله العظمى
 السيد محمد حسين فضل الله العامة
 الرقم ٩٦٩٢٦



© جميع الحقوق محفوظة، طبعة ثانية ٢٠٠٣

دار المشرق ش.م.م.

ص.ب. ٩٤٦ - ١١

١١٠٧ - ٢٠٦٠ رياض الصلح، بيروت

لبنان

<http://www.darelmachreq.com>

ISBN 2-7214-1113-6

التوزيع: المكتبة الشرقية

الجسر الواطي - سن النيل

ص.ب: ٥٥٢٠٦ - بيروت، لبنان

تلفون: ٤٩٢١١٢ - ٤٨٥٧٩٣ / ٤ / ٥ (٠١)

فاكس: ٤٨٥٧٩٦ (٠١)

Email: libor@cyberia.net.lb

مقدمة الناشر

أكتب العلامة الأب لويس شيخو اليسوعي في حياته الأدبية الحافلة بالإنجازات، على درس تاريخ الكنيسة المارونية التي عاش بين ظهرانيها سنوات طويلة، فاطلع على مآثرها وعرف أبناءها وأحبارها وخدمهم باحترام ومحبة. ومن المؤلفات التي خلفها وجاءت تكريساً لعلاقته المميزة هذه بالموارنة، كتاب الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية في القرنين السادس عشر والسابع عشر.

نشر شيخو هذا الكتاب مقالات ظهرت تباعاً في مجلته المشرق بدءاً من منتصف العام ١٩١٤، ثم طبعها على حدة في كتاب أبصر النور العام ١٩٢٣ وصدره بالعبارة التالية: «تقديمة الإكرام والولاء من الرهبانية اليسوعية إلى فخر تلامذتها القدماء غبطة مار إلياس بطريرك أنطاكية وسائر المشرق».

والى اليوم، ولمناسبة انعقاد المجمع البطريركي الماروني في مطلع شهر حزيران/يونيو ٢٠٠٣، يطيب للدار المشرق، ناشرة مؤلفات اليسوعيين في الشرق الأدنى، أن تعيد طبع مصنف الأب شيخو ليكون شاهداً على أمجاد الكنيسة المارونية وسعيها المستمر إلى التجدد، وعربون بقاء الرهبانية اليسوعية على وفائها لكنيسة مارون، وإنه ليسعدنا أن ترفع بدورها هذه الطبعة «تقديمة إكرام وولاء من الرهبانية اليسوعية إلى فخر تلامذتها القدماء غبطة مار نصر الله بطرس صفير بطريرك أنطاكية وسائر المشرق» الحالي^(١).

بيروت، في ١٥ أيار ٢٠٠٣

(١) أعدنا تنضيد الكتاب محافظين على نصه كاملاً، سوى أنها أضفتنا بعض علامات الرقف لتسهيل القراءة، وصححنا ثلاث غلطات طباعية أو أربع لا تخفي على اللبيب. واضطررنا، أمانة للدقة العلمية إلى ترك عبارات كانت رائجة في مطلع القرن الماضي تخدش العلاقات المسكوتية، وقد تخطّتها الزمن اليوم والحمد لله.



تقدمة الإكرام والولاء
من الرهبانية الباسوعية إلى فخر تلامذتها القدماء

غبطة مار إلياس بطرس المخنثك

بطريرك انطاكيه وسائر المشرق

توضية

طالما تاقت النفوس إلى معرفة أحوال الطوائف الشرقية في الأجيال الغابرة لما وراء ذلك من الفوائد كشفاً للنقب عن الحقائق التاريخية ودحضًا للثئم التي يختلفها قوم ليس لهم من العلم إلا قشره. لكن دون بلوغ المني عقبات شئٌ لـما طمسه كوارث الدهر من الآثار وما أبادت يد الأيام من المصنفات الخطيرة.

على أنَّ كثيرين من أرباب البحث قد قاموا في هذه الأعوام الأخيرة ينتقدون عن أخبار الشرق النصراني في الكتب القديمة ويقلّبون ما حوتةُ المكاتب من الرقوق والصكوك عسى أن يقفوا على ما تكُنَّه من المعلومات عن بلادنا فيستخرجونه من مطاميرو.

ومنْ كُلِّفوا بجمع تلك الآثار بعض آباء رهبانِيَّتنا اليسوعيَّة نخصُّ منهم بالذكر الأب بطرس مرتين، صاحب تاريخ لبنان، المتوفى سنة ١٨٨٠ والأب لويس كسافاريوس أبوجي المتوفى سنة ١٨٩٥ ، فإنهما كانا سعيًا باستنساخ عدَّة مخطوطات وجداها في رومية في خزائن مكاتبها لا سيَّما مكتبة رهبانِيَّتنا حيث تُحفظ آثار جليلة من كتابات المرسلين الأقدمين الراقية إلى القرن السادس عشر. وكانت نيتها أن يصنفَا تاريخًا للشرق الكاثوليكي ولرسالتنا السورية القديمة لو لا أنَّ مرضًا مزمنًا حال دون رغبتهما فماتا وبقيت مجموعاتهما مدفونةً.

على أنَّ الله كان دعا إلى رهبانِيَّتنا شابًا في مقتبل العمر من أسرة كريمة

حلبيّة نريد به فقيد رسالتنا في العام الماضي الأب أنطون رياط. فهذا إذ اطلع قبل سيامته كاهناً على تلك الآثار الباقية تعيش الدروس التاريخية وأخذ يسعى في توفير تلك المادة ليقوم بالعمل الذي عجز عنه سلفاه، وقد ساعدته على تحقيق مرغوبه العناية الإلهيّة ورؤساء رهبانيّه فإنّ ما وجده فيهم من التنشيط قولًا وفعلاً وطأً أمامه العقبات فأخذ يكثُر جيشه ويسهر عينه رجاءً أن يحصل على ما خزنته المكاتب الدوليّة من تلك الآثار، فلم تذهب مساعيه سدى لأنَّه اطلَّ في مكاتب باريس وخزائن الدولة الفرنسيّة في وزاراتها الخارجيَّة والبحريَّة والاستعماريَّة على أضابير مضبوّرة فيها السجلات والرسائل والتقارير وتفاصيل الرحيل للمرسلين والسفراء والقناصل كتبوا للأخبار الرومانين أو لملوكهم ورؤسائهم وهم لم يقصدوا من كتابتها سوى إطلاعهم على حقائق الأمور التي شهدوها بالعيان. فنقل منها كثيراً ثمَّ باشر بنشرها في لغاتها الأصلية في كتابه المعنون بالأثار الخطية لتاريخ الكنائس الشرقيَّة الذي وصفناه وصفًا واسعًا في المشرق سنة ١٩٠٧ (١٠ : ٧٤٥ - ٧٥١) ويبيّنا عظيم شأنه. وقد ظهر من هذا التأليف خمسة أقسام يبلغ مجموعها نيتاً وألف صفحة. والأمل معقود على متابعة نشرباقي منها بهمة أحد آباء كليتنا.

وكان المرحوم الأب أنطون رياط يريد أن يستخلص من هذه الكتابات المتفرقة كتباً شنيَّاً ينشرها بالعربيَّة وكتب في ذلك فصلاً تمهيدياً تحت عنوان «العلاقات بين الشرق والغرب» (في المشرق ١٤ [١٩١١] : ٥٤٨) فاجأه المنون قبل إتمامه. ولدينا من أنمار مساعيه عدَّة أوراق متفرقة تدلُّ على أنه كان متعرضاً ل بتاريخ بلاده ينقب عن كلَّ خفاياه ويروم رفع شؤون وطنه.

وكَّنا نحن إخوته في الرهبانية ولا سيما الفقير راقم هذه الأسطر نُهْض همَّه وندفعه إلى مواصلة أبحاثه لثلاًّ تبقى كنوزه الأدبية مخفية، وإذا قضى الله بفراقه لم نشاً أن تضيع تلك المآثر الجليلة فجمعناها وأضفنا إليها قسمًا كبيرًا مما حظينا به بتفتيشنا الشخصي في مكتبتنا الشرقيَّة أو في خزائن بعض الخواصِّ.

ولمَّا كانت هذه الآثار تستغرق صفحات عديدة بل كتباً برمَّتها، قصرنا

الآن بحثنا على تاريخ الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية في القرنين السادس عشر والسابع عشر وهو فصل جليل من تاريخ الشرق المسيحي لا يزال معظمه مجهولاً.

الطائفة المارونية قبل القرن السادس عشر

منذ دخل الصليبيون أصقاعنا السورية فاستوطنوا السواحل ومدوا سيطرتهم على قسم من البلاد الداخلية، انضم إليهم الموارنة وتوثقت بينهم روابط الوداد المبنية على وحدة الدين. ومذ ذاك العهد ألف بن مارون طريق رومية مركز الوحدة الكاثوليكية وصارت تدور بين الكرسي الرسولي والطائفة المارونية المراسلات المتبادلة والكتابات الرسمية التي لا يزال قسم منها في سجلات الدار البطريركية الفخيمة أو في خزائن الفاتيكان، يرقى أقدمها عهداً إلى إينوكتن (زخيا) الثالث الذي استدعى سنة ١٢١٣ بطريرك الموارنة إرميا العمشيتي (١٢٠٦-١٢٣٠) لحضور المجمع اللاتراني الرابع ووجه براءة إلى البطريرك المذكور يمنحه مع شعبه فيها عدّة إنعامات^(١).

وتواترت بعد ذلك كتابات الأحبار الرومانيين إلى الموارنة من إينوكتن الرابع (١٢٤٣-١٢٥٤) في الستين ١٢٤٣ و ١٢٤٦ وبإثره من إسكندر الرابع^(٢) (١٢٥٤-١٢٦١) سنة ١٢٥٦ ثم انقطعت المكاتبات نحو متى سنة لما أصاب الشرق من البلاء بغزوات المغول ثم باستيلاء الدول المصرية على الشام. وكذلك الكرسي الرسولي بقي عدّة سنين مبتلى يمتحن شئ لانتقال الباباوات إلى فرنسا ولانقسام الممالك المسيحية في طاعتها لجبرين أعظمين لم يعرف أيهما الشرعي.

ثم استوففت المخابرات بين الطائفة المارونية والأحبار الرومانيين بواسطة المرسلين الفرنسيين حافظي الأراضي المقدسة كفرا جوان وفراغريفون ثم

(١) أطلب مجمع البلاوات المارونية الذي نشره باللاتينية حضرة القنطرية المنسي (*Ballarium Maronitarum*, p. 1-9).

(٢) وفي تاريخ الديوبطي (ص ١١١) يدعى «إسكندر السادس» وذلك غلط طبيعي واضح.

فرا سوريانوس^(٣)، وذلك على عهد أو جانيوس الرابع في كتاب تاريُّه سنة ١٤٢٩ إلى البطريرك يوحنا الجاجي ذكره الديوبيهي في تاريخه ولم نجد صورته في مجموع البولات. ثمَّ تولت البراءات الرومانية إلى بطاركة الموارنة الأجلاء بعد أو جانيوس الرابع من خلفائه نيكولا الخامس (١٤٤٧-١٤٥٥) وكالسطوس الثالث (١٤٥٨-١٤٥٥) في السنتين ١٤٤٧ و١٤٥٥ إلى البطريرك يعقوب الحدثي^(٤). ثمَّ بولس الثاني (١٤٦٤-١٤٧١) سنة ١٤٦٩^(٥)، وسكسطوس الرابع (١٤٨٤-١٤٧١) سنة ١٤٧٥ إلى البطريرك بطرس بن حسان. وهي آخر البراءات البحريَّة في القرن الخامس عشر. أمَّا في القرن السادس عشر فتوقفت تلك المناشير البابويَّة فأحصى منها جامع البولات المارونيَّة عشرين براءة من لاؤن العاشر إلى غريغوريوس الثالث عشر الذي أولَّ كلامنا عنه في مقالاتنا، وكلُّها إلى البطريركين شمعون بن حسان ابن أخي البطريرك بطرس وخلفه (١٤٩٢-١٥٢٤) ثمَّ موسى بن سعادة العكاري (١٥٢٤-١٥٦٧).

على أنَّ هذه البراءات التي تدلُّ كلُّها على سبق الموارنة في خضوعهم لخلفاء هامة الرسل، لا تدور غالباً إلَّا على التماس درع التثبيت من الأخبار الأعظميين، وإنَّما تبيَّن رغبة الشعب الماروني إلى مَن يسعى في شؤونهم الروحيَّة ويصونهم من البدع المحدثة بهم لثلاً تختق تلك الوردة العطرة أشواك الأضاليل. فيظهر من أجوبة الكرسي الرسولي انعطاف رؤساء الكنيسة نحو أولئك الأبناء الأحباب. فتارةً يمنعون السادة бطاركة الإنعامات الخاصة وتارةً يوزرُونهم بالقصاد الرسوليَّن للاهتمام بأمورهم وإصلاح ما لعلَّه طرأ عليهم من الخلل كما يلوح من براءة لاؤن العاشر بخصوص الميرون (مجموع البولات ص ٤٧). وحيثَا يحلُّون مشاكلهم التي عرضوها عليهم في المعتقدات الدينية كما ترى في براءة بولس الثاني إلى بطرس بن حسان حيث

(٣) راجع في المشرق (١٢ [١٩٠٩]: ٨) مقالتنا عن تاريخ القضاة الرسوليَّة في سوريا.

(٤) وهو يدعى في مجموع البولات (Bull. Maronit., 17 et 18) باسم بطرس أو يعقوب بطرس لأنَّ اسم بطرس كان يعمُّ كلَّ البطاركة.

(٥) كذلك في مجموع البولات (ص ٢٥) وهو الصواب وفي الديوبيهي (سنة ١٤٦٤).

يوضح له دستور الإيمان الكاثوليكي بخصوص الثالوث الأقدس وأقوام السيد المسيح وطبيعته ومشيتيه مؤيداً كلامه بآيات الإنجيل ونصوص الآباء الأقدمين (مجمع البولات ص ٢٢). ييد أنَّ الأبحار الرومانيين ومثلهم البطاركة الماروئيون كانوا يودون لو تكون العلاقات بين رومية ولبنان أوثق فينال الموارنة من معين الكنيسة الرومانية زيادة نمو ورقى، لولا أنَّ المخاطر العديدة التي تواترت في ذلك الزمان كالحروب المتواالية بين الأتراك ودول الفرنج وتجلُّ القرصان في البحر المتوسط كانت تعوقهم عن تحقيق أمانיהם، حتى إنَّ الذين كانوا يرسلون إلى رومية ليطلبوا للبطاركة الجدد درع الرئاسة لم يمكنهم العود إلى الشام إلَّا بعد ستين وأكثر. فكان يحصل بسبب هذه العوائق عدَّة أضرار تفاقم بطول الزمان فيصعب بعد ذلك تلافيها ولا سيَّما أنَّ الموارنة كانوا يجهلون اللغة اللاتينية لغة رومية الرسمية فيحتاجون إلى تراجمة وربَّما وقع بذلك سوء تفاهم. ومن ثُمَّ كان يرى بطاركة الموارنة حاجة الطائفة إلى معلِّمين يدرُّسون اللغات الأوروبيَّة وقد أرادوا سدَّ ذلك الخلل بإرسال بعض الأحداث إلى رومية ليتعلَّموا هناك ثُمَّ يعودون إلى وطنهم فيهدِّبون أبناء جلدتهم كما صنع البطريرك شمعون الحدي إذ أرسل سنة ١٥١٥ راهبين إلى رومية ليتعلَّما اللغة اللاتينية فلم ينجحا، وكذلك البطريرك موسى العَكاري طلب من البابا بولس الثالث ستَّة من الرهبان الفرنسيسيين ليتعلَّموا في لبنان اللغة اللاتينية لبعض أحداث الموارنة فلم يتمَّ مرغوبه.

الرهبانية اليسوعية والشرق

إلَّا أنَّ الله في تلك الأثناء كان أرسل إلى كنيسته عضداً جديداً يإنشاء الرهبانية اليسوعية على يد شهم من أبناء الدولة الإسبانية اسمه إغناطيوس دي لويلا. فهذا الرجل العظيم، إذ كشف له الرب بطلان المجد العالمي، وقف نفسه لخدمة الكنيسة لا سيَّما أبناء الكنائس الشرقية، ولمَّا جمع أوَّل رفقةه العشرة ليسعوا معه في خلاص الفوس دعاهم إلى السفر معه إلى بلاد الشام والأراضي المقدَّسة، لكنَّ حرب البنادقة مع الأتراك حالت دون رغائبهم وبقوا في إيطاليا متقطعين في خدمة أهلها تحت رعاية رؤساء الكنيسة متربَّين

الفرصة لإخراج نيتهم إلى حيز الوجود.

وما لبث الحبر الأعظم بولس الثالث أن انتدبهم إلى معاونة الشرقيين وردّ الضالّين منهم إلى الحظيرة البطرسية فأرسل أولاً فرنسيس كسافاريوس إلى الهند واليابان والصين فكان أول رسول الشرق الأقصى (١٥٤١-١٥٥٢). ثمّ عهد البابا عينه رسالة الجبعة إلى جمعيّة يسوع سنة ١٥٤٧ فدخلها المرسلون وتتابعوا فيها مدة نحو مائة سنة يشرّون فيها بالإيمان الكاثوليكي ويذلون في ارتداد أهلها إلى وحدة الكنيسة كلّ عزيز حتى مات منهم كثيرون صبراً واستشهد غيرهم ومن جملتهم أحد أبناء وطننا وهو المكرّم الماروني الأب إبراهيم جرجس اليسوعي تلميذ مدرسة الموارنة في رومية كما سترى. ولا جرم أنَّ ازدهار الكلّكـة في أيامنا بين الجبعة يُحسب كثمرة دماء أولئك الشهداء الأبطال.

ثمَّ قام بعد بولس الثالث خلفه يوليوبولس الثالث فرأى ما كان عليه الشرق الأدنى من الحاجة إلى غيرة المرسلين ومساعدة المسيحيين وعلم أنَّ أقرب طريقة إلى ذلك إنشاء المدارس في تلك الجهات فحرر براءة تاريخها ٣ تموز سنة ١٥٥٣ أولها «*Cum præsertim*» أعلن بموجتها أمره للرهبانية اليسوعية بأنْ تفتح ثلاثة مدارس في الشرق، أولها في أورشليم والثانية في القسطنطينية والثالثة في قبرص وذلك كما يقول الحبر الأعظم «لترميم جدران الكنائس الشرقيّة وإعادة رونقها القديم»^(١). لكنَّ موانع كثيرة اعترضت مقاصد يوليوبولس الثالث، أخصّها ما في إقامة مدرسة في القدس من المخالف للانعامات سابقة كان الكرسي الرسولي خولها رهبان القديس فرنسيس، منها ألا يقيم غيرهم في الأراضي المقدّسة.

على أنَّ الله لم يسمح بوفاة القديس إغناطيوس إلَّا بعد أن متنَّ أبصاره برؤيه أحد أبناء الشرق الذي كان الله أعدّه لينوب عنه في خدمة الطوائف

(١) وهذه البراءة كانت أخذتها بد الصياع فوجدها الأب هـ. لامنس في مكتبة الكونت روستي الشهيرة في فيينا عاصمة النمسا نشرها في مجلة الأبحاث (*Etudes*, 1897, janvier).

الشرقية ولا سيما الموارنة الذين استحقّ بأن يدعى برسولهم في ذلك القرن، نريد به الأب يوحنا المعمدان إيليانو المعروف عند الشرقيين بالأب جوان باطشنا. ولا بدّ لنا قبل الخوض في موضوعنا من تعريفه وتلخيص ترجمته.

الأب يوحنا إيليانو أول مرسل يسوعي إلى الموارنة

ولد الأب يوحنا إيليانو سنة ١٥٣٠ في الإسكندرية^(١) من أبوين كريمي النسب من الجنس اليهودي. وكان أبوه تاجرًا إسبانيًا استوطن الصقع المصري واقترن بفتاة كانت ابنة لأحد مشاهير علماء اليهود في عصره يدعى إلياس اللاوي (Elijah Levita) الذي ولد في نوشتات (Neustadt) سنة ١٤٦٨ وتوفي في البندقية سنة ١٥٤٧ بعد أن اشتهر بالتعليم والتأليف حتى لقب بالمتبحّر (ALKIIM CHBHOR) وال نحوبي (חַפְרָקָם) واللغوي (חתְבָדָה). قال فيه ريشار سيمون^(٢): «إلياس اللاوي أعظم الكتاب المتقددين بين اليهود برأز عليهم جميعاً في علم اللغة». وقال سكاليجر معاصره (Scaliger, Epist. 62): «إلياس اللاوي وحيد هذا العصر وسيد العلماء الباحثين». وقال رينان^(٣): «قد فاق إلياس اللاوي على العلماء الملقبين بالكمخي وأنّت شهرته شهرتهم لأنّه بلغ الآداب العبرانية والتلمودية أقصى درجات الرقي في زمانه وعنه أخذ كثيرون من النصارى علم العبرانية».

وكان إلياس اللاوي مع علمه وسعة معارفه كريم الأخلاق متزهاً عن التعصب طالباً للعلم الصحيح ومن ثمَّ ألقى عن عانته كثيراً من التقاليد الصيانية الراجحة في كتاب التلمود وبعض أسفار اليهود ولذلك أصبح صديقاً لكثير من المسيحيين ووكل إليه أصحاب الرتب الكنسية تعليم اللغات الشرقية فذرّسها في بادوة ورومية وفي إسني من أعمال صواياها وفي البندقية حيث توفي^(٤). ولتقرّبه

(١) أطلب دائرة المعارف اليهودية (The Jewish Encyclopedia II, 501).

(٢) في كتاب نقد المهد العتيق (Richard Simon: *Hist. Critique du N.T.*, p. 177).

(٣) في كتاب تاريخ اللغات السامية (Renan: *Hist. des langues sémitiques*, 1863, p. 174).

(٤) راجع دائرة المعارف اليهودية (The Jewish Encyclopedia VII, 46-49)، ثم تاريخ المؤلفين =

من النصارى عزاه قوم من آل نحلته إلى المروق من دينه بل ذهب المؤرخ ألسيد (Alsted) إلى أنه مات نصراً، والله أعلم.

وُدُعِيَ الأب إليانو باسم جده إلياس ولما مات أبوه وهو صغير أخذه جده إلياس اللاوي وعُنِي بتراثه وتربية أخيه الكبير متعمِّزاً بتنقيهما عن فقده لأولاده. وإذا وجد حفيده إلياس متوفِّد الذهن راغباً في العلوم، أقبل على تعليمه أملاً أن يكون يوماً شرقاً لعائلته وفخرًا لمملته الإسرائيلية، فتجوَّل معه في كثير من البلاد كالإيطالية وألمانيا فتعلَّم الشاب عدَّة لغات كالإسبانية والطليانية واللاتينية والألمانية ولا سيما العبرانية التي برع فيها حتى استظرف الكتاب المقدس في أصله العبراني. وقد سهلَت له معرفته للغة أجداده درس اللغتين السريانية والعريَّة حتى تمكن كما سُنِّي من قراءة كتب العرب والسريان والأقباط دون صعوبة.

ولما كانت سنة ١٥٥٧ عاد إلياس اللاوي إلى البندقية فاستأذنه حفيده في الذهاب إلى مصر ليروي أقاربه ثمَّ يزور القدس الشريف وبعض البلاد الشرقية فسمح له جده بذلك وعاد الشاب إلى أهله وسكن بينهم ستين فدرس اللغة العريَّة وتكلَّم بها بين مواطنه ثمَّ طاف بلاد فلسطين وعاين هناك زوار النصارى للقدس الشريف الذين كانوا يقدمون من سائر أقطار العالم ليغفروا جاههم في ثرى الأرضي المقدسة بحياة وموت يسوع الناصري. فكان إلياس يُعدُّ فعلهم هذا حمَّاً فلا يرى في يسوع إلَّا مسيحاً دجالاً.

وبينما هو يتجوَّل هناك إذ وردت عليه رسائل من أهله ومن المجمع الإسرائييلي في مصر تعلمه بتنصر أخيه البكر في البندقية وتحضُّه على السير إلى تلك المدينة ليُرِدَّ إلى دين آبائه. فامتعض الشاب إلياس لهذا الخبر وأبحر إلى إيطاليا على طريق القسطنطينية فاجتمع بأحد أعمامه وهو الطبيب سلمون الأشكنازي^(٥). ثمَّ ركب السفينة من الأستانة إلى البندقية.

= العريَّة (Rossi: *Dizion. Stor. degli Autori Ebrei*, I, 108).

(٥) راجع تاريخ الدولة الشماليَّة لهامر (B. von Hammer: *Hist. Ottom.* II, 279). ونظن أنَّ أصحاب دائرة المعارف اليهودية (*The Jewish Encycl.*, II, 500) نسبوا الأب إليانو إلى سلمون هذا فدعوه (Giovanni Baptista Salomo Romano Eliano).

فلما رأى أخاه حاول أن يقنعه بكلّ ما لديه من الحجج ببطلان النصرانية لكنَّ الصائد أصبح مصيداً بعد قليل لأنَّ فيتوريو (وهو اسم الأخ بعد معموديَّته) زيف كلَّ حججه وأثبت له بالأدلة التية صحة الدين النصراني. وإذا كان إلياس مستقيم النية يطلب الحقيقة بلا مكابرة، عمل فيه كلام شقيقه وأخذ يدرس العقائد النصرانية ويعاقبها بنصوص الأسفار المقدسة ونبوات الأنبياء. وكان وقتئذ رئيساً على دير البندقية أحد مشاهير الرهبان اليسوعيين وهو يعظ في كنائسها الكبرى فيتقاطر الناس لاستماع كلامه اسمه الأب أندراؤس فروزيوس من تلامذة القديس إغناطيوس، وكان عالماً باللغة العبرانية فأخذ فيتوريو أخيه إلياس إلى الرئيس المذكور الذي رحب به وطيب قلبه وقد ذكر إلياس عن ذاته أنَّه لقي به ملائكة لا إنساناً لما وجده فيه من التقى والعفاف واللطف، فعرض عليه كلَّ ما كان يعني له من المشاكل الدينية فكان الرئيس يحلُّها بما لا يدع له مجالاً للاعتراض. وتزداد عليه إلياس عدة أسابيع حتى يحصل على نور الحق بكلِّ جلاء وزهرن الباطل.

على أنَّ إلياس لم يشا أن ينتصر لخوفه من شر اليهود البناذقة ومن سخط أهله ومكاييد الربَّانين، لكنَّ ضميره كان يكتئب على تأجيل معموديَّته وعرف أسفاف المدينة بحالته فسعى بأن يدخله في دير الآباء اليسوعيين وكتب الأب فروزيوس إلى القديس إغناطيوس فسمح بأن يُقبل إلياس في الدير بصفة ضيف. وبعد شهرين قضاهما في الصلاة والدرس والمناظرة مع الأب فروزيوس طلب باللحاج أن يُضيئ بماء المعمودية فحظي بمرغوبه يوم عيد القديس متى الرسول (٢١ أيلول سنة ١٥٥١) بحضور جمع غير من أشراف البندقية يتقدَّمهم أخوه فيتوريو. فأثرت هذه الحفلة في قلب إلياس أيَّ تأثير فكان يقول إنَّ أبواب السماء فُتحت له وأنَّه يشعر بشيء من سعادة الأرواح السماوية. ولا ضطراً على غيره كان يريد أن يذهب إلى مجمع الإسرائيلىين في البندقية ويشترهم بال المسيح ويدهض أكاذيبهم لو لا أنَّ الأب فروزيوس أشار عليه أنَّه يعمل بالتزدة والفتنة. وقد أبدل إلياس اسمه يوم معموديَّته فسمى مذ ذاك باسم يوحنا المعمدان (جوان باطشنا) وأشار إلى أصله القديم بلقب إيلانو

ونَوَّهَ أَيْضًا بِتَنَصُّرِهِ بِنَسْبَتِهِ نَفْسَهُ إِلَى رُومِيَّةِ فُدُعِيِّ رُومانُو.

وَكَانَتْ تُقْرَأُ وَقَتَنْدَلُ عَلَى مَايَدَةِ الرَّهَبَانِ الْيَسُوعِيِّينَ رِسَالَاتِ الْمُرْسَلِينَ فِي الْهَنْدِ وَالْيَابَانِ وَالْجَبَشَةِ فَكَانَ يَسْمَعُهَا الشَّابُ الْمُتَنَصُّرُ فَتَشَرُّ فِي قَلْبِهِ الرَّغْبَةُ فِي التَّبْشِيرِ بِاسْمِ الْمَسِيحِ فِي أَصْقَاعِ الْشَّرْقِ وَذَلِكَ مَا دَعَاهُ إِلَى أَنْ يَطْلُبَ الْانْضَامَ إِلَى الرَّهَبَانِيَّةِ الْيَسُوعِيَّةِ بَعْدَ قَلِيلٍ. فَعَادَ الْأَبُ فَرُوزِيُّوسُ وَكَتَبَ إِلَى الْقَدِيسِ إِغْنَاطِيوُسَ لِيَسْتَطِعَ رَأْيَهُ فِي ذَلِكَ. وَمَمَّا قَالَهُ فِي رِسَالَتِهِ الْمَحْفُوظَةِ إِلَى يَوْمِنَا إِنَّ الشَّابَ الْمُتَنَصُّرَ مَجْمَلًَ بِصَفَاتِ فَرِيدَةٍ وَبِارِعٍ فِي الْعِلُومِ وَيَعْرُفُ مَا خَلَعَ الْعَرَبَيَّةُ الْلِّغَاتُ الْطَّلَبَيَّةُ وَالْإِسْبَانَيَّةُ وَالْأَلْمَانَيَّةُ وَالْعَرَبَيَّةُ وَالْتُّرْكَيَّةُ وَإِنَّهُ سَكَنَ مَدَّةً فِي الْقَاهِرَةِ وَرَحَلَ إِلَى أُورْشَلِيمَ. فَأَجَابَهُ الْقَدِيسُ بِأَنَّ يَنْظُمَ الشَّابَ فِي سُلُكِ الرَّهَبَانِ بَعْدَ امْتِحَانٍ دَعْوَتِهِ وَثِبَاتِهِ. فَفَعَلَ الْأَبُ فَرُوزِيُّوسُ وَلَمَّا تَحَقَّقَ أَنَّ دَعْوَتِهِ مِنَ اللَّهِ لَمْ يَمَازِجْهَا شَيْءٌ مِّنَ الْغَایَاتِ الْبَشَرِيَّةِ ضَمَّهُ إِلَى رَهَبَانِهِ^(٦).

فَانْضُوَ جَوَانَ بِاطْشَتَا تَحْتَ رَأْيَةِ إِغْنَاطِيوُسَ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ وَبِاِمْتَحَانَاتِ الطَّالِبِينَ بِكُلِّ غَيْرَةٍ لِيُطْبِعَ فِي قَلْبِهِ الْفَضَائِلِ الرَّهَبَانِيَّةِ تَحْتَ نَظَارَةِ رَئِيسِ الْأَبِ فَرُوزِيُّوسَ الَّذِي أَطْرَأَهُ بِكَتَابَاتِهِ مُؤْمِلًا أَنَّهُ سَيَصِيرُ يَوْمًا عَامِلًا نَشِيطًا فِي كَرْمِ الرَّبِّ. وَمِنْ آثَارِ فَضْلِهِ فِي تَلْكَ الْمَدَّةِ سَعَيْهِ فِي إِنَارَةِ الْيَهُودِ الَّذِينَ عَرَفُوهُمْ سَابِقًا وَكَانَ السَّيِّدُ لِيَوْمَانُو أَسْقَفُ الْمَدِينَةِ يَتَّخِذُهُ رَفِيقًا فِي تَبْشِيرِ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ فَرَدًا بَعْضُهُمْ وَنَصَرُهُمْ.

وَفِي ١٧ أَيُّولُوْلَ من السَّنَةِ ١٥٥٢ اسْتَدْعَى الْقَدِيسُ إِغْنَاطِيوُسَ إِلَى رُومِيَّةِ الْأَبِ فَرُوزِيُّوسَ لِيَجْعَلَهُ رَئِيسًا عَلَى الْمَدِيرَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ الْمُنْشَأَ حَدِيثًا، فَسَافَرَ وَاسْتَصْبَحَ مَعَهُ يَوْحَنَّا إِلِيَّانُو لِيَدْرِسَ فِي رُومِيَّةِ الْعِلُومِ الْفَلَسَفِيَّةِ وَاللَّاهُوَيَّةِ فَانْكَبَّ عَلَيْهَا عَدَّةُ سَنَوَاتٍ وَفِي نَهَايَتِهِ رُوْقَى إِلَى درَجَةِ الْكَهْنُوتِ نَحْوَ السَّنَةِ ١٥٦٠، وَكَانَ مَدَّةُ دُرُوسِهِ فِي رُومِيَّةِ لَمْ يَهْمِلْ أَبْنَاءَ جَلْدَتِهِ الْمُوسَوَيِّينَ بَلْ كَانَ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِمْ وَيَعُودُ مَرْضَاهُمْ وَيَحْسُنُ إِلَى الْمُحْتَاجِينَ مِنْهُمْ وَقَدْ أَسْعَدَ الْحَظْظَ عَلَى رَدَّ قَوْمٍ مِّنْهُمْ إِلَى الإِيمَانِ الْمُسْتَقِيمِ.

(٦) إِنَّ بَيْنَ قَوَانِينِ الرَّهَبَانِيَّةِ الْيَسُوعِيَّةِ بَنَدًا يَمْنَعُ دُخُولَ الْيَهُودِ الْمُتَنَصُّرِينَ بَيْنَ أَبْنَاهَا. إِلَّا أَنَّ هَذَا الْقَانُونَ وَضَعَتْهُ الرَّهَبَانِيَّةُ بَعْدَ وَفَاتَهُ الْقَدِيسِ إِغْنَاطِيوُسَ.

وكان أخوه فيتوريو إليانو دخل أيضاً في سلك الكهنة العلمانيين وصار قانونياً وعهدت إليه السلطة الكنسية بفحص الكتب التي تطبع في اللغة العبرانية في كريمونا والبنديقية سنة ١٥٦٧ فرخص بنشر كتابين عبرانيين يدعى أحدهما كتاب الزهر والأخر كتاب الطور. وبهمته جمع ديوان التفتيش الروماني نسخ التلمود وأحرقها لمضامينها الباطلة في ٧ نيسان سنة ١٥٥٩ فنقم عليه اليهود بسبب ذلك.

أما الأب يوحنا فبعد كهنته أخذ يستعد لخدمة الفوس وعهد إليه رؤساؤه تدريس اللغات الشرقية في المدرسة الرومانية، لكن الكرسي الرسولي ما لبث أن استدعاه لخدمة الكنيسة فأرسله برفقة الأب كرستوفور رو드리غس إلى بطريرك الأقباط جبرائيل السابع (١٥٢٦-١٥٦٩) الذي كان بلغ الخبر الأعظم بنائه في الخصوص لسلطانه الشرعي. فسافر الأبون في ٢ تموز سنة ١٥٦١ ولم يعودا إلى رومية إلا بعد ستين. وقد كابد كلاهما من المشاق ما يطول شرحه وكاد الأب يوحنا إليانو يذهب ضحية بعض يهود مصر الذين سعوا بإغراء أمّه أن يقتلوه بحكم الوالي المسلم فلم ينجُ من أيديهم إلا بعد شقّ النفس بوساطة قنصل البنديقية وقوم من التجار الذين دفعوا لخلاصه مبالغ طائلة وأركبوه سفينة سارت به إلى قبرص وكانت تفرق، فنجا الركاب بعد نذر نذره الأب إليانو ووعد بعض الركاب أن يتضروا على يده إذا وصلوا إلى قبرص سالمين فرحمهم الله وأنقذهم من الموت واعتمد غير المؤمنين وبعد قليل أبحر الأب إليانو إلى إيطاليا^(٧).

ومن السنة ١٥٦٣ إلى ١٥٧٧ عهد الرؤساء إلى الأب إليانو بتدريس اللغتين العبرانية والعربية في المدرسة الرومانية مع خدمة الفوس في عاصمة الكثلكة بالوعظ وتوزيع الأسرار، وعني خصوصاً باليهود المقيمين هناك فأثار بعضهم بنور الإيمان، من جملتهم أحد مشاهير ملة إلياس كركوسي الذي

(٧) وينتسبنا عن رواية أعمال الأب إليانو ورفيقه عند الأقباط ما نشره في ذلك المرحوم الأب أنطون رياط في تأليفه الآثار الكتابية في الكنائس الشرقية وهو ينبع على منه صفحة (ج ١ ص ٢٠٨-٢١٤).

عُرف بعد ذلك باسم ميشال غسلاري (Michel Ghisleri) فسعى الأب إليانو مع الكردينال ألكسندرini الذي صار حبراً أعظم باسم بيوس الخامس بتنصير هذا الرجل بعد فك مشكلاته وقد حصل لليسوعي بسبب ذلك سمعة واسعة وكان أعيان رومية يُسرُّون بمصادفته.

وفي تلك الأثناء عزم البابا غريغوريوس الثالث عشر على أن يجدد العلاقات الروحية بين الكرسي الرسولي والموارنة، فأراد أن يوجه إلى لبنان قاصداً رسوليًّا يوفقه على كلّ أحوال الطائفة المارونية و حاجاتها فلم يرَ لذلك رجلاً أجدل بهذه المهمة من الأب يوحنا إليانو فاختاره لهذه السفارة وعزّزه بالتعليمات الضافية لهذا الشأن وكذا فعل الكردينال كرافاتا محامي الطائفة المارونية، وعيّن له رئيس الرهبانية اليسوعية كرفيق رحلته الأب توما راجيو وأزرهما بالإرشادات ليحسنا القيام في عملهما بما أمكنهما من الحكمة.

فاستعدّ الأب إليانو لتلك المهمة بما استطاع من النشاط. وكانت سفارته السابقة إلى بطريرك الأقباط قد حثّته وأوقته على أحوال النصارى الشرقيين. وكان بعد رجوعه من تلك الرحلة لم يزل يكاتب معارفه في الشرق ويتردّد على من يسكن رومية أو يزورها من أهل الشرق فيعدّونه كأحد مواطنיהם ويلتجئون إليه في حاجتهم.

وكان أيضاً قد زاد تضليله باللغة العربية إذ كان رؤساء الرهبانية اليسوعية العاملون كال الأب جاك لثينس خلف القديس إغناطيوس (١٥٦٦-١٥٥٦) ثم القديس فرنسيس دي بورجيا (١٥٦٢-١٥٦٦) ثم إفرزد مركوريان (١٥٧٣-١٥٨٠) انتدبوه إلى تدريس العبرانية والعربية في المدرسة الرومانية اليسوعية التي كان أنشأها القديس إغناطيوس دي لويولا سنة ١٥٥١، فأصبحت بعد عشر سنوات سيّدة مدارس رومية يناهز عدد تلامذتها الألف عدّا كانوا يقصدونها من جميع ممالك أوروبا، وكان يعلم فيها وتنبذ أمثل الرجال كبلرمينوس الدائن الشهرة ولدونات العلامة المفسّر للكتب المقدّسة والكردينال طوليت اللاهوتي وبرينيان البياني وكلافيوس الفلكي، فبقي الأب إليانو بينهم معلّماً للغات الشرقيّة يكاد يجاريهم شهرةً وعلماً، من السنة ١٥٦٥ إلى ١٥٧٧.

ومن آثاره في تلك الحقبة بعض تأكيل عربها أو نشرها لإفاده نصارى الشرق يعدونها اليوم من أعزّ المآثر الطبيعية إذ لم يسبقها في تاريخ الطباعة العربية سوى كتاب صلاة السواعي المطبوع في فانو من أعمال إيطاليا سنة ١٥١٤ بأمر البابا لاون العاشر وكتاب الأصول العربية في اللغة اللاتينية لغليوم بوستل في باريس سنة ١٥٣٨. فلما أنشئت المدرسة الرومانية وترتب فيها درس اللغة العربية سعى اليسوعيون في إنشاء مطبعة صغيرة لنشر بعض نصوص عربية استخرجها أو غُني بطبعها الأب يوحنا إيليانو، أولها اعتقاد الأمانة الأرثوذكسيّة كما تعلّمها كنيسة رومية طبع بأمر قداسة البابا بيوس الخامس سنة ١٥٦٦^(٨). والكتاب على قطع الشمن في ٣٣ صفحة وفي كل صفحة ١٨ سطراً. والثاني كتاب لهداية المسلمين طبع بلا تاريخ في المطبعة الرومانية بالحرف ذاته، هذا عنوانه هذا مصاحبته (هذه مصاحبة) روحانية بين العالمين باسم الواحد منهما شيخ سينان (ستان) باسم الآخر أحمد العالم التي كانت في رجوعهما من الكعبة. نافعة لكل مسلم ومسلمة وهو كتاب منه في المكاتب الأوروبيّة عدّة نسخ مخطوطة تاريخ تأليفه سنة ٩٤٠ هـ (١٥٣٣ م)

والمرجع أنَّ الأب إيليانو كان وجد هذا الكتاب في رحلته إلى مصر فجاء به إلى رومية ونشره. وطبع أيضاً قوانين المجمع التريدينتي بعد تعربيها. كما أنه نقل إلى اللاتينية الشهرين قانوناً عربياً الملحة بقوانين المجمع النيقوري وكان استنساخها في مصر إذ رأى الأقباط يستندون إليها ويعذونها كقوانين شرعية ثابتة. فكان الأب إيليانو أول من عرّفها علماء أوروبياً فجرت بسببها أبحاث واسعة لتأييد صحتها أو نفيها، وكان استعان بنقل هذه القوانين بأسقف الشام الماروني جرجس البسلوقطي الذي كان قدم رومية سنة ١٥٧٧ مع الخوري إقليميس الأهدناني ليطلبها من الكرسي الرسولي درع الرئاسة للبطيريك ميخائيل الرزّي.

(٨) والعنوان هناك بالعربية واللاتينية. وهذا النصُّ اللاتيني كما ورد في المكتبة العربية لشنورر:
Fidei Orthodoxæ brevis et explicata confessio quam Sacrosancta et Romana Ecclesia docet... Romæ, jussu Sanctissimi D. N. Piï V in Collegio Societatis Jesu, anno . MDLXVI (Schnurrer: Bibl. Arabica., p. 236)

سارة الأب إيليانو الأولى إلى لبنان (١٥٧٨-١٥٧٩)

ن كانت هذه الأشغال قد أهلت الأب يوحنا للاختلاط بالشريقيين وللموقوف على حقيقة أمورهم. فلما بلغه أمر الكرسي الرسولي بأن يتقدّم شؤون الموارنة في لبنان، قَبِلَ ذلك بكلّ خضوع واستصحب التعليمات التي أعطاها الكرديتال كرافاً محامي الموارنة له ولرفيقه الأب توما راجيو (T. Reggio) ^(١) باسم الخبر الأعظم ليحسنا التصرُّف في مهمتهما، وقد فصل الكرديتال تلك التعليمات في ٢٣ بندًا تقدّم إلى القاصدين بأن يجريا عليها وتحصّنها بالعيان ويفيدا عنها الكرسي الرسولي لتكون رومية على العلم النافع بخصوص معتقدات الموارنة وتقسيمه في تقدمة الأسرار وتوزيعها وأدابهم وكتبهما الدينية لئلا يكون اندسَ إليها شيء من الأدلة جهلاً أو يمكر بعض المبتدعين ^(٢). وهذه التعليمات تاريخها ٣ آذار سنة ١٥٧٨ وهي في اللغة الإيطالية نشرها العزّوم الأب أنطون رياط عن نسخة مصوّنة في سجلات الرهابية اليسوعية.

وكان سفر الأبوين يوحنا وإيليانو وتوما راجيو من رومية في أواخر آذار من السنة ١٥٧٨ مع أخي مساعد يدعى ماريو أماتو (Mario Amato) وكانتا في رفقة الأسقف جرجس والخوري إقليميس المذكورين اللذين اشتربطا عليهما بعض الشروط لقبول درع الرئاسة وإنما نالا من فضل رومية هدايا ثمينة للسيد البطريرك مع رسالة من قداسة البابا لغبطته. وركبا البحر في البدقة على مركب شراعي للبنادقة في تاريخ ١٦ نisan وكان سفرهم ميموناً فقضوا البحر الأدربيطي ووصلوا في غرة شهر أيار إلى جزيرة كورفو حيث استقامت السفينة عشرين يوماً فأقلعت منها في ٢٢ أيار إلى زانتي إحدى جزر اليونان

(١) ورد اسمه مصححًا في تاريخ الطائفة الماروثية (للدوبيه) (ص ٤٤٢) حيث ذُعِي توما راديوس.

(٢) قال العلامة الدوبيه (ص ٤٤٢ من تاريخ (الطاقة الماروثية) عن القاصدين الرسلين: «وأمرهما (البابا) بفحص ديانة الموارنة والبحث عن صدق صاعتهم وكتبهم ومشاهدتهم وربتهم وعوانسهم وكهنتهم وعبادتهم وكان الاعتماد على النفس جوان باطّيش لأنّه كان رجلاً ذا مكارم وفضل وحكمة غيرها بالعلوم الإلهية والصيغة ماهرًا في اللغة الرومية واليونانية عارقاً بالعربية والكردية».

ومنها سارت إلى قبرص.

وكانت قبرس لم تزل مشخونة بجراح الفتح التركي فإنَّ السلطان سليم الثاني كان عهد إلى مصطفى باشا بحصارها وضربها فظفر بها وأخذها من أهل البدقِّة، ورغمًا عن وعده بالأمان قتل من أهلها في الماغوسة نحو خمسمائة ألفًا بينهم نحو ١٨,٠٠٠ ماروني على ما روى الدويهي في تاريخه (ص ١٧٣) ونحو ٣٠,٠٠٠ على رواية البطريرك بولس مسعد في الدر المنشود (ص ١٦٥).

فبعد ساعات قليلة أرست السفينة عند قبرس ثمَّ توجَّهت إلى طرابلس في أواسط حزيران ١٥٧٨. وكانت طرابلس إذ ذاك الثغر البحري المهم في سواحل الشام، عنده كانت ترسو السفن الأوروبيَّة القادمة من البدقِّة ومن مرسيليا وكان يقيم فيها قنصلان من دوليَّة فرنسا والبدقِّة فتحقَّ كلَّا هما بالمرسلين إذ وقفَا على رسائل خاصة توصي بهم فاستراح الأب إيليانو ورفيقاه مدةً هناك.

وفي تلك الأثناء كان السيد جرجس البسلوقيني والخوري إقليميس الأهدني صعدا إلى قتبين حيث كان المقام البطريركي وأخبرا عمدة الطائفة بما لقياه من الحفاوة لدى الكرسي الرسولي وسلمَا السيد البطريرك الهدايا الثمينة التي تكرَّم بها قداسته والكرديناز كرافقا على الطائفة فوقع ذلك في قلوب الجميع أحسن وقع فاستعدُّوا لاستقبال الوفد البابوي بما أمكنهم من العز والإكرام.

نظر في أحوال الشام عند قدوم الأب إيليانو إلى لبنان

ويحسن هنا أن نذكر بالإيجاز شيئاً عن حالة القطر السوري عند وصول الآباء اليسوعيين إليه أول مرَّة. كانت سوريا في بدء القرن السادس عشر داخلة في ضمن الدولة المصرية فيحكم عليها الحكم باسم مماليك مصر. لكنَّ السلطان سليم الأول ملك الأترالك، بعد انتصاره من إسماعيل شاه ملك العجم، زحف على بلاد الشام فاستولى عليها إثر كسره للجيوش المصرية في

مرج دابق شمالي حلب سنة ١٥١٦. ثمَّ أخذ السلطان بتنظيم سوريا فجعلها أقساماً أو ولايات كان يعيّن عمّالها ليسوسوا أهلها. وتبع خلفاؤه خطّه إلى عهدها. على أنَّ بعد ولايات سورية من الحاضرة كان يشير في قلوب الولاية روح الاستبداد فكانوا يتصرّفون بالرعاة تصرُّف السيد بالعبد وربما حارب بعضهم بعضًا فجعلوا بلاد الشام دار حرب وقتل.

وقد شعر لبنان بهذه الفوضى وقاى أهله شدائداً لا يزالون يذكرونها بالأسف والكآبة. لكنَّ الجبل لم يخضع رأساً لولاية الباب العالي وإنما كان يحكم عليه أمراء مسلمون أو دروز فيخفقون نوعاً على عاتق أهله نير السلطة المطلقة. فكان الحكم في جنوبه للدروز من بيت معن إذ نصب السلطان سليم على جنوبية لبنان الأمير فخر الدين الذي كان أنجده في حربه لدولة المماليك المصريين، فحكم من السنة ١٥١٦ إلى ١٥٤٤ حكماً عادلاً فأحبّه اللبنانيون وجرى على خطّه ابنه الأمير قرقماز (١٥٨٤-١٥٤٤) وحفيده فخر الدين الثاني المعروف بالكبير (١٦٣٥-١٥٨٤). وفي عهد هذين الأخيرين قدم اليسوعيون الأوّلون إلى لبنان كقصّاد الحبر الأعظم. وكان تحت سيطرةبني معن أمراء غيرهم كبني تنوخ الذين حكموا زمناً طويلاً معاملة الشوف وجهات وادي التيم وكان نجمهم قد كاد يأفل، وكبني شهاب الذين خلفوا بني معن فقضبوا بعدهم أزمة الأمر.

أما شمالي لبنان من حدود نهر الكلب إلى جهات حمص وحمّة فكان الحكم فيه لبني عتاف من عنصر التركمان، بسطوا عليه سيطرتهم إلى السنة ١٥٩٠ التي فيها قُتل أميرهم الأكبر محمد عتاف بمكيدة يوسف باشا سيفا الذي عضدته الدولة فصار التدبير إليه وإلى ذريته من بني سيفا الأكراد واستولوا على المقاطعات التي كانت لبني عتاف من نهر الكلب إلى عرقاً وجعلوا مركز ولايتهم في غزير.

وكان معظم الطائفنة المارونية في ذاك القسم الشمالي من لبنان يقطنون سواحله من جونية إلى شمالي طرابلس ومنطعاته الشرقية وأواسطه إلى مشارفه لا سيما مقاطعات الزاوية والجبّة والضنية ونواحي عكار، ويجعل

عددهم كتبه ذلك الجيل أقل من مائة ألف وكان لهم مقدّمون من دينهم يحكّمون عليهم باسم الدولة ويجبون الجبايات المفروضة عليهم كرعاياها.

وممّن أخذوا يصيرون بعض الشهرة في ذلك العهد مشايخ بيت حبيش وبيت الخازن، يُعزى أصل الأوّلين إلى حبيش بن موسى وسيأتي ذكر ابنه أبي منصور يوسف في أخبار القصاص اليسوعيين. وينسب الآخرون إلى الشدياق سركيس الخازن الذي توفي سنة ١٥٧٠ قبل مجيء اليسوعيين بثمانين سنوات ولعله أوّل من سكن كسروان من النصارى، انتقل إلى تلك المقاطعة واثقاً بالعدل الذي كان نشره الأمير منصور العسافني.

أما بطريرك الطائفة المارونية الأنطاكي فكان مركزه في دير سيدة قنوبين شرقي طرابلس في وادٍ عميق بين جبال عالية صعبة المرتفق يُعرف بوادي قاديشا. والدير في أعماقه بين الصخور والأغوار كان قسم منه منقوراً في الصخر الأصم يرقوّن عهده إلى أوائل القرن الخامس للمسيح إذ تشكّل هناك قوم من الحبّاء^(١). وكنيسته على اسم السيدة قدّيمة العهد وهي على شبه مغارّة كلّها منقورة في الصخر. وهناك قبور بعض بطاركة الطائفة. وكان أوّل من سكن هذا الدير بطريرك يوحنا الجاجي انتقل إليه من دير ميفوق فاحتله إلى وفاته (١٤٤٥ +) وسكنه بطاركة من بعده نيقاً وماتي سنة.

أما بطريرك الذي كان جالساً وقتيلاً على الكرسي الماروني الأنطاكي فكان اسمه ميخائيل الرزي وكان قبل ارتقائه حبيساً فلما مات بطريرك موسى العكاري (١٥٢٤-١٥٦٧) عُهدت إليه رئاسة طائفته وإليه أوفد الكرسي الرسولي الأبوين يوحنا إيلانو وتوما راجيو.

بعد أن قضى المرسلان أياماً قليلة في طرابلس واستطاعوا أحوال البلاد لدى الفتنصلين تأهلاً لمواجهة السيد بطريرك فصعدا إلى قنوبين. وقد أخبر الأب إيلانو في رسالته إلى الكردينال كرافا وإلى رؤسائه أنَّ بطريرك ميخائيل

(١) راجع ما كتبه حضرة الأب هـ. لامس عن هذا الدير وأصله في كتاب تربيع الأنصار (ج ١ ص ١١١).

لما بلغه خبر مجيء المرسلين خرج مع إكليروس طائفته وجمهور الشعب إلى ملاقاتهما فرحب بهما وقدّم له الآباء آيات الإكرام والتجلّة فشمل الفرح قلوب كلّ الحضور فكان ذلك اليوم كعيد بهيج توثّقت فيه روابط الحب بين الكنيسة الرومانية وبينبني مارون.

ولما جمعهم النادي البطريركي جعل البطريرك ميخائيل يشكر الحبر الأعظم على انعطافه الأبوي نحو الموارنة ويشّي على قداسته وعلى الكردينال كراهاً مطرداً ما وهباه من الألطاف والهدايا الثمينة التي أتى بها المطران جرجس.

ثمَّ تقدّم الأب إليانو ووضع بين يدي السيد البطريرك البراءة التي وجّهها إليه قداسته اليابا غريغوريوس الثالث عشر فأخذها وجعلها على رأسه إجلالاً وألحَّ على الأب أن يعزّبها له ليفهم مضمونها وأبدى أسفه على عدم وجود ترجمة يمكنهم أن يوقفوه على محتويات البراءات المرسلة إليه. فأجاب الأب يوحنا من وقته إلى طلبة السيد البطريرك وفسّر له البراءات الرسوليَّة التي أتى بها المطران جرجس ورفيقه الخوري إقليميس وهي التي ثبتتها القسّ طويتاً العنسي في مجموعة الboleات المارونية (*Bullarium Maronitarum*, p. 72-70) وتاريخها ١٧ آذار من السنة ١٥٧٧ أعني قبل تعيين الأبئذن اليسوعيين لسفارتهم ببضعة أشهر.

وفي هذه البراءة يشكر الحبر الأعظم غبطة البطريرك على ما صرّح به من إيمان الموارنة وتشبيهم بالكريسي الرسولي في كتابه المرسل على يد المطران جرجس والخوري إقليميس ويؤكّد له أنه يجعل الطائفة المارونية في حمى الكنيسة الرومانية والتقديسين الرسولين بطرس وبولس ثمَّ يحرّض السيد البطريرك على القيام بالأوامر التي أرسلاها الأخبار الرومانيون إينونكت الثالث وأوجانيوس الرابع ولاون العاشر إلى أسلافه ولا سيما بخصوص صلاة التقديس المثلث (*Trisagion*) وتكريس الميرون ورتبة سر التثبيت ومناولة الأطفال قبل بلوغهم رشدهم والزواج بين الأقارب. فبخصوص التقديس المثلث يحتم الحبر الأعظم أن يُحذف من آخر هذه الصلاة ذكر الصليب كما



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِلَهُ الْعَالَمِينَ يَا مَهْمَدَ
يَا عَلِيًّا يَا حَسَنَ يَا زَيْنَ
يَا مُحَمَّدَ يَا مُحَمَّدَ

كان يفعل بطرس القصار لثلاً يُظن أنَّ الصلب وقع على الجوهر الإلهي المثلث الأقانيم. وبخصوص تكريس المironون يريد الحبر الأعظم كما أمر خلفاؤه لاحقاً أن يُصنع المironون من الزيت والبلسم فقط ولا يخلطوه بمادة أخرى كما جرت العادة^(٢). وكذلك سر التثبيت يحتم الحبر الأعظم بأن يمنحه الأساقفة وحدهم ويفرز عن مironون سر العماد. أما الزواج فيعين البابا درجات القرابة التي لا يجوز فيها الافتراض لطالبي الزواج.

ثمَّ قدم الأب يوحنا إيليانو لغبطة البطريرك رسالتين أخريتين الواحدة من يد قداسة البابا غريغوريوس الثالث عشر تاريخها ١٩ شباط ١٥٧٨ والأخرى من الكردينال كرافا. ففي الأولى^(٣) يذكر الحبر الأعظم رسالته السابق ذكرها وثبتتها ثمَّ يعلم السيد البطريرك بأنه يوفد الآباء يوحنا وتوما راجيو ليبلغا غبطته نيات الحبر الروماني ويوصيه بهما ويشنِّي على فضلهما. أما رسالة الكردينال^(٤) فكانت تتضمن عبارات الولاء والوداد لغبطته ويبين له سبب تأخُّر إرسال درع الرئاسة على يد رئيس الأرضي المقدس بسبب ما جرى من الحروب ثمَّ يحضر غبطته على أن يرسل إلى الحبر الأعظم كتاباً جديداً يوقعه الأساقفة ووجوه الطائفة وينفذه إليه هو الكردينال فيعرضه على قداسته فيصيِّر تثبيت البطريرك قانونياً. وممَّا قاله الكردينال كرافا في تلك الرسالة إنَّ البابا يرغب في أن يرسل البطريرك إلى رومية ستة أولاد من الموارنة ليتعلّموا هناك ثمَّ يعودوا إلى وطنهم، وكذلك يشكِّر غبطته على أهدائه للحبر الأعظم أخشاب الأرز اللبناني التي سُرَّ بها سروراً عظيماً.

وفي هذا الكتاب نفسه يشير الكردينال إلى بعض رهبان وأساقفة الطائفة

(٢) قد علق المرحوم رشيد الشرتوبي حاشية على كتاب سلسلة بطاركة الطائفة المارونية للدويهي الذي نشره في أعداد السنة الأولى من المشرق ثمَّ طبعه على حدة (ص ١٤) يؤخذ منها سبب تأخُّر الموارنة عن الإذعان لأمر الباباوات بهذا الصدد.

(٣) تجد هذه الرسالة في مجموع البواز المارونية (Anaissi, BM, 73-74) وقد تصحّف هناك اسم الأب راجير فندعاه (Thomam Beguiml) وفي تاريخ الدويهي (ص ٤٤٢) دُعي راديوس وهو تصحيف أيضاً.

(٤) وهي موجودة بين سجلات الرهبانية اليسوعية في رومية.

الذين كان السيد البطريرك تشكى إلى الكرسي الرسولي من سوء تصرفهم وتسقيفهم غير القانوني فيقول لغبطته بأنه يجب ضربهم بالحرم إن لم يرعوا ويتوبوا^(٥).

فمُرّ البطريرك من الوقوف على مضمون تلك الرسالات ولا سيما البراءة البابوية فصرخ عند سماعها: «ليحيى الحبر الأعظم الذي يحال لي أني أراه وأسمع صوته من خلال هذه البراءة» ثم صرّح برغبته في الإذعان إلى كافة أوامر الكرسي الرسولي وأبدى للأبدين كل شارات الإكرام ورحب خصوصاً بالأب إيلانو لمعرفته باللغة العربية تماماً ولقراءاته الكثيرة وفهمه السريانية^(٦).

وما لبث القاصدان أن تفرغاً لما كان عهد إليهما الأب الأقدس أعني البحث المدقق عن أحوال الموارنة وإيمانهم وكتبهم وطقوسهم وتصريفهم في توزيع الأسرار فقضيا في تلك المهمة اثنى عشر يوماً. لكنهما رأيا بعد قليل أن ذلك الفحص يحتاج إلى معلومات لا يمكن الحصول عليها إلا بعد بضعة أسابيع فاضطرا إلى أن يتظاراها ريثما تنهي لواصل المرسلان عملهما.

فأحبّ الأب إيلانو ورفيقاه الأب راجيو والأخ أماتو أن يقدّسوا تلك الفسحة بزيارة الأرضي المقدسة ليستمطروا نعمه تعالى على مشروعهم وبعد اتفاقهم مع غبطبة البطريرك أبحروا في أواخر تموز من طرابلس إلى يافا. فكان وصولهم إلى القدس الشريف في الليلة المسفرة عن صباح العاشر من آب ١٩٧٨ فزاروا تلك الأماكن التي قدّسها ابن الله ب حياته وموته بكل خشوع وتقى وكان الأب يوحنا أحسن دليل لرفيقيه بعد مجده السابق إلى أورشليم إذ كان يهودي النحلة.

صرف الزوار شهراً في تلك الرحلة القدسية ساعين طاقتهم في التبرُّك بآثار

(٥) تجد تفاصيل أخبار هؤلاء العصاة في تاريخ الطائفة للدوبيهن (ص ١٧٥).

(٦) راجع تاريخ الرهبانية اليسوعية للمؤرخ المدقق الأب سكيني: F. Sacchini *Hist. Societatis Jesu*, Pars 4^a, L., VIII.

السيد المسيح على الأرض. ثم أقفلوا راجعين إلى لبنان فرجع الأب يوحنا باطشا بحراً من يافا إلى طرابلس أمّا رفيقاه فعادوا إلى طرابلس بـًّا بعد أن زاروا نواحي الجليل واجتازا في دمشق. وكان في تاريخ مرورهما يسكن الفيحاء كاهن ماروني اسمه الخوري سaba ابن الشمامس يوسف المعروف بابن حليب من قرية العاقورة كما أثبت ذلك حضرة المرسل اللبناني الخوري إبراهيم حرقوش في وصف بعض مخطوطات مار شليطا في المشرق سنة ١٩٠٣ (٦: ١١٩).

أمّا الأب يوحنا إيليانو فإنه كان وجد له شماساً عارفاً باللغات العربية والسريانية والإيطالية فأنس به لورعه وتقاه لكنه لم يذكر اسمه في رسائله. وعلى رأي المرحوم الأب أنطون رباط اليسوعي أنه الحلبي المولد الماروني الطائفة المكرّم إبراهيم جرجس الذي انتظم بعد ذلك بقليل في سلك الرهبانية اليسوعية ومات شهيد الإيمان في مصرّ سنة ١٥٩٥ ، لكننا لم نجد سندًا لهذا الرعم والمرجح عندنا أنّ الأب إيليانو عرف الشاب إبراهيم جرجس سنة رحلته إلى حلب في سفارته الثانية (١٥٨١). أمّا الشمامس المذكور هنا فقد استصحبه الأب إيليانو ليستعين به في أشغاله وحل مشكلاته المادّية وإنقاذ اللغات الوطنية وجعله كاتباً لأسراره ومدوناً لملحوظاته ووسطيّاً له في أشغاله مع الأهلين.

فبعد بلوغ الرسولين إلى طرابلس أخذ الأب يوحنا يستعلم عن أحوال المدينة هل يمكن إنشاء مدرسة فيها لتهذيب الشبيبة المارونية كما كان فكّر في ذلك قداسة البابا غريغوريوس الثالث عشر. لكنه تأكّد بعد قليل أنّ هذا المشروع لا يُستطاع إخراجه إلى حيز العمل لسوء أحوال النصارى وقتئذ في مدن الساحل حيث كان أعداؤهم يسمونهم الخسف ولا يرعون لهم جانباً. فتحقّق أنّ أفضل مكان لتنقيف الأحداث من الموارنة وتعليمهم العلوم الإكليريكية إنما هو عاصمة العالم الكاثوليكي أي رومية العظمى.

ثم رأى الأب إيليانو الوقت مناسبًا لمواصلة عمله لدى السيد البطريرك لكنه وجد الأوفق أن يبقى الأب توماً راجيو في طرابلس فيهتمّ هناك بأمور

تجار الفرنج الروحية ويدرس أخلاق الموارنة وخدمتهم وأبقى معه الأخ أماتو. أما هو فعاد إلى قنوبين وبعد أيام قليلة تبعه رفيقه الشماس الذي سبق ذكره.

ثم أسرع القاصد الرسولي إلى مباشرة العمل وابتداً بفحص المخطوطات الطقسية التي يتناولها الموارنة كالأناجيل وتفسيرها والتوافirs وغيرها من الكتب الدينية، فكان يطالع الكتب فرداً فرداً وإذا وجد أشياء مخلةً بخصوص المعتقدات أو الرسوم والعادات المألوفة في الكنيسة نصّ عليها وأفرزها عن سواها، ثمَّ كان يعرضها على السيد البطريرك والأساقفة الذين عنده فيبيّن لهم وجوه الخلل ثمَّ يتقدّمون إماماً على إصلاح ما يمكن إصلاحه بإبدال بعض صفحات من تلك المخطوطات وإماماً بحرقها إنْ كانت كثيرة الأغلاط وهكذا حرقوا جائباً من الكتب بحضور الإكليرicos والشعب وإنما صار ذلك برضى الجميع وهم لا يرغبون سوى موافقة رومية في أيمانهم.

ولا نجهل أنَّ بعض المستشرين آخذوا الأب إيلانو في حرق هذه التأليف مع فوائدها لدرس الآثار القديمة في الكنائس السريانية إلاً أنَّ المرسل الرسولي كان يؤثر الطاعة لرئيسه الحبر الأعظم الذي كان تقدّم إليه بذلك مع علمه بأنَّ تلك المصنّفات لو بقيت لأضحت عشرةً في سبيل المؤمنين ثمَّ تتوفر بالنسخ.

وقد ظنَّ البعض أنَّ القاصد الرسولي قد أتلف قسماً من تلك المخطوطات دون أن يفهم معناها. وهي تهمة باطلة لأنَّ الأب المذكور كان يعرف العربية حقَّ المعرفة ويلُمُ بالسريانية كما يظهر من تأليفه ومن رسائله التي سنوردها وهي شبيهة بكتابات نصارى ذاك العهد ليست دونها بشيء. وقد صرَّح الدويهي نفسه بذلك في تاريخه كما مرَّ. وفي رسائل الأب إيلانو إلى الحبر الأعظم يذكر بعض تلك النصوص التي رآها مخالفلة للمعتقد القويم مع تعريف الكتب وصفحاتها.

على أنَّ الأب إيلانو لا يحمل هذه الأغلاط على سوء نية بل على جهل

النساخ أو على دسائس بعض المبتدعين الذين كانوا اختلطوا بالموارنة فزرعوا الزؤان بالحنطة على مثال الرجل العدو الذي يذكره الإنجيل. وقد لحظ الطيب الذكر السيد الدويهي هذه الدسائس حيث قال (ص ٤١٥):

وكان بُث البدعة بجبل لبنان أمراً في غاية السهولة. أولاً لأنّ اللغة واحدة ورتب أسرار البيعة عندنا وعند العيادة ليست بمختلفة إلاّ يسيراً. ثانياً لأنّ الناحية طيبة الهواء والعيش مُمْسح فيها لأهل الدنيا ومتسلل (ص ٤١٦) للمنتفرين لخدمة الله والمتستكين في الأودية والجبال. ثالثاً لأنّ المترأّ حكمها كان يكرم المتستكين بطبيعة واحدة ويأخذ لهم في السكنى حيث شاؤوا. فلما اكتشف ذلك وتبين عند العلماء ورؤساء الكهنة كثر السجون والاشتاق في البلاد وصار البعض يحتجّون لرأي الطبيعة الواحدة وأخرون يتصرّون لرأي الطبيعتين ...

فكفى بهذا دليلاً على وقوع التصحيف في بعض الكتب كما قال الأب يوحنا إيلانو وعلى اهتمام هذا الرجل الغيور بقلع ذاك الزؤان قبل أن يختنق الزرع الجيد.

ولما أنهى الأب اليسوعي عمله في الدار البطريركية رأى من الواجب أن يطوف لبنان ويتقدّم كنائسه وأديرته ليستطيع أن يُطلع الحبر الروماني على كافة شؤون الطائفة المارونية لتجعل رومية نظرها عليها وتُعنى بمهامها. قال الدويهي يصف أعمال القاصد الرسولي في أنحاء الجبل بما حرفه وهو أحسن جواب على من اتهم الأب إيلانو بغایات باطلة كان يبعد عنها مناط الثريّا (ص ٤٤٢):

وعقب إنفاذ تلك الكتب استأذن جوان باطيشتا غبطة البطريرك في أن يطوف بلاد الموارنة ويفحص كتبهم وعواوينهم فرئ بذلك البطريرك ميخائيل وبعث معه رسالة بخطّ يده إلى الأساقفة ورؤساء الأديرة وسائر الشعب لكي يقابلوه بما يليق من الإكرام ويقدموا له كلّ ما يطلب من الكتب وأمر أخاه الأسقف سركيس والقس جرجس بن يونان من إيليج أن يسيرا في صحبته واستمرّ نحو ستة يطوف الأديرة والكنائس ويطلع على الرتب والكتب وكان صنع له ثلاثة دفاتر يقتيد بالأول ما يراه من الأغلاط ويرقم في الثاني ما ينبغي استشارة البابا فيه وفي الثالث يكتب ما يلتزم الكهنة والعوام تحفظه ... وكان البطريرك ميخائيل وأخوه

يحيّن جوان باطليشتا محبة شديدة لأجل غيرته وطول أناته.

فاستغرقت تلك الزيارة الرسوليَّة أشهراً لم يدع فيها الأب إليانو صغيرة أو كبيرة من أحوال الطائفة المارونية إلَّا عرفها ثُمَّ عاد إلى قُرْبَين وشكر السيد البطريرك على ما أبداه من العناية تسهيلاً للقيام بوظيفته. ثُمَّ عرض على غبطته وعلى رؤساء الطائفة أن يوقعوا بامضائهم قبولهم بأوامر البابا بخصوص الأمور التي ذكرها قداسته في براءته ففعلوا. وهذا تقريرهم بحرفه عن نسخة مصونة في سجلات رهبانِّيتنا:

تذكرة في ما أرسل لنا قصاد سيدنا البابا الذين حضروا عند حقارتنا في شهر حزيران سنة ١٥٧٨ للتجسد الإلهي ونحن نكون حافظين ذلك بغير تهاون بمعونة الله:

أولاً أن يعمدوا الصغار بعد ثمانية أيام من ميلادهم وبالضرورة قبل ثمانية أيام ولا يؤخرموا العماد إلى بعد الأربعين كحسب عادتهم القديمة.
ثانياً ثبيت الإيمان بالميرون بعد ثمانية أم عشر سنين برسمه البترك أم الأسقف لا غير في جبهته فقط ولا يكون رسمه في اللبات مثل عاداتهم القديمة في المعهودية على يد قس.

ثالثاً تكريس الميرون المقدس يكون على يد البترك أم الأسقف ويكون ذلك في يوم الخميس الكبير وتركيبه من زيت زيتون نقى وليس لا غير ويجذده في كلّ سنة وأيش ما فضل ما العتيق يُحرق.

رابعاً لا يعطوا الأطفال القربان عند العماد كما عادتهم القديمة لكن يعطوا القربان إذا كمل سنهم ويعترفون لعلم (أي معلم الذمة وهو الكاهن) قبل أخذه.
خامساً عند التقدیسات تقال: قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت ارحمنا ولا يزيدون عليها شيئاً ولا يقولون: يا من صلب ولا قام ولا صعد ولا غيره.

سادساً الإكليروس يعني البترك أو المطران والأسقف والخوري والقس والشمامس والشدياق يلزمهم السبع صلوات كلّ يوم.

سابعاً ومن وجد امرأته في زنا لا يطلقها ويأخذ غيرها ولا المرأة تأخذ غيره كما عادتهم القديمة بل يفترقون الواحد عن الآخر في مجامعة الفراش وإن ندمت المرأة وتابت يقدرون يرجعون كما الأول. وفي غير ذلك تكون مستعددين

حربيصين على تكميل الأوامر والله تعالى يعيتنا ويساعدنا على تكميل ما رسم الأب المقتول البابا غريغوريوس الثالث عشر والآتين بعده خلفاً بعد سلف كأولاد الطاعة الطائعين لآباءهم وهذا خطٌ ييدي أنا الحقير مع المجتمعين معي.

أنا الحقير البطريرك بطرس في دير قتوين بطرق الموارنة أنا أصدق وأثبت جميع ما أمر السيد البابا بمثل ما ذكرنا أعلاه.

أنا الحقير مطران سركيس أنا الحقير أسقف جرجس أنا الحقير خوري يوحنا أنا الحقير خوري موسى

وكان الزائر الرسولي في أوقات الفراغ يستغل بتعريب صورة رتبة الميرون وقوانين المجمع التریدنتيني والتعليم الصغير الذي صنفه الطوباوي بطرس كانيزيوس اليسوعي وكتاب المرشد المسيحي للأب ليديسما وكتاب الاعتراف والمناولة للأب لويس الغرناطي وصلوات أخرى جزيلة الفائدة.

ثمَّ جعل يفكِّر في جلب الأساقفة والرهبان العصاة إلى الخضوع للسيد البطريرك فلم يرَ طريقاً لذلك أقرب من عقد مجمع مليءُ تُعرض فيه كلَّ المشاكل لتنظيم أحوال الطائفة نظرياً وعملياً فأقنع بذلك البطريرك ميخائيل وابتداً يُعدَّ المواد التي يُقضى التباحث فيها في ذاك المجمع.

وكان مع ذلك لا يزال الأب إليانو يكاتب الكردينال كرافاً ورئيسه العام الأب مركوريان ويعلّمهما بنتيجة أعمال السفاراة. ومن جملة ما أرسله مكاتب من غبطة البطريرك إلى الحبر الأعظم وإلى الكردينال كرافاً أرسلها بنصها العربي مع ترجمتها في تموز من تلك السنة مع تجّار أبحروا إلى البندقية فسُرُّ قداسة البابا بتلك المعلومات وأرسل يثني على همة قاصده.

وبينما كان الأبون إليانو وراجيو يفرغان المجهود في تحقيق نيات رئيس الكنيسة إذ فشا الطاعون في سواحل الشام فما لبث أن انتشر انتشاراً عظيماً فبقي المرسلان في ريب عِمَّا يجب عليهما فعله أيعودان إلى رومية فيلغان شفاهيًّا الحبر الأعظم ما جرى لهما أم يواصلان عملهما رغمَ عن الوباء وكان السيد البطريرك يحضهما على الرجوع لأوروبا ثلاثة تصييدهما العدوى فتضييع فائدة رسالتهم. لكنهما لم يريدَا أن يسرعا قبل ورود أوامر من رومية

في ذلك. وهكذا جرى فإنَّ رئيس الرهبانية اليسوعية العام الأب مركوريان أرسل إليهما الأمر ليعودا إلى عاصمة الكثلكة.

عودة الأب يوحنا إلى إيلانو إلى رومية وتعيينه لقاصدة ثانية

بلغ كتاب الأب مركوريان رئيس الرهبانية اليسوعية العام إلى الأب يوحنا إيلانو ورفيقِيه في أواخر تشرين الثاني من السنة ١٥٧٨. فأحبَّ القاصد الرسولي قبل رجوعه إلى رومية أن يرسل إلى قداسة الحبر الأعظم تقريراً مطولاً يلخص فيه مجمل أعمال قصادته لدى الموارنة ونجاحها التام مع ما أظهره غبطة البطريرك ميخائيل الرزلي وسائر الأساقفة والشعب من الانقاد إلى أوامر الكرسي الرسولي فحررَه وختم رسالته طالباً من قداسته أن يحكم ما الأوفق أن يواصل أعمال القاصدة رغمَ من فشل الطاعون أو يرجع مع رفيقِيه إلى روما.

وكان المرسلون يظُنون أنَّ جواب البابا غريغوريوس لا يتأخر أكثر من شهرين أو ثلاثة أشهر لكنَّ الأمر جرى على خلاف ظنهم لأنَّ رسائلهم لم تبلغ إلى عاصمة الكثلكة قبل أواخر شباط. فلما تصفحها الحبر الروماني سُرَّ بها غاية السرور وأوعز إلى الرئيس العام بأن يكتب للأب إيلانو أن يبقى في لبنان وينجز الأعمال التي باشر بها.

فأسرع الرئيس الأب مركوريان وبلغ الأب إيلانو رغبة الحبر الأعظم في موافقته مشاريعه الطيبة ريثما يتنهى منها. لكنَّ هذا الأمر المستأنف تأخر موعده وإذا رأى القاصد ورفيقه أنَّ ثلاث سفن قدمن تباعاً من البندقية إلى طرابلس دون جواب عرَّلوا على ركوب البحر في أواسط آذار من السنة ١٥٧٩. وكان السيد البطريرك يحضّهم على السفر ليس فقط صوناً لهم من غارات الطاعون بل خوفاً أيضاً من رهبانه وأساقفته العُصاة لثلاً يسعوا به وبطانته لدى الأتراك وينسبوهم إلى المؤامرة على الدولة مع الأجانب فينالهم بسبب تلك التهم أذى ومصادرات شتى.

فلما حان وقت السفر ودعَ القاصد الرسولي غبطة البطريرك وسلمَه قبل أن

يفارقه مذكرةً أودعها خلاصة ما صار الاتفاق عليه لخير الطائفة وخصوصاً صورة نصوص من الكتب الطقسية التي نفذ فيها شيء من أضاليل المبتدعين^(١). وكذلك أعطاه كتاباً فيه وصف تكريس الميرون. وممّا أخذه معه نسخة من ترجمة الكتاب المقدس العربية مؤملاً بطبعها لمنفعة الشرقيين كما كان أوصاه الحبر الأعظم.

ثم إن المرسلين ألحوا على رؤساء الطائفة، قياماً برغبة قداسة البابا وأمر الكرديتال كرافاً، بأن يعيثوا سته أولاد يتخرّجون في رومية بالعلوم الدينية ويترشحون للكهنوت فيعودون إلى لبنان ويساعدون بالروحيات مواطنיהם. لكن طلبتهم هذه صادفت عدّة موانع حالت دون إتمامها سواء خاف الأهلون على أولادهم من ذاك السفر الطويل أم هالهم قرصان البحر الذين كانوا يترصدون سفن الفرنج ليأسروا ركابها ويستعبدوهم. وإنما رضي بمرافقته المرسلين ولدان فقط الواحد من لبنان وهو جبرائيل الأدبي والأخر من قبرس يدعى كسبار. وقد أوقفنا حضرة الأب كيرلس شارون نزيل رومية على قائمة لاتينية وجدها في سجلات مجمع انتشار الإيمان تحتوي أسماء أول تلامذة المدرسة المارونية في رومية تاریخها سنة ١٥٨٤ وهي مفتوحة باسم جبرائيل وكسبار المذكورين وتزييناً عندهما إفاده بقولها عن جبرائيل المذكور أنه ابن سعيد (Gabriel Felicis) وأنّ أصله من بن من أبرشية سيدة قنوبين في لبنان (وهي الأبرشية البطريركية) وكان عمره إذ ذاك ١٥ سنة. أما كسبار فيقال إنه مولود في أنقوسية مدينة قبرس وأنه من أبرشية شدرا المارونية وكان عمره عند وصوله سبع عشرة سنة. وممّا أفادنا الدويهي في تاريخه (ص ٤٤٣) أن الشدياق عازر القبرصي رافقهما موكلًا بهما.

وكان خروج الأب إليانو من قنوبين في ٢٥ شباط سنة ١٥٧٩ وقد أصبحه السيد البطريرك ميخائيل وأخوه المطران سركيس الرزّي برسائل إلى الحبر

(١) وفي رسالة السيد البطريرك ميخائيل إلى البابا التي اختصرها العلامة الدويهي (ص ٤٤٣) كلام صريح في تشويه هذه الكتب «باغلاط سرت إليها من كتب غريبة» ويه بقبح أنّ الأب إليانو بذلك الأضاليل لم يختلق شيئاً بل قام بتصریحه عنها بواجب الضمير.

الأعظم وإلى الكردينال كرافاً أبدياً فيها أسفهما على مفارقة القاصد الرسولي قائلين «إنه قد صح فيما مثل ذلك الذي بدأ ببناء البرج ولم يتممه وإنهما يؤملان من شفقة الأب الأقدس الأبوة أن يرددَ مرة ثانية إلى لبنان». هذا ما قاله الدويهي في تاريخه وزاد هناك (ص ٤٤٣) ما رويناه عن محنة البطريرك ميخائيل وأخيه للأب جوان باطشنا لأجل غيرته وطول أناه ما ينفي تهم بعض الكتبة في حق ذلك القاصد الرسولي.

فلحق الأب إيلانو برفيقه في طرابلس وبعد أيام قضوها ريشماً بحر السفينة البنديّة الراسية في مرفأها، ركبوا البحر في ٢٢ آذار من السنة ١٥٧٩ فاقلع المركب متوجّهاً إلى قبرس حيث أُوْسِقَ شحناً للبنديّة فنزل المرسلون إلى البر وزاروا نصارى الجزيرة الذين كانوا في أسوأ حال منذ فتح الأتراك لمديتهم فعزّوهم في محتفهم وثبتوهم في إيمانهم وساعدوهم في حاجتهم ثمَّ يمْتَّمِّنُونَ السفينة إلى سواحل إيطاليا وكان وصولها سلام إلى البنديّة في أوائل شهر أيار. فأخذ الركاب نصيباً من الراحة بعد ذلك السفر الطويل لدى إخوتهم اليسوعيين في تلك الحاضرة فرَّحَ الجميع بالقاصد الرسولي الذي كانت مدينته تشرَّفت باهتدائه ونالت قبل غيرها من ثمار غيرته، ثمَّ خرج مع رفقته قاصداً أم المدائن الكاثوليكية بلغونها في اليوم الثامن من شهر حزيران من السنة. وقد اختصر العلامة الدويهي في تاريخ الموارنة ما جرى للوفد عند بلوغه إلى رومية قال (ص ٤٤٣):

«فلما وصل جوان باطشنا إلى رومية ومثل بحضورة العبر الأعظم قَدِّم له رسالة البطريرك وأخبره عن أحواله وأحوال طائفته وأثنى على عبادتهم وطاعتهم لكرسي رومية واعتبارهم لرؤسائه وإكرامهم لقصاده وقبولهم تعليم الإيمان بكل فرح. ثمَّ قال إنه بسبب اختلاطهم بأهل البدع واشتداد الظلم عليهم اندسَ بينهم بعض أغلال سرت إليهم من كتب غربية وسلكوا بعض عوائد غير ممدودة وأنهم يقيعون القدس بекاسات^(٢) وحلل غير لائقة، وفي آخر الأمر طلب من

(٢) كانوا يقتدون بكتوس من خشب وقد رأينا في دير قُوبين كأساً قديمة من هذا الصنف في رحلتنا الأخيرة إلى ذلك الدير المقدس في أوائل تشرين الأول ١٩١٣. وهذه الكأس تحفظ في موقه الكنيسة القديمة المنقورة في الصخر.

قداسته أن يقيم لهم مدرسة برومية يتعلم فيها أولادهم حتى إذا رجعوا يعلّمون بنبي جندهم وأن يطبع في لغتهم كتاباً تتضمّن قواعد الإيمان ويفضل عليهم بعض حلل وكاسات لإقامة القدس. فابتعد الحبر الأعظم وحمد الله سبحانه وتعالى على أحكماته الغامضة وحسن عنایته لأنّه شاء أن تبقى أمانته المقدسة مصونة في بلاد بعيدة عنهم بعدها عظيماً بِرًا وبحرًا وبين قوم لا يفهمون لغاتهم ولا يعرفون عوائدهم. ثم أمر بإحضار الولدين فباركههما وسرّ بهما كثيراً وطلب من الله أن يجعلهما غرسة مباركة وافتتاحاً مقدساً لتمجيد اسمه وانتشار أمانته في أصقاع المشرق. وأمر بأن يقيما أوّلاً في مدرسة الأحداث (Collegio dei Neofiti) إلى أن يتمّ بناء مدرسة خصوصية للموارنة».

هذا ما رواه السيد البطريرك مؤرّخ طائفته. ولنا في تواريخ الرهبانية اليسوعية وسجلات الفاتيكان ما يفيدنا غير ذلك. فإنّ الحبر الأعظم إذ علم بقدوم الآباء من لبنان أخذه العجب من أمرهم بعد أن كان أمر رئيس الرهبانية اليسوعية بأن يوغرز إلى المسلمين بالبقاء بين الموارنة إلى حين إنجاز أشغالهم. لكنه بعد أن مثلوا أمامه وأخبروه شفافاً بكلّ ما جرى لهم وشرحوا له بالتفصيل عن أحوال الطائفة المارونية مع تأخّر جواب قداسته الذي لم يبلغ إلى أيديهم رأى رجوعهم تدبيراً خصوصياً من العناية الإلهية لمجده تعالى وخير الطائفة المارونية. وهذا ما أعرب عنه الكرديتال كرافاً في مكتوب تاريخه ١ آب من السنة وجّهه إلى البطريرك ميخائيل حيث يقول فيه ما تعرّيه:

«كان رجوع الآباء الزوار ولا سيما الأب يوحنا إليانو من جهاتكم على خلاف مراعتنا لأنّ قداسته الحبر الأعظم كان يرغب أن تناول سعادتكم من هؤلاء الرهبان تعزية وعوناً في حاجاتها وإنّما الأمر جرى بعناية صمدانية من الله الذي سمح بذلك لخيركم فيزول رجوعهم إلى مجده تعالى إن شاء الله...»

وقد سرّ قداسته بكلّ ما عرضه له الآباء عن شؤونكم وشكّره تعالى على ما أودع قلوبكم من الرغبة في اتباع التعاليم الكاثوليكية التي ينشرها الكرسي الرسولي وله الرجاء الوطيد بأنّ الله سيزيد عزّمكم وينشط همتكم لتقوموا بأعباء منصبكم وتسيروا دائماً في سبيل الصلاح لنزال الحياة الخالدة».

أما نحن فسوف نجهد نفوسنا لتحقيق رغائب قداسته الحبر الأعظم في ما يؤول إلى خيركم الروحي وحفظ الإيمان المقدس بينكم وإنجاز طقوسكم قانونيًّا وحسن توزيع الأسرار كما يليق بخدمة السيد المسيح ونفي كلّ ضلال أو اعتقاد

باطل. وكذلك قد عزم قداسته على أن يحلّ ما عرضتم عليه من المشاكل فتالوا بحلّها سلواناً.

ونفيت سيادتكم أنَّ قداسته قد ابتهج بمعجزة الولدين من طائفتكم وسنسرى بأحوالهما كأنهما أولادنا بالعين حتَّى يتخرجاً بالعلوم الدينية ويستطيعاً القيام بخدمة طائفتها عند عودتها إليكم. ولو أمكنكم أن ترسلوا غيرهما لزاد بذلك سرور قداسته . . .

واذ قد سمعتم من فم الأب جوان باطليشا التعاليم الجمة وأناركم الله بواسطته بضياء المعتقدات الكاثوليكية فعليكم أن لا تخالفوا نعمة الرب بل تنتموها في قلوبكم بأعمال البرِّ تبعًا لرغبتكم الصالحة. هذا وإننيأشكركم على الذخيرة (وكانَت صلیيَا من خشب الأرض) التي تلطّفتم برسالها إلى وساحتها مع بقية هداياكم الثمينة.

هذا وإنَّ البابا غريغوريوس الثالث عشر مع ارتياحه إلى تلك الأخبار السارة تقدَّم إلى الأب إيليانو بأن يدون في كتاب خاصٍ ما شاهده عيَانًا أو تحققَه بالبحث عن أحوال الطائفة الماروتية دينًا ودنيا مع ذكر الوسائل التي يراها الأحق بخدمة تلك الأمة الفاضلة فيقدمه لمقام الحبر الروماني.

شرح حال الموارنة سنة ١٥٧٨

فأسع اليسوعي إلى تلبية دعوة رئيس الكنيسة فكتب التقرير المطلوب وهكذا أحسن مضامينه معربة عن الأصل الإيطالي المصنون في سجلات الرهبانية اليسوعية. وهو أول تقرير واسع أصدره أحد المرسلين عن الموارنة في لبنان قال:

«(تعريف الموارنة) الموارنة شعب اشتُقُوا اسمهم من منشئهم المدعى مارون. وسكناتهم غالباً في قرى لبنان المواجهة للغرب والمشرفة على مدحبي طرابلس وبيروت. ومنهم عيال يسكنون دمشق وحلب وطرابلس وجزيرة قبرص. وهم إجمالاً لا يتجاوزون أربعين ألفاً^(١).

(١) لمَّا القاريء يجد هذا المدد قليلاً في ذلك المعهد ومن المحتمل أنَّ الأب إيليانو نقل ذات-

«وللموارنة رئيس روحي يسوسهم يلقبونه باسم بطريرك له تحت أمره ستة مطارنة وستة أساقفة ليس لهم كرسي خاص يغلب عليهم الفقر وعلمهم زهيد. وكلُّهم في الأصل رهبان يُدعون من أديرتهم إلى الأسقفيَّة وعلى هذا المنوال أصبحت كل المناصب العليا في أيدي رهبان القديس أنطونيوس كما ترى تلك المناصب عند اليونان في حوزة رهبان القديس باسيليوس.

(تدبرهم الروحي) يعود تدبير الموارنة روحياً إلى السيد البطريرك الموما
إليه فهو المهم بشؤونهم ويعين لخدمة نفوسهم كهنة علمانيّن مقيدين بالزواج
الكارلوب. والطائفة المارونية كلها خاضعة للحبر الروماني مقرّة برئاسته على
الكنيسة جمّعاً منذ زمن إينونكت الثالث (١٢١٥) أي منذ ٣٧٠ سنة^(٢). وهي
منذ ذلك العهد لا تزال باقية على خصوصها واتحادها مع رومية كما شهد عليه
المناشير الحبرية والبراءات الرسولية العديدة التي وجّهها كثيرون من
الباباوات إلى بطاركتهم. وبفضل القصّاد الرسوليّن الذين كانت رومية
توفدهم إلى الموارنة من وقت إلى آخر قد حفظوا وديعة الإيمان الكاثوليكي
بين الهرطقة والمنفّصلين عن حجر الكنيسة فتراهم ثابتين على الاتحاد مع
الكنيسة الرسوليّة مجاهدين بمحبّتهم نحوه ونحو مجمع الكرادلة وهم لا
يذكرونهم إلا بكل وقار وتجلّة.

«على أنه بتمادي الزمان وبسبب اختلاطهم مع الأمم والطوائف المختلفة قد تسرّت إلى كتبهم بعض الأضاليل ودخل في طقوسهم ورتبهم بعض

=العدد الذي ذكره غلييلموس الصوري في تاريخ حرب الصليبيّن حيث روى أنَّ الموارنة في عدد ٤٠،٠٠٠ قُتلوا الخصوّع للقاصد الرسولي إيميريك سنة ١١٤٠. على أنَّ هذا الرأي ليس بمستبعد فإنَّ الطيريك ميخائيل الرزّي في رسالته إلى غريغوريوس الثالث عشر يصرُّ بأنَّ الموارنة يسكنون في متى قرية. وكانت القرى في تلك الأيام قليلة السكّن منها المزارع والدساّر الصغيرة فن يكون معدّل القرية ٢٠٠ نفس. ويُعدُّ الأب إليانور بممتني سنة، لِمَا تتجوّل فولناتي (Volney) في الشام قد جعل عدد الموارنة ١١٥،٠٠٠. وعلى كلّ حال ذكرنا الأمْ علم علاقته.

(٢) سبق القول إن أول براءة تُعرف وجّهها للأعيان الرومانية إلى الموارنة تاريخها سنة ١٢١٥ وهي للبابا إينوسنت الثالث. وليس هذا دليلاً على أنّ خضوع الموارنة للكنيسة الرومانية لم يستمر تلك السنة.

الشوائب التي سببها قلة المعلمين الذين يُعَنِّون بارشادهم وليس نقصاً في استعدادهم لقبول تعاليم الكنيسة الرومانية. وقد دوّنا هذه النصوص المضادة للحقائق الكاثوليكية في كتاب منفرد ليطلع عليه قداسة البابا الأعظم نقلناها بحرفيها عن الكتب التي أطلعنا عليها السيد البطريرك منها إنجيل كتبه بخط يده قبل ٢٥ سنة وعلق عليه حواشي يذكر فيها وحدة المائتة في السيد المسيح ووحدة الأفعال وغير ذلك كدخول نفوس الأبرار في السماء بعد الدينونة الأخيرة وخلاص الهالکین في الجحيم بعد زمن محدود إذا كانوا من المؤمنين:

«يد أنَّ هذه الأضاليل وغيرها أيضًا التي وجدناها في كتبهم لا تدلُّ على معتقدهم الصحيح وإنَّما كان كتبتهم ينقلونها دون أن يعيروها بالاً وإذا سألتهم عن إيمانهم أجبوا أنَّ إيمانهم على إيمان روما. إلَّا أنَّنا وجدنا في الدار البطريركية شماساً^(٣) قال علانة: «إنَّا لا نعتقد في المسيح إلَّا مشيَّة واحدة وطسعة واحدة».

«وهذا ما لحظناه بخصوص توزيعهم للأسرار. قد اعتاد الموارنة أن يعمدوا المولود في اليوم الأربعين من مولده. ومن عاداتهم أن يخلطوا زيت الميرون وبسمه بماء أخرى. وكذلك سر التثبيت فإنهم لا يجرؤون في منحه على طريقة الكنيسة الرومانية فيزعمون أنه يكفي بأن يمسح المولود بعد عمادة بالميرون^(٤)».

«يُستعملون في القداس الخبز الفطير لكنّهم يقدّسون أيضًا الخمير ويذوفونه بالملح^(٥). وهم لا يستعملون لصمة القرابان إلاً قماشاً من الكرمسوت. والشمامسة إذا تقرّبوا تناولوا الشكلين الخبز والخمر وهم وقوف

(٣) لعل هذا الشعّاس كان أحد العابقة الذين كانوا يتوجّلون في لبنان ومهنّ أشار إليهم الديويهي ونسب إليهم تحريف الكتب.

(٤) معلوم أن الكائنات الشرفية تمنع سر التثبت بعد العداد وأن الكهنة مفهومون بمنحة برخصة الأسفقة فكانت الكنيسة المارونية تجري في ذلك على مثال كل الشرقيين.

(٥) تقديم الخبراء قد يطيل من زمان طرويل عند الموارنة.

والكاهن يقسم حيتاً خبز القربان إلى قطع بعدد المتناولين. ومن عادتهم أنّهم يقدّسون القربان للمرضى في يوم خميس العهد ويحفظونه إلى السنة التالية كما يفعل الروم^(٦).

«لا يقدّسون في خميس العهد زيتاً لمسحة المرضى وإنّما الكاهن إذا دُعى لمسحة أحد المدفني على الموت يبارك الزيت اللازم لمنع السرّ.

«لا يوجد في كنائسهم تمثيل للقديسين وإنّما يزيّنون كنائسهم بصور منقوشة. ولم يعتادوا الجثّة على ركبهم في الكنائس لكنّهم يعملون المطابعات كالروم. ثمَّ إنَّ الموارنة يتمتعون عن الدم والمخنوق.

«ومن عادتهم في سرّ الزواج أنّهم يسمحون بالطلاق إذا زنى أحد الزوجين أو كانت المرأة عاقراً أو مصابة بداء عقام فيجوزن للزوج الاقتران بأمرأة أخرى.

«ولا شكَّ أنَّ الموارنة يبذلون هذه العادات إذا عرض عليهم الكرسي الرسولي إلغاءها.

«حالتهم المدنية» الشعب الماروني تحت حكم سلطان الأتراك لكنَّ لهم في جبالهم حاكماً يتولّ سياستهم وهو سيد عربي يتسبّب إلى مماليك مصر واسمه في عهدهنا منصور^(٧) قد أقطعته الدولة التركية كلَّ قرى الموارنة فيحصل من أهلها الضرائب السلطانية وكلَّ ما يحفظه لنفسه. وله وكيل من وجوه الموارنة يدعى يوسف^(٨). هو كاختيه ومستشاره يحصل له الأموال من قومه ويضيف إليها ما يعيش هو منه، فالشعب كله دون استثناء حتى السيد البطريرك والإكليرicos عموماً لا مناص لهم من هذه الضرائب الثقيلة. وقد رأينا بالعيان أنَّ السيد البطريرك عند عودة جرجس البسلوقطي ورفيقه الخوري إقليميس من

(٦) هذه العادة لا تزال جارّة في الشرق في الطوائف المختلفة.

(٧) هو الأمير منصور بن عشاف التركمانى الذي تولّ الأمر على كسروان وبلاط جبيل إلى عكار ثمَّ إلى حماة من السنة ١٥٢٣ إلى السنة ١٥٨٠.

(٨) هو الشيخ يوسف حبيش الماز ذكره.

رومية توجّه إلى زيارة يوسف المذكور وقدّم له قسماً من المبلغ الذي تصدّق به عليه قداسة البابا. وإذا نزل الموارنة من قراهم إلى مدن الساحل يسخّرهم أهلها المسلمين لأمورهم فيضطّرُونَهم إلى نقل أحمالهم أو يقضون عليهم بأشغال شاقة في دار الحكومة أو في بيوت الخاصة.

«وَسَكَانُ هَذِهِ الْأَنْحَاءِ مُنْقَسِّمُونَ فَقَسْمَيْنِ فَقَسْمُهُمْ يُعْرَفُ بِذُوِّ الرَّايَاتِ الْبَيْضِ (وَهُمُ الْيَمَنِيُّونَ) وَقَسْمٌ يُدْعى بِأَصْحَابِ الرَّايَاتِ الْحَمْرَ (وَهُمُ الْقَيْسَيُّونَ). وَالْأَمِيرُ مُنْصُورُ الْعَسَافِيُّ هُوَ زَعِيمُ الْأَخْيَرِينَ وَتَتَّبِعُهُ قُرَىٰ مُتَعَدِّدةٌ. أَمَّا الْأَوَّلُونَ فِي حَزْبِهِمْ أَيْضًا مُسْلِمُونَ كَثِيرُونَ وَالْيَوْمَ أَصْبَحُوا بِلَا زَعِيمٍ. وَكَانُوا فِي الْعَامِ الْمَاضِيِّ (سَنَةُ ١٥٧٨) اتَّخَذُوا لَهُمْ مِنْ أَهْلِ طَرَابِلسِ الْمُسْلِمِينَ زَعِيمًا ذَا سُطُوهُ وَبِأَسْ فَجَرْتُ عَدَّةُ وَقَائِعٌ بَيْنَ الْحَزَبَيْنِ وَقُتِلَ كَثِيرُونَ إِلَى أَنْ اسْتَدْعِيَ السُّلْطَانُ إِلَى الْآسْتَانَةِ هَذِهِ الطَّرَابُلْسِيَّ فَعَادَ السُّكُونُ لِلْبَلَادِ.

«وَلِكُثْرَةِ مَا يُفْرَضُ عَلَىِ الْمُوَارَنَةِ مِنِ الضرائبِ قَدْ غَادَ جُمُّ غَنِّيرِ مِنْهُمْ ضِيَاعُهُمْ وَالتَّجَأُوا إِلَىِ بَلَادِ الدُّرُوزِ. وَهُؤُلَاءِ الدُّرُوزُ يُعْرَفُونَ بِسَالْتَهُمْ وَيُعَادُونَ الْأَتْرَاكَ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ مُحَالَفُونَ لِأَمْرَاءِ بْنِي عَسَافٍ. وَيُزَعِّمُ الْعُمُومُ أَنَّهُمْ يَخْفُونَ دِينَهُمْ وَأَنَّ الَّذِينَ يَخْتَلِطُونَ بِهِمْ يَنْالُونَ شَيْئًا مِنْ أَخْلَاقِهِمْ.

«وَيُوجَدُ فِي بَلَادِ الدُّرُوزِ خَمْسٌ أَوْ سَتٌّ قُرَىٰ يُسْكِنُهَا قَوْمٌ مِنِ الْمُوَارَنَةِ الَّذِينَ يَثَابُرُونَ عَلَىِ أَسْرَارِ دِينِهِمْ وَيُؤَدِّونَ الْأَعْشَارَ لِلْسَّيِّدِ الْبَطْرِيرِيكِ لِكَنَّهُمْ يَتَصَرَّفُونَ عَلَانِيَةً تَصْرُّفُ الْمُسْلِمِينَ فَيَجْعَلُونَ عَلَىِ رُؤُسِهِمْ عَمَامَةٌ يَضْاءُ كَالْمُسْلِمِينَ وَيَدْخُلُونَ جَوَامِعَهُمْ لِلصَّلَاةِ وَإِذَا سَأَلُوكُمْ أَحَدٌ عَنِ دِينِهِمْ جَهَارًا انتَمُوا إِلَىِ الدِّينِ الإِسْلَامِيِّ.

[وَهُنَا يَلْخُصُ الْأَبِ إِلِيَّانُو أَخْبَارَ سَفَارَتِهِ مِنْ أَرْسَلَهُ الْحَبْرُ الْأَعْظَمُ فِي آذَارِ سَنَةِ ١٥٧٨ إِلَىِ لَبَانَ لِافْتِنَادِ الطَّافِهَةِ الْمَارُونِيَّةِ حَتَّىِ رَجُوعِهِ فِي حَزِيرَانَ مِنَ السَّنَةِ التَّالِيَّةِ مَعَ مَا جَرَىَ لَهُ مِنْ حَسْنِ الْاسْتِقبَالِ مِنِ السَّيِّدِ الْبَطْرِيرِيكِ مِيَخَايِيلِ وَشَعْبِهِ وَالْمَفَاوِضَاتِ الَّتِي دَارَتْ بَيْنَهُمَا مَعَ زِيَارَتِهِ لِأَنْحَاءِ لَبَانَ وَفَحْصِ الْكُتُبِ الْدِينِيَّةِ الَّتِي فِي أَيْدِيِ الْمُوَارَنَةِ وَبِقَيْمَةِ الْأَخْبَارِ الَّتِي سَبَقَ لَنَا ذِكْرُهَا مُفَضِّلًا.]

إلى أن قال هناك: «وقد سعينا عند اجتماعنا بسيادة البطريرك بأن نصلحه مع الأساقفة والرهبان العصاة لكنّ مساعدينا في ذلك قد خابت لأنّ أولئك الأساقفة لم يشاوروا أن يعتبروا نفوسهم ككهنة بسطاء بعد تسقيفهم دون رخصته ولا هو رضي بأن يتّنظموا في عداد الأساقفة. ولذلك فكّرنا بعقد مجمع ثانٍ وكأن قد تعين موعده للفصل لولا اضطرارنا إلى الرجوع بيايعاز البطريرك الذي أقنعه البعض بأن يصرفنا ثلّا تصيبه هوانات من الأمم إذا عرفوا بأن الفرنج مقيمون بين قومه».

هذا هو التقرير الذي سطّره الأب إيليانو ليعرضه على الأب الأقدس. وإذا كان البابا غريغوريوس طلب منه أن يشير إليه بأقرب الوسائل وأوفقاً لمساعدة الطائفة المارونية وثبيتها في الإيمان شفع القاصد الرسولي تقريره بهذا الملحق:

«أما ما نراه الأصلح لخير الطائفة المارونية وسدّ حاجاتها الروحية فهذه الوسائل الثالث:

«أولاً لا بدّ من إعانتها بإصلاح إكليلوسها وذلك بأن تستجلب إلى رومية عدّاً وافياً من الأحداث أو الشّيّان ليتخرّجوا في الآداب الدينية كما يتخرّج بأمر قداسته غيرهم من بلاد شّيّ.

«ثانياً ينبغي أن تُنشأ في رومية مطبعة تُنشر فيها الكتب العربية والسريانية التي يحتاج إليها الموارنة في كنائسهم حتى تقوم هذه المطبوعات المنقحة مقام الكتب الخطّية التي يستعملونها والتي سرت إليها بعض الأضاليل فيحرّقونها لاستغاثتهم عنها بما هو أفضل.

«ثالثاً ويلزم أيضاً تجهيز كنائس الموارنة الفقيرة بكؤوس وحلل وأنية للميرون وغير ذلك مما يجب الإحسان به إليهم لإقامة الأسرار على طريقة لانقة».

تعيين الأب إليانو لسفارة ثانية إلى لبنان

وكان قداسة الحبر الأعظم عين للأب إليانو ورفيقه الأب توما راجيو يوماً لاستقبالهما. فمثلاً بين يدي أبي المؤمنين وقدماً له التقرير السابق. فلما اطلع عليه انفرد بالكرديبال كرافاً وتفاوضاً مليئاً في مضامينه ثم دخل البابا الأب إليانو ورفيقه فأثنى على ما أبديا في مهنتهما من الغيرة والفضنة وطول الآلة وأكَّد لهما أنه سيذل الجهد في تنفيذ ما طلبه لخير الموارنة ثم أردف كلامه بقوله للأب إليانو: «وإني قد صممت النية على أن أوفدك ثانية مع رفيق إلى الموارنة فتجز ما باشرت به لنفع هذه الطائفة وقد أمرت بإعداد المطبعة لنشر كتبهم الطقسية وتجهيز الآنية المقدسة والحلل التي طلبتها».

فخرج الأبون شاكرين. وبذلك انتهت الرسالة الأولى التي قام بها الأب إليانو فكانت فاتحة عصر جديد ازدهرت فيه الأمة المارونية وخرجت من خمولها واستلففت إليها أنظار عالم الغرب.

وكفى بتفاصيل هذه السفارة دليلاً لاماً على نزاهة الأب يوحنا إليانو ومحبته المخلصة لبني مارون ورغبة الملتبة في مساعدتهم وصونهم من كل شائبة الضلال. ولا حاجة إلى تفنيد مزاعم الكتبة الذين اتهموه بقلة التروي في وصفه لأحوال الموارنة ولديانا براهين عديدة على صدقه وإمامته بكافة أمور الطائفة الموما إليها حتى استحق أن يلقبه بعض معاصريه برسول الموارنة.

ما وقف الأب جوان باطشنا إليانو على نية الحبر الأعظم غريغوريوس الثالث عشر بخصوص سفارة ثانية إلى لبنان حتى أخذ يستعد لها استعداداً تاماً ليجتنبي منها الكرسيُّ الرسوليُّ الشمار الطيبة التي يشهيدها لمجد الله ولخير الكنيسة. وعيَّن له الرئيس العام للأب إفرَّزْد مركوريان كرفيق لهذه الرحلة الأب يوحنا برونو (G. Battista Bruno) الذي يدعوه الدويهي في تاريخه (ص ١٧٧) «جوان برونا». وكان هذا رجلاً ورعاً واسع الفضل ضليعاً بالعلوم اللاهوتية.

فسرَ به السفير البابوي ورأى معه أنَّ أمنَ حاجة ينبغي التفرُغ لها قبل سفرهما الاهتمام بطبع بعض التأليف في العربية ينشرانها في لبنان لصيانته أهلَه من أضاليل الأمم المجاورة لهم وتعزيز الإيمان الكاثوليكي في قلوبهم.

غير أنَّ طبع الكتب كان يتضمن تجهيز مطبعة وحفر حروف جديدة عربية وسريانية. فاتَّفق الأب إليانو مع طباع روماني اسمه غريغوريوس لوتكا (Gr. Lutch) ثمَّ استدعا رجلاً حاذقاً يُحسن حفر الأمهات يدعى غرانيار (Granier) فتفرَغ لهذا العمل وبعد أسبوع قليلة أحضر المطلوب فصُبَّت حروف كافية لطبع عدَّة كتب والمرجح أنَّ تلك المطبعة لم تجهَّز في المدرسة الرومانية بل بقيت في عهدة الطباع لوتكا. وأخبارها مفقودة اليوم.

وأول ما نشره الأب إليانو بالطبع التعليم المسيحي الشهير الذي صنَّعه الطوبوي بطرس كنيزيوس اليسوعي فعرَّبه وأضاف إليه ملحقاً دحضاً فيه أحسن الأضاليل الفاشية في الشرق وتمَّ طبعه بالحرف الكرشوني في نisan من السنة ١٥٨٠، وُسْطَحَ هذا الكتاب نادرة جدًا لا يُعرف منه سوى نسخة مصونة في مكتبة فريبورغ من أعمال سويسرا. ففي الصفحة الأولى صورة المصلوب على الجلجلة مع هذا العنوان بحروفه:

«التعليم المسيحي على جاري عادة كنيسة رومية الذي يلزم علمها وحفظها لكلِّ المؤمنين بال المسيح وهي على صفة السؤال والجواب في لسان العربي (sic) المختومة بمدينة رومية بأمر السيد فافا غريغوريوس الثالث عشر في يوم السابع من شهر نisan سنة ١٥٨٠ مسيحية».

وعلى الهاشم باللاتينية بخطِّ أحد السياح المسئَّ سبستيان ثارون كان أهداه الأب إليانو هذه النسخة إذ لقيه في سوريا سنة ١٥٨١ :

Catechismus Arabicus Chaldaico charactere per R.P. Joannem Babtistam Societatis Jesu Apostolicum in Phœnicia conscriptus. Et mihi Sebastiano Werron ab Authore in Syria dono datus. 1581.

وفي الصفحة الثانية صورة السيد المسيح يقلد بطرس رئاسة كنيسته وتحت الصورة آية متى (ف ١٦): أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة أبني يعتني ..

وممّا طبعه أيضًا بعد تعرّيه، كتاب المكرّم لويس الغرناطي في سرّي التوبة والقربان، وكذلك عَرَب وطبع قوانين المجمع الترينتيني وجدد طبع دستور الأمانة الأرثوذكسيّة الذي كان عَرَبَه سابقًا سنة ١٥٦٦ كما روينا.

وذكر الأب سكيني في تاريخ الرهبانية اليسوعية أنَّ الأب إيليانو طبع كتبًا أخرى معَرِّبة بقلمه منها التعليم الرومانى الذي كان ألهه الأب اليسوعي فرنسيس توريانو (Fr. Turiano) ثمَّ كتابًا في تفنيد أضاليل اليعاقبة والنساطرة (ولعلَّهما الكتابان السابق ذكرهما) ثمَّ كتاب الاقداء بال المسيح وصلوات القدس اللاتيني. وكلَّ هذه التأليف أصبحت اليوم أعزَّ من بيضة الديك. وكُنَّا أمَّلنا أن نجد منها نسخة في دير سيدة قُطُوبين في رحلتنا إليه في أوائل تشرين الأوَّل من السنة ١٩١٤، فلم يتحقَّق أمَّلنا.

وكان الأب يوحنا برونو يساعد الأب إيليانو في نشر تلك المطبوعات ويهتمُّ بتنظيم المواد التي ينبغي البحث عنها في المجمع المنوي عقده في لبنان.

أمَّا الكردينال كرافاً محامي الطائفة المارونية فأخذ يسعى في أمر درع الرئاسة لدى الحبر الأعظم ليرسله للسيد البطريرك ميخائيل الرزى إذ لم يتَّله بعد مع كونه بطريركًا منذ ١٣ سنة. وكان يحول دون منحه إياه ما رواه الدوبيهي في تاريخه (ص ١٧١ و٤٣٩-٤٤١) عن شكيات قدَّمها بعض أهل قبرس إلى الكرسي الرسولي يتهمونه بها في صحة إيمانه. فأحبَّ الحبر الرومانى أن يتَّضح الأمر جليًّا. وزاد ارتياح الكرادلة لما عرفوا ما تضمَّنه الإنجيل المخطوط بيد البطريرك من النصوص غير السديدة فأبى بعض أمراء الكنيسة الإجابة إلى طلبه لكنَّ الأب إيليانو أكد لهم حسن نية البطريرك وشهد عن تقاه ورضاه التام بتعاليم الكنيسة الرومانية مع استعداد جميع رؤساء الطائفة وأساقفتها لقبول أوامر الكرسي الرسولي. فازالت هذه الشهادة الحيَّة كلَّ ريب من عقل البابا والكرادلة الفاحصين وأسرع الحبر الأعظم في تقليد البطريرك الدرع المقدس المرموز به إلى سلطانه على كنيسته وسلمه إلى الأب إيليانو ليبلغه إلى غبطه البطريرك بعد تجديده أمامه تأدية الطاعة للحبر الرومانى.

وكذلك اهتمَّ الكردينال كرافا بتهيئة ٣٠٠ كأس مع عدد وافر من الحلل اليسوعية للأساقفة والكهنة ومن قوالب البرشان أودعها جمِيعاً عدَّة صناديق لترزَّع في لبنان على الإكليلروس الماروني.

فكَّل هذه الأشغال لم يمكن الآباء أن ينجزها إلَّا في أواسط الربيع من السنة ١٥٨٠ فصَّمَا حيَثَنِي العزم على السفر في العُشر الثاني من شهر أيار. وأراد الأب الأقدس أن يوازِرَهما بتعلیمات واسعة لتقْيم تلك السفارة على أحسن منوال فتوثَّق نهائياً عرى الاتحاد بين بني مارون ومركز الوحدة الكاثوليكيَّة.

وقد حَرَرَ تلك التعليمات الكردينان أنطون كرافا سان سفرينو (١٥٨٠) باسم العبر الأعظم، وهذه التعليمات مصوَّنة حتَّى اليوم في سجلات الرهبانية اليسوعية قد نشر منها المرحوم الأب أنطون رباط ما سطَّره الكردينال كرافا، فأنبَتَه بنَصِّه الطلياني في المجلد الأوَّل من كتابه المعنون بالآثار الخطية عن تاريخ الكنائس الشرقيَّة (ص ١٤٨-١٥١) وهي تتألَّف من ١٩ بندًا يوصي فيها الكردينال الآباء اليسوعيين بأن يتقدَّدا شؤون الطائفة في إيمانها وطقوسها وآثارها الكنائسيَّة وعاداتها في جميع أنحاء لبنان ويدوَّنا كلَّ ملحوظاتهم بالتدقيق وأن يقلَّدا الدرع المقدس غبطة البطريرك بعد استشهادهما صحة إيمانه وطاعته للكرسي الرسولي، وأن يجتهدَا في أن يصلحا بينه وبين الأساقفة الخارجيين عن طاعته بعد تأدِّيَتهم الخضوع لرئيس كنيستهم. وتاريخ هذه الوصيَّة في ٧ أيار ١٥٨٠.

أمَّا وصَاة الكردينال سان سفرينو فتارِيخ كتابتها في ١٠ أيار ضمَّنَتها مرغوبات العبر الأعظم بخصوص هذه السفارة فيقول للأباء إنَّ البابا يارسالهما إلى المشرق لا يقصُّ نظره على الموارنة فقط بل يريد أن يسعيا برءَة كلَّ الطوائف الشرقيَّة إلى حجر الكنيسة، ومن ثمَّ ينبغي عليهم أن يجتمعوا برؤساء تلك الطوائف من أرمن ويعاقبة وكلدان وأقباط ليعرضوا عليهم الاتحاد مع الكنيسة الرومانية بنَذِّ التعليمات الباطلة التي زرعها في قلوبهم عدو الله - ثمَّ يحرِّضهما على انتخاب بعض الأولاد الأذكياء يرسلانهم إلى رومية ليتهذَّبوا

فيها ثمًّا يعودوا إلى موطنهم فينشروا بين ذويهم المعتقدات السديدة. ومن وصايا الكردينال أن يبحث الأبوان عن الآثار الكنسية والمناشير البابوية التي أرسلت إلى الشرقيين فياخذوا صورتها لا سيما مناشير البابا أوجانيوس الرابع المرسلة بعد المجمعين الفلورنتياني واللاترانى.

وقد أضاف رئيس الرهبانية اليسوعية العام الأب مركوريان إلى هذه التعليمات وصاياً آخر نشرها أيضًا الأب أنطون رباط في مجموعته (١) : (١٤٥-١٤٧) مملوءة حكمة يذكُر فيها المرسلين بعظم المهنة التي عهدت إليهما وكيف يجب عليهما أن يتصرّفا في سلوكهما الخاص بكل بَرّ وقداسة وفي معاملاتهما مع الرؤساء الشرقيين بالمحبة والفطنة والأناة وببيهema بالاتفاق التام إلى غير ذلك من التنبّيات الأبوية المشعرة بحسن نظر ذلك الرئيس الهمّام.

سفارة الأب يوحنا الثانية إلى الموارنة (١٥٨٠-١٥٨٢)

كان موعد سفر الأب إيليانو ورفيقه الأب برونو في أواسط أيار ١٥٨٠ يوم عيد الرب فركبا السفينة من البندقية وأخذوا من ذاك الحين يخدمان القريب فكانوا يهتممان بالمرضى ويرشدان رفقتهم في السفر ويقضيان بقية الورقة في الفرائض التقوية. وكان الأب إيليانو في ساعات الفراغ يعرب المناشير البابوية المرسلة إلى السيد البطيريك وإلى طائفته، أمّا الأب برونو فكان يعده كلّ شيء للمجمع المقصود.

وقد كان هذا السفر سعيدًا نجا فيه المركب من قرصان الجزائر الذين شاهدوهم عن بعد، وكانت الريح موافقة حتى إنّهم بعد ١٥ يومًا فقط بلغوا قبرص (٢٩ أيار ١٥٨٠) وذلك من الأمور النادرة في تلك الأزمنة مع السفن الشراعية.

نزل الأبوان إلى الجزيرة فاستقبلهما السيد لويس قنصل البندقية هناك على ما يظهر وساعدهما على قدر طاقتهم في كل حاجاتهم. وكان فكرهما أن يقلعا بعد قليل ليذهبا إلى طرابلس لكنّ ربان السفينة أبي السفر قبل أن يبطل

الطاعون الفاشي في سورية. فاضطرّ المرسلان إلى أن يبقيا في الجزيرة فقضيا ذلك الوقت في زيارة أسقف الموارنة وأقنعاه بأن يأتي إلى لبنان ليحضر المجمع مع بقية الأساقفة. وكذلك زارا نصارى الجزيرة وعزّياهم لما يلقونه من ظلم الأتراك الذين تملّكوا على جزيرتهم منذ عشر سنوات. وخصّا بعنایتهم الموارنة وكان عددهم على ما حرّرا في رسائلهما نحو ١٥٠٠ نفس.

وبعد ثلاثة أسابيع وردت الأخبار عن بطلان الوباء فسافر المركب وكان قضى ٢٥ يوماً رابطاً في قبرص وبلغ إلى طرابلس في ٢٩ حزيران في ١٥٨٠.

من طرابلس إلى قُوين

تهافت عمال الديوان في طرابلس وهم أخلاقط من الترك واليهود وغيرهم على أمتعة الأبوين إيلانو وبرونو ليفتشوها فوق نظرهم على ما أتيا به من الآنية الكنسية والصور والكتب الدينية فخافوا أن يصيبهما أذى وانزعاج لولا الوجيه الماروني يوسف حبيش، فإنه بمحاجنته لرجلين من رؤساء العمال طويلاً القامة شديدّي الساعد أحدهما نصراني من الروم والآخر يهودي أنقذ المسلمين من كلّ عنف وهوان.

ويوسف هذا هو الشيخ أبو منصور يوسف بن حبيش الذي أتى عليه البطريرك الدوبيهي في تاريخه (ص ١٧٣) حيث قال إله «كان صاحب الكلمة والحظوة عند الأمير منصور عَسَاف المتألِّي وقتئذ على شمالي لبنان وكسروان وعند ولده الأمير محمد». وكان الأب إيلانو عرف فضله سابقاً في رحلته الأولى فاستفاد من حسن خدمه ونجا هذه المرأة أيضاً من طمع العمال بأداء شيء من الدرّاهم ولم يفقد من تلك الأمتعة سوى كأسٍ من نحاس مذهب أخذها أحد الأتراك. فشكر للشيخ يوسف معرفته وقدّم له رسالة الكردينال كرافاً مع الهدايا المرسلة له من ذاك الصديق للموارنة في رومية. فسُرَّ الشيخ بها ووعد المسلمين خيراً وأكّد لهم أنه سيفرغ الجهد في حمايتهم حينما حلّ. وكذلك عاملوا الديوان أحبّ الأبوان أن يظهرا لهما ممنونيتهم فأهدى الأب إيلانو النصراني كتاباً مزيّناً بتصاوير بدعة مضمونة سيرة المسيح.

واليهودي أهداه نسخةً من التوراة العبرانية. ثمَّ وَدَعَ الشِّيخُ يُوسُفُ الَّذِي كَانَ وَفَاتَهُ بَعْدَ ثَلَاثَ سَنِينَ فِي ١٩ أَيُّولُ ١٥٨٣ فَخَلَفَهُ فِي مَنْصَبِهِ أخُوهُ الشِّيخُ أَبُو يُونُسَ سَلِيمَانَ حَبِيشَ (الدوبيهي ص ١٧٣).

وَمِنْ خَدْمِ الشِّيخِ يُوسُفَ لِطَائِفَتِهِ أَهَّهُ فِي السَّنَةِ ١٥٧٠ لِمَا اسْتَولَى أَهْلَ بَيْرُوتَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى كَنِيسَةِ الْمَوَارِنَةِ وَجَعَلُوهَا قِبْرِيَّةً اتَّقَنَ مَشَايِخُ بَيْتِ الدَّهَانِ وَطَائِفَةِ الرُّومِ الْمُلْكِيَّينَ عَلَى أَنْ يُشَرِّكُوا الْمَوَارِنَةَ فِي كَنِيسَةِ السَّيْدَةِ الَّتِي لِلْمُلْكِيَّةِ فِي دَاخِلِ الْمَدِينَةِ عَلَى شَرْطِ أَنْ يُشَرِّكَ الْمُلْكِيُّونَ فِي كَنِيسَةِ مَارِ جَرجِسِ الَّتِي لِلْمَوَارِنَةِ خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَهِيَ الَّتِي تَعْرُفُ بِيَوْمِ بَمَقَامِ الْخَضْرِ قَرِيبًا مِنْ نَهْرِ بَيْرُوتِ ضَبْطِهِ عَلَى باشا وَجَعَلُوهَا جَامِعًا سَنَةَ ١٦٦١. وَهُوَ أَيْضًا الَّذِي اسْتَخْلَصَ سَنَةَ ١٥٧٢ بِوَاسْطَةِ الْأَمِيرِ مُنْصُورِ بْنِ عَسَافِ دِيرَ قَنُوبِينَ مِنَ الْفَرَائِبِ الَّتِي وَزَعَتْ عَلَيْهِ وَكَانَتْ بِالْغَةِ مَاتِي سُلْطَانِي. وَالسُّلْطَانِيُّ ثُلَّا الْقَرْشِ وَالْقَرْشِ يُوْمَنْدَ كَالْرِيَالِ يَوْمَ (تَارِيخُ الْمَوَارِنَةِ ١٧٣).

وَكَانَ السَّفِيرُ الرَّسُولِيُّ عِنْدَ وَصْوَلِهِ إِلَى طَرابُلْسِ أَرْسَلَ سَاعِيًّا إِلَى قَنُوبِينَ لِيُعْلَمَ غَبْطَةُ الْبَطْرِيرِيكِ مِنْخَانِيلِ بَقْدُومِهِ. فَسُرَّ بِذَلِكَ أَيْ سُورُ وَكَانَ إِذْ ذَاكَ طَرِيقُ الْفَرَاشِ فُودَ لَوْ يُسْتَطِعُ أَنْ يَخْفَ لَا سَتْقَابَ مَمْثُلُ الْحَبْرِ الْأَعْظَمِ لَكُنَّهُ أَوْفَدَ إِلَى طَرابُلْسِ لِيُنْبَغِي عَنْهُ الْمَطْرَانِ جَرجِسِ الْبَسْلُوقِيَّتِيِّ مَعَ أَحَدِ الرَّهَبَانِ وَصَاحِبِهِمَا بَعْضُ الْأَلْطَافِ وَالْزَادِ لِلطَّرِيقِ. فَلَمَّا بَلَغَا الْمَدِينَةَ رَجَبَا بِالْمَرْسَلِيَّنِ وَقَدَّمَا لَهُمَا بِاسْمِ السَّيِّدِ الْبَطْرِيرِيكِ التَّهَانِيَّ بِوَصْوَلِهِمَا سَالِمِيْنِ وَشَكَرَا قَدَاسَةَ الْبَابَا وَالْكَرْدِينَالِ كَرَافَا عَلَى التَّفَاهِمَ إِلَى الطَّائِفَةِ الْمَارُونِيَّةِ.

وَقَدْ وَصَفَ الْأَبُ إِلِيَانُو فِي رِسَالَتِهِ (Litteræ annuae, 1581, p. 202). مَسِيرَهُ الْبَهِيجُ مِنْ طَرابُلْسِ إِلَى قَنُوبِينَ وَتَقَاطِرُ أَهْلِ الْجَبَلِ لَا سَتْقَابَ الْوَفَدِ الرَّسُولِيِّ فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَتَغَنَّى بِالْأَهَازِيجِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْقُ الطَّبُولَ وَالدَّفُوفَ وَيَنْفَخُ الْزَرْمَارَاتِ. وَكَانَ أَهْلُ كُلِّ قَرْيَةٍ يَتَرَاحَمُونَ عَلَى السَّطْوَحِ عَنْدَ مَرْوَرِهِمْ وَالنَّسَاءُ يَتَهَلَّلُنَّ بِأَصْوَاتِ الْفَرَحِ (الْلَّاغِيَطِ) وَيَصْرُخُنَّ: أَنْتُمْ نُورُنَا وَنَجَاتُنَا فَلِيَحْفَظَ اللَّهُ الْكَرْسِيَّ الْبَطْرِسِيَّ (اللَّهُ يَخْلِي لَنَا الْبَابَا) وَنَائِبَهُ.

قال الدويهي في تاريخ سنة ١٥٨٠ (ص ١٧٧): «فلما وصل جوان باطيشتا وجوان برونا إلى الجبل ودنوا من الكرسي كان البطريرك مخائيل طريح الفراش فامر أخاه الأسقف سركيس أن يجمع الإكليلوس ليخرجوا إلى لقائهما بالمبادر وقراءة المزامير احتراماً لمن أرسلهما».

وكان وصول الأبوين إلى قنوبين يوم الثلاثاء ٩ تموز. فأحسن السيد البطريرك استقبالهما وقبلاهما بإذراف الدموع فرحاً. وشمل هذا السرور أخاه المطران سركيس الرزي وأساقفة الكرسي وجميع سكان الدير. وبلغ فرجمهم كلّ مبلغ إذ علموا بما أتى به المرسلان من المناشير البابوية ومن الهدايا الشهية فكان قلبهم مفعماً شكرًا ولسانهم مطلقاً في الثناء على قداسة العبر الرومانى ونيافة الكردينال كرافاً. وقد وقع هذا الاستقبال الواقع الطيب في قلب المرسلين الرسوليين فتأكد الأب إليانو أنَّ هذه السفارة الثانية سوف تأتي بالثمار الطيبة وتنزع من الزرع الجيد ما اختلط به من الزوان فتتأصل الأمانة الكاثوليكية في تلك التربة الصالحة. ثمَّ قضيا ذلك لنهايَّة يتحدثان عن رومية وأهلها وأثارها ولا سيما عن محبة البابا غريغوريوس والكردينال كرافاً لطائفتهم المارونية وعن الولدين المرسلين إلى أم المداين ليتخرجاً فيها في الآداب الكنسية.

ثمَّ جعلا يوم الخميس ٢١ تموز موعداً لاجتماع الإكليلوس وأعيان الطائفة ليبلغاهم رسميًّا كتابات العبر الأعظم والكردينال المحامي وعرض الهدايا التي تكرّما بها على غبطه البطريرك وحاشيته الكريمة.

ففي اليوم المذكور تمَّ ذلك الاجتماع في غرفة السيد البطريرك. فدخل المرسلان فوجدا غبطته وعلى يمينه المطران سركيس أخيه مع نخبة من أرباب الدين ووجهه الملأ حوله فأخذ الأب يوحنا إليانو يفضل أمامهم سبب بعضه إليهم والغاية الروحية التي توّجها الكرسي الرسولي من تلك السفارة ثمَّ أورد لهم خلاصة ما تتضمّنه البراءة الرسولية إلى غبطه البطريرك مع بقية الرسائل الموجّهة إليه وإلى شعبه. فلما انتهىأخذ البطريرك براءة البابا وقبلاها ووضعها على رأسه شاكراً للأب الأقدس حنّه وتعطفه على أولاده.

ثمَّ أبرز السفير البابوي ألطاف الحبر الأعظم وكان في مقدمة الدرع المقدس الذي أعدَّ للسيد البطريرك ثبيتاً لسلطته الروحية، ثمَّ كمية من البلسم لاستحضار الميرون المقدس مع الآية الالازمة لحفظه وحفظ الزيت المبارك. ثمَّ عدد وافر من الكؤوس ووجوه الهياكل وقوالب البرشان والصور الغالية الشمن وغير ذلك من الأئمة التقى من جملتها ألف مسبحة وردية كان الأبون اشترياً حبوبها وموادها في البندقية بخمسين ريالاً واشتغلا مع الأخ المساعد في نظمها بالأسلام في ساعات الفراغ.

ولشدَّ ما سُرَّ البطريرك والسادة الأساقفة بالكتب المطبوعة التي أتى بها المرسلان وكان البابا أفرغ جهده في استحضار الحروف لطبعها. وكان بين تلك المطبوعات التعليم المسيحي السابق ذكره (ص ٤٤) الذي ينسبه بعضهم إلى الأب جوان برونو وبعضهم إلى الأب إليانو والمرجح أنه للطوبوي بطرس كانيزيوس إلا أنَّ تعريره للأب إليانو فطلب كلَّ الحضور منه نسخاً فوزعه عليهم وعلى كلِّ من شاء من نصارى لبنان. فكان إقبالهم عليه داعياً لفرح المرسلين إذ استنتمجا منه خلوص رغبتهم في درس حقائق الدين القويم.

وكان المرسلان أتيا بعدد عديد من الحلل الكهنوتيَّة والبدلات لكتئهما رأياً أنها مع وفتها لا تكفي لجميع الكنائس. وكانت هذه الحلل مبطنة ذات لونين على وجهيها ففتحتها الأبون والشمامس اليسوعيَّ المساعد المسمى برترودينو وأفردوا كلَّ لونٍ وحده فضوعف بذلك عددها وأمكن توزيعها على معظم كنائس لبنان. وكذلك لم يف عدد الكؤوس بحاجة الكنائس فاستدان الأب إليانو خمسين ليرة من تاجر في طرابلس اسمه ريفولو ووفر عددها ثمَّ بلغ الكردينال كرافا خبر دينه راجياً أن يوفي عنه كما فرَّ ذلك في رسالته إليه المؤرخة في ١٩ تمُوز ١٥٨٠.

وما كاد الأبون يأخذان نصيباً من الراحة بعد أتعاب سفرهما حتَّى فكرَ في القيام بتأموريَّتهما، فاستدعايا الإكليرicos والشعب وأخذَا يسعان بإرشادهم. فباشر الأب إليانو بتلاوة التعليم المسيحي السابق ذكره مع شرح ما فيه من العقائد الدينية. وكان يتَّسع في بيان القضايا التي وجدها في كتب

الموارنة مبهمة أو غير موافقة التعليم الكاثوليكي فكان الجميع يُقبلون على استماعه بشوق ويرتاحون إلى تعاليمه برغبة.

وممّا عرضه على مسامع غطبة البطريرك والسادة الأساقفة صورة قوانين المجتمع المنوي عقده قريباً وكان حرّر تلك الصورة في مدة سفره من البدنديّة إلى قبرس مع الأب برونو وقصمه فصولاً كما يلي: في الثالوث الأقدس. في انبات الروح القدس. في طبيعتي السيد المسيح ومشيتيه وفعاليه. في صلاة التقديس المثلث (Trisagion). في المطهر. في عدد الأسرار وصورتها ورتبتها واستعمالها إلخ. في الإصلاح. فوجد السامعون هذه القوانين مملوءة حكمة وصواباً وإنما اعتبروا عليها بعض الاعتراضات التي أجاب عليها المرسلان بحيث أقنعوا المعترضين، وقد أفادوا الخبر الأعظم عن كلّ ما جرى من ذلك فأثنى البابا على عملهما وحرّضهما على مواصلة مهمّتهما بكلّ نشاط وفطنة.

ثم ثبنا على تلك الإرشادات إلى عيد انتقال السيدة إلى السماء فكانا يفسران كتبًا أخرى أتيا بها لإفاده الجمهور. وكانا يقضيان بقية الوقت في الأشغال اليدوية وذلك أنّهما كانوا تعلّما في إيطالية صناعة تجليد الكتب بمساعدة الأخ برناردينو ريفيقهما فجلّد ثلاثتهم كثيراً من الكتب التي وزّعت على الكهنة وجمهور الشعب.

المجمع الملني في ١٦ آب ١٥٨٠

يستعدّ الموارنة كمالوف عادتهم في ذلك الوقت لعيد السيدة بالصوم والقطاعة مدة خمسة عشر يوماً وبالصلوات والفرائض التقوية والرتب الكنسية التي حضرها المرسلان مثنين على تكرييم الشعب البتوأ الطاهرة. ثم أرسل السيد البطريرك واستقدم الأساقفة والكهنة وبسبعة من أعيان الطائفة ليحضروا حفلات العيد في الكرسي البطريركي بدون أن يذكر شيئاً من أمر المجمع لثلاً يحدث بذلك بعض سوء تفاهم.

فلما كان بيرامون العيد أخذ المدعون وكثير من أهل القرى يبادرون مسرعين إلى دير سيدة قنوبين لقيموا ذلك العيد بأعظم ما يمكن من الرونق

والأبهة وخصوصاً بسبب حضور نواب الخبر الأعظم الروماني حتى بلغ عددهم في غلس العيد ٢٢٠٠ نسمة، فضاقت بهم أرجاء الدير مع رحبتها، ومع ما كان عليه الكرسي من الفقر في تلك الأيام رحب البطريرك بجميع الوفدين وأحسن ضيافهم. وكان الوفود عند قدومهم يلثمون أنامل غبطته ثم يقدموه واجبات الإكرام للأبوبين ويفيضون في مدح قداسته البابا الذي أرسلهما إليهم.

ولما حانت الساعة في ضحى النهار لبس السيد البطريرك حلّ التقديس وسار بكل احتفال إلى كنيسة الدير وإذا هي مزданة بأفخر زيتها تتلاً الأنوار على هيكلها. وكان بجانبها المرسلان الرسوليَان وحوله السادة الأساقفة وجمهور الكهنة والشعب. وكان أمر غبطبة البطريرك بأن تُعد للاقاصدين سدَّتان يجلسان عليهما على جانب الهيكل وأراد هو مع الأساقفة أن يجلسوا على درجات الهيكل فلم يرض الأبوان بهذا الإكرام الزائد ولم يجلسا حتى أحضر للسيد البطريرك عرشه ولجميع أساقفته مقاعد آهله برتبهم. فباشر غبطبة بقداس احتفاليٍّ غاية في الأبهة والرونق كما تقتضيه الأحوال.

ولما انتهت الذبيحة الإلهية تقدَّم الأب إيليانو أمام المذبح وتلا الصلوات إلى الروح القدس التماساً لفيض نعمته. ثم جلس كلّ في مرتبته فلفظ الأب المذكور خطاباً أنيقاً في العربية افتح به المجمع المقصود فيَّن بوجيز الكلام وأوضحه ما هي غاية سفارتهم وما يُتَّظر من الشمار الطيبة بانعقاد ذلك المجمع. ولأنَّ المجامع يفتحها عادةً أرباب الكنيسة بتلاوة صورة الإيمان أشار على الحضور بأن يتلوها بعده عبارةً فبارةً كما وضعتها الكنيسة الرومانية أم كنائس المعمور المبنية على الصخرة البطرسية فيياركون ما تباركه ويلعنون ما تلعنه. فما سمع الجمهور هذا الكلام حتى هتفوا بصوت واحد: لا نعتقد إلاً ما تعتقد الكنيسة الرومانية فإيمانها إيماناً ولأجل هذا الإيمان نحن مستعدون لقبول الموت والعقاب^(١).

(١) كما روى الأب إيليانو في رسالته التي نقل خلاصتها الأب سكيني مؤرخ الرهبانية اليسوعية الشهير (Sacchini, I, 100-105).

فوزَ الخطيب حينئذ نسخاً مجلدةً من صورة الإيمان المذكورة ثمَّ جثا راكعاً أمام المذبح وتلا بصوت جهور ذلك الدستور والحضور يكررون بعده عباراته. ولما أنجز تلاوته أخذ الإنجيل الظاهر وتبَّع الصحف مباشرةً بالسيد البطريرك ثمَّ الأساقفة ثمَّ الكهنة ثمَّ الشعب طالباً منهم جميعاً أن يقسموا عليه بروض اليد أنَّهم يقرُّون بذلك العقائد ولا يخالفونها أبداً. فأقبل الجميع على ذلك القسم بفرح جزيل مع تكرار أصوات الرضى والتهليل.

وفي أثر ذلك أردف الخطيب قائلاً: إنَّ بطاركة الطائفة المارونية منذ عهد البطريرك إرميا العمسيتي في زمن البابا زخيا (إينوشنيوس) الثالث الذي كان يرأس الكنيسة سنة ١٢١٥ قد جروا على العادة عند انتخابهم لرئاسة الكرسي الانطاكي على الموارنة أن يرسلوا وفداً إلى الحبر الروماني ليثبتهم في سلطتهم. فبموجب هذا التقليد القديم قد طلب غبطه البطريرك الحالى هذه النعمة من الحبر الأعظم الذى لم يتريث أن يمنحها إياه تلبيةً لدعوة الكردينال كرافا الذي قاوم بعض المعارضين على ذلك. ومن ثمَّ قد سلمنى قداسته البراء المؤذنة بثبيته ومع البراءة رقيم سعادة المطران سركيس شقيقه يقيمه به نائبًا عنه ليسلمه باسمه الدرع المقدس بعد أن يعلن بإيمانه وفقاً للصورة المرسلة من قداسته. ثمَّ شرح الأب إليانو معنى ذلك الدرع وأثبت عظم شأنه وفسر البراءة الرسولية المؤذنة بتقليله وبين للمطران سركيس كيف يخوله لغبطه البطريرك، فتمَّ الأمر كما كان مفضلاً في الرقيم الوارد باسمه فتلا السيد البطريرك صورة الإيمان والخصوص للكرسي الرسولي وأقسم بأنه لا يحيد عنه فوضع حيتنه السيد سركيس ذلك الوسام على عنق البطريرك.

فعملت إذ ذاك أصوات الفرح لما رأت الجموع رئيس الطائفة الأجل مزداناً بشعار اعتصامه المتين بمركز الخلافة البطرسية فأخذوا يهتفون: «المجد لله كيرياليسون. العز والفاخر للبابا غريغوريوس كيرياليسون. الشكر للكردينال كرافا محامي طائفتنا كيرياليسون. الثناء والحمد للأب جوان باطليشنا ولرفيقه. وللدم الله على رأسنا غبطه سيدنا البطريرك ويعزز به طائفتنا المارونية الابنة المطيبة للكنيسة الرومانية». وكانت الأجراس في أثناء ذلك تُقرع فيتردد

صداتها في تلك الأودية العميقه وهي تستفرز الحمية الدينية في كل القلوب . فكانت الدموع تهطل من عيون كثرين من الكهنة والشيوخ سروراً بينما كان المرسلان يقدمان الله الشكر العظيم لمباركته على أعمالهما مؤمنين خيراً من المجمع المفتوح بتلك الهشاشة والأريحية ، مستمدّين من مراحمه أن يكون ختامه صالحًا كافتتاحه وهم يعلمون حتى العلم أنَّ أبا الظلمات يترصد لعمل الله ليعيقه ويعرقله .

ثمَّ تخلَّى السيد البطريرك والسايدة الأساقفة مع نائبى الحبر الأعظم لدرس قضايا المجمع والبحث فيها فعقدوا لذلك عدَّة جلسات مدة ثلاثة أيام فأيدوا باتفاق الأصوات ما عرضه المرسلان بخصوص عقائد الإيمان في الثالوث الأقدس وابناث الروح القدس وطبيعتي السيد المسيح ومشيئته وفي صلاة التقديس المثلث والصلوة على الموتى وفي أسرار الكنيسة السبعة إجمالاً وإنفراداً وفي الإصلاح مشتملاً على كلَّ رتب الكهنة وتصريف أربابه مع رأس الكنيسة الجامعة ورؤسائهم ورعاياهم وما يجب عليهم قوله من الأسفار الإلهية ونفي كتب الهرطقة . وكان الأب إليانو يعرض كلَّ ذلك فصلاً فصلاً ويدوّنه بالعربية فيمضي عليه آباء المجمع كلَّ واحد باسمه مع ختمه وسُجّلت أعمال هذا المجمع لتحفظ في الكرسي البطريركي . ونقلها الأب إليانو إلى اللاتينية فبقيت محفوظة في سجلات الرهبانية اليسوعية حتى نشرها المرحوم الأب أنطون رياط في مجموعة المعون *(Documents inédits pour servir à l'Histoire du Christianisme en Orient, I, 152-169)* . وهي غاية في الفائدة لمعرفة تاريخ الطائفة المارونية ورد الشبهات التي اتهم بها البعض الأب جوان باطيشتا . وترى في آخرها أسماء المثبتين لأعمال المجمع، أولها اسم السيد البطريرك ميخائيل الرزّي يليه اسم القاصدين الرسوليين ثمَّ الأساقفة سركيس من كفرحورا ويعقوب العاقوري وجرجس السلوقيتي ويوحنا الأهدناني وأقليمس الأهدناني ويوسف مطران قبرس ويوحنا الحصروني وكلَّ منهم يضيف إلى اسمه قوله: «قد رضيت وختمت» وهذه الأعمال في عشرة أبواب ولكلَّ باب عدَّة فصول وكلُّها باللاتينية ، أما الأصل العربي فلا يعلم

ماذا حلّ به. والعجب أنَّ مؤرخ الطائفة المارونية البطريرك إسطfan الدويهي لا يشير إليه مطلقاً وكأنَّه يجهله، وغاية ما ذكر هناك قوله عن تقليد الدرع للبطريرك (ص ١٧٧ و٤٤٤): «وفي عيد انتقال السيدة وهو عيد كنيسة الكرسيّ أمر (أي البطريرك) بحضور جميع الكهنة وأعيان الشعب ولبس الدرع وأقام قداساً وأقسم بالطاعة بموجب الصورة التي ربّها الآباء في مجمع ترنتو».

وفي أثناء المجمع حضر إلى قُتبين أحد أساقفة اليعاقبة وبصحبته رجل من علماء طائفته. فأكرم المجتمعون مثواهما ودعوهما إلى حضور جلسات المجمع ورخصوا لهما أن يعرضا ما شاءا من المشاكل الدينية على آباء المجمع وقد سُرَّ القاصدان بمجيئهما وأحْبَّا أن يُعلنَا اعتقادهما في طبيعتي المسيح ليشذ المرسلان من قولهما فرصة لإيضاح العقائد الكاثوليكية. ولما صرَّح الأب إليانو بأنَّ الكنيسة الرومانية تعتقد في السيد المسيح طبيعتين ومشيئتين وفعلنَ أنكر الأسقف اليعقوبي قائلاً: بل طبيعة واحدة - قال الأب إليانو: «أيُّ طبيعة البشرية أو الإلهية؟» - قال رفيق الأسقف: الطبيعة الإلهية بلا شك - قال الأب إليانو: «وكيف أمكن الطبيعة الإلهية أن تولد وتتألم وتموت؟» - قال الأسقف: لا بل هي الطبيعة البشرية. - قال الأب: فكان إذن السيد المسيح خلوا من الطبيعة الإلهية فليس هو إذن إليها. وذلك ما تخالفه أعماله وأقواله إذ ينسب إلى نفسه اللاهوت وهو يتكلَّم كإله ويجرح المعجزات كإله وكسيِّد الخلية». واندفع الأب إليانو في شرح هذه الحقيقة شرحاً وافقاً مثباً بآيات الإنجيل وأقوال الآباء طبعتي السيد المسيح ومشيئته و فعلَّه في أقواله الواحد حتى أبكم الأسقف ورفيقه المعارضين فلم يعودا ينسَا بيت شفَّة. فسرَّ الموارنة بانتصار الحقيقة ولم يتوقفوا عن التوقيع على كون المسيح ذا طبيعتين ومشيئتين وفعلنَ ولم يبق لهم ريب في ذلك.

وفي مَذَّ المجمع عينه في أوقات الفراغ قصد المرسلان أن يوزِّعا ما أتيا به من المواد التقوية كالصور والمسابح والأيقونات والكتب مع حسَّنات أخرى نكِّرم بها العبر الأعظم على فقراء الطائفة. وكذلك دعوا الكهنة ليقسموا

عليهم الحل المقدّسة وآنية التقديس وإنما أخذنا في ذلك مشورة السيد البطريرك وشقيقه المطران سركيس وزعّا تلك الحل ومثلها الكؤوس على الكنائس الفقيرة. أما قوالب البرشان فلقلة عددها لم تُعطِ إلا لبعض الكنائس الكبرى على شرط أن تهنىء القربان للكنائس المجاورة. بيد أنَّ الأساقفة أرتأوا أنَّ حرقهم قد بُخست بهذا التوزيع وهم أحقر من الكهنة بتلك الهدايا. فوعدهم الأب إليانو بأنَّه يطلب لهم من رومية ما هو أغلى منها ثمناً وأرفع شأنًا. فكتب في هذا الصدد إلى الكردينال كرافاتي في ١٩ تموز ١٥٨٠ وخصص بالذكر المطران سركيس وطلب له بدلةٍ فاخرة، وممَّا كتبه أنَّ هذه الهدايا ألهفت قلوب اللبنانيين فقبلوها بملء الشكر ومزيد الفرح. وكتب أيضًا في المعنى للحبر الأعظم ووصف له خلاصة ما جرى لهما تلك المدة.

وكان في تلك الأثناء بعض الغشماء ومحبي الفتن أشعروا بين الموارنة البعيدين عن الجبل كدمشق ويعيلك وقبرس أنَّ الحبر الأعظم أرسل القاصدين ليديلاً طقوسهم ويكلّف الطائفة ضرائب مالية. فبلغت إلى الكرسي البطريركي رسائل بهذا الصدد وقف عليها الآباء. فلنلاً تسري تلك الأراجيف اجتماعاً بأساقفة المدن المذكورة قبل رجوعهم إلى أبرشياتهم وأوصاهم بتنفيذ تلك الإشاعات الباطلة وخلوص محبة الحبر الروماني لكتائسهم. وهكذا فعل السيد البطريرك فكان عند دادعه للأساقفة ووجه الشعب يحضُّهم على الاعتصام بالإيمان الكاثوليكي الروماني وعلى الدفاع عنه إلى الموت. وأوصاهم بأن يقبلوا بكل إكرام القاصدين عندما يزورانهم وبمعيّتها أحد أساقفة الكرسي إن لم يستطع هو أن يرافقهما، وأن يخضعوا لأوامرهما بخصوص فحص الكتب المخطوطة فيتقادوا لحكمهما فيها ويصلحوها أو يحرقوها كما يقضيان.

ومن آثار المجمع الذي مرَّ لنا ذكره أنَّ القاصدين أمكنهما إصلاح ذات البين الواقع بين السيد البطريرك ميخائيل وبعض أساقفة الطائفة وهم ثلاثة يعقوب العاقلاني والحييس يونان وأخوه القس يوسف ابن علوان من سمر جبيل، كان المطران داود وكيل دير قزحياً سقفهم بدون مشورة البطريرك

فريطهم البطريرك ولم يرض بحلّهم من الرباط في رحلة الأب إليانو الأولى. ففي هذه السفارة الثانية استند الأب إليانو وسعه في حسم الشّرّ فدعا إليه أولئك الأساقفة وخطابهم مراًة حتّى أقنعهم بأن يذهبوا وينظرحوا عند أقدام غبطة البطريرك ويستمدوا منه الصفح عن ذنبهم وينقلوا ما يفرضه عليهم من التأديبات فعلوا: وكان القاصدان استرحما لأجلهم السيد البطريرك وساعدهما في ذلك الشيخ يوسف حبيش فرحمهم وصالحهم لكنه منعهم من التصرُّف بحقوق الأسقفية. وهكذا تَمَّ هذا الشقاق الذي طالت مدّته نحو ثلث سنين كما فضل ذلك الأب إليانو برسائله إلى الحبر الأعظم على خلاف ما ذكر الدويهي (ص ١٧٥) من أنَّ «ذلك انتهى بعد ثلاثة أشهر بشفاعة المقدّم مُفلد الشدياق خاطر» والله أعلم.

زيارة الأب إليانو لقرى لبنان

لم يشا السفير الرسولي الأب يوحنا إليانو ورفيقه الأب برونو أن تبقى أعمال مجمع قُطُّعين حبراً على ورق مطموراً في زوايا المقام البطريركي بل صَمَّما العزم على نشر مضامينها في أنحاء لبنان فيجني ثمارها الروحية وينعمها الخلاصية جميع أبناء مارون. ولذلك قصدا زيارة قرى لبنان وتتفقد شؤون الطائف وإصلاح ما لعله يكون طرأ على بنيها من الأضاليل لمحاورتهم الميل غير النصرانية وأصحاب البدع المشذوبة بالحرم.

فعرضوا الأمر على غبطة البطريرك ميخائيل وعلى أخيه المطران سركيس فاستصويا رأيهما لأندراهما بما يحدق بهما من الأخطار في تجوالهما بين أمم غريبة وجوايسis الحكومة التركية التي تعدُّ الأجانب كأعدائهم فتُهمهم بقصد بلادها لترويج سياساتهم الفاشية.

فاستدرأكا لهذا الخطر استشار الأب إليانو الشيخ يوسف حبيش لعلمه بموقعه عند أمير لبنان الشمالي منصور عساف فاختار رجلاً من أصحابه أو عز إليه بمرافقة الزائر الرسولي على شرط أن يدفع لهأجرة خدمته. وأشار السيد البطريرك إلى الأب إليانو أن يلبس ثياب الكهنة الموارنة ويطوف القرى دون

رفيقه الأب برونو لأنّه لمعرفته اللغة العربية وعادات الوطن لا يُستراب بجنسيّته وهكذا فرَّ الأمر كما روى ذلك الأب إليانو في أحد مكاتبه إلى رئيسه العام مصرحاً بملء اتكاله على الله واستعداده لاحتمال كلّ المشقات في سبيل الكنيسة وخدمة الأمة المارونية.

ولم يلبث الأب المذكور أن يياشر بالزيارة المنوية مبتدئاً بالقرى المجاورة لدير قُنوبين كالحدث وبشري إاهدن وحصرون. وسار أولاً في رفقة السيد البطريرك بنفسه ثمَّ أصححه بعض توابه.

وقد وضفت الأب إليانو في رسائله إلى الكردينال كرافا وإلى رئيسه العام الأب إفرزد مركوريان في أيلول وتشرين ١٥٨٠ سلوكه في تلك الزيارات. قال إنّه يدعو الشعب والكهنة ويحرّضهم على الاستمساك بعمر الإيمان والطاعة للكرسي الرسولي ويشرح لهم خلاصة المعتقدات المسيحية وخصوصاً العقائد التي وقعت فيها بعض الشبهات أو شوّهها في كتبهم الطقسية جهله الناشخ أو المبتدعون. وكان في الوقت عينه يُعدّ الشعب والأحداث لاقبال سر الشتبيت الذيرأى بعض الخلل في منحه مع المعمودية فكان السيد البطريرك يمنّه لجميع الشعب بعد أن يفسّر لهم الأب إليانو ما ينوط به. ثمَّ كان الزائر الرسولي يوزع عليهم الصور والمسابح وبعض الحسنات ويعتني خصوصاً بإرشاد الكهنة ليحسنوا تدبير رعاياهم.

وجعل الأب إليانو أول اهتمامه في تلك الزيارات نشر قوانين مجمع قُنوبين في كلّ أنحاء الجبل، واتفق مع السيد البطريرك أن يختصر موادّها ويستصفي لبابها ويعدّ نسخها لكي توضع نسخة منها في كلّ كنيسة ليطلع عليها الجميع. وفي سجلات الرهبانية اليسوعية نسخة منها باللاتينية كما صنّفها الأب إليانو باسم البطريرك ثمَّ عربّها وكتب منها مائتي نسخة. وهذه صورتها:

وصايا غبطة السيد ميخائيل الرزّي بطريق الطائفة المارونية الواجب على الجميع قبولها وحفظها

الباب الأول

١) وصايا عمومية

- (١) يجب ذكر الابن الإلهي مع الآب في دستور الإيمان عند ذكر انبات الروح القدس (المنشق من الآب والابن).
- (٢) كما أننا نعتقد وجود طيبتين في السيد المسيح ونسجد لهما كذلك نعرف بأنّ في شخصه الإلهي الوحد مسيحيّتين وفعليّتين.
- (٣) يجب تلاوة التقديس المثلث على هذه الصورة: «قدُوس الله قدُوس القوي قدُوس الذي لا يموت» دون أن يزاد عليه «الذي صلب لأجلنا» فإنّ هذه العبارة مختصة بالأقnon الثاني.
- (٤) يعلّمنا الإيمان الكاثوليكي أنّ المؤمنين الذين يموتون في حالة البرارة دون الوفاء التام عن خطاياهم مع إهمالهم لشمار التوبية اللاحقة تُظهر نفوسهم بعد الوفاة بعذابات المطرور ويمكن المؤمنين الأحياء أن يخفّفوا تلك الأوجاع بتقدّمتهم على نيتهم ذبيحة القدس الظاهرة والصلوات والحسنات وغير ذلك من الأعمال الصالحة.
- (٥) يجب عmad الأطفال قبل أربعين يوماً لما يتهدّد حياتهم من المخاطر العديدة ومن المعلوم أنّهم إذا ماتوا دون هذا السر يحرمون إلى الأبد من الملوك السماوي.
- (٦) ليس للكاهن سلطة بأن يمسح جين المعمد بالميرون فإنّ ذلك مختصّ بالأسقف الذي يمنع سر الشبت للأولاد البالغين السنة السابعة من عمرهم^(١).
- (٧) لا يجوز توزيع القربان على الأحداث قبل بلوغهم سن الرشد.
- (٨) على كل المؤمنين أن يعترفوا بخطاياهم لkahen لهم ثلاث مرات في السنة أو مرّة على الأقل ويتناولوا من يده على عيد الفصح.
- (٩) إذا حفظ القربان في الكنيسة يجب تجديده على الأقل كلّ شهرين.
- (١٠) إذا انفصل الرجل وزوجته عن بعضهما بسبب الزنا لا يجوز لهما عقد زواج آخر قبل وفاة أحدهما. ولكن إذا اصطلحها لا بأس أن يعيشَا معاً.

(١) هذا مسموح به في الطوائف الشرقية برخصة الخبر الأعظم ضمّاً.

(١١) يجب على رعاة الكنائس أن يعلّموا أيام الأحد والأعياد جميع أبناء رعيّتهم دستور الإيمان ووصايا الله والصلة الربية والسلام الملائكي وبقية الأشياء المفيدة للخلاص الأبدي.

(١٢) يحسن بالمؤمنين تلاوة الوردية مع تأمل أسرارها.

الباب الثاني

٢ وصايا خاصة بالأسرار المقدسة

إنَّ في توزيع الأسرار أعمالاً وأقوالاً عديدة يتولَّها الكاهن إلَّا أنَّ بينها ما هو ضروري وجوهري حتَّى لو أهمل لا يبال السُّرُّ دونه. وهذه قائمتها:

(١) في العمودية يجب أن يسكب الكاهن ماءً طبيعياً على رأس الولد أو يغطّسه في جرن العmad وهو يقول في الوقت ذاته: إنِّي أعمدك باسم الآب والابن والروح القدس.

(٢) في سر القربان يجب اتّخاذ خبز البُّرْ وخمر الكرم ممزوجاً قبل تقدّمه بقليل من الماء ويجب على الكاهن أن يتلو على خبز الذبيحة هذه الألفاظ: «هذا هو جسدي» وعلى الخمر الممزوج بالماء: «هذا هو كأس دمي للعهد الجديد الأبدي وسر الإيمان الذي يُهرق لأجلكم ولأجل كثيرين لمعرفة الخطايا».

(٣) في سر التوبية يجب على المعترف بعد الفحص المدقّق أن يقرَّ بجميع خططياته الحميتة التي يعرف أنه اقترفها. ويجب على الكاهن بعد سماعه بإقرار تلك الخططيات أن يتلو على التائب صورة الحلة هذه: «إنِّي أحُلُّك من جميع خططياتك باسم الآب والابن والروح القدس».

(٤) في سر المشحة يجب على الكاهن أن يمسح بالزيت المكرَّس ببركة الأسقف عيني المريض المشرف على الموت وأذنيه ومنخرتيه وشفتيه ويديه ورجليه وكلتيه بينما يتلو على كلّ عضٍ قوله: ليمنحك رب براسطة هذه المسحة ويرحمته تعالى المنفحة عن كلّ ما اقترفته «بنظرك» أو «بسمعك»... إلخ.

(٥) في سر الزواج لا بدّ من رضى الزوجين المتّبادل الظاهر علَّنا بهذا اللفظ أو بما يشبهه: إنِّي أقبلك كزوجة لي... إنِّي أقبلك كزوجي.

فهذه خلاصة مجمع قنوات انتشرت بمساعدة الآباء إلى أنحاء الجبل وفي المدن حيثما كان يقطن الموارنة كطرابلس وحلب ودمشق. وهو

يكسر مراراً في رسائله أنها أفادت كثيراً في إزالة الأضاليل السارية في الشعب وأنَّ السيد البطريرك ميخائيل سرَّ بها ووَقَعَها أيامه. وكان الإكليروس والشعب عموماً يرضخون لحكم الأب إليانو ويقبلون تعليمه إلاً في مادة الطلاق فإنَّهم اعترضوا عليه أنَّه يصعب إقناع الناس على ترك الزواج عند طلاق أحد الزوجين لسقوطه في زنى. لكنَّ القاصد الرسولي أماط القناع عن تلك الحقيقة وأثبتها بآيات الإنجيل ونصوص الآباء القديسين وتعاليم الكنيسة حتى اقتنع الجميع بقوله وأعلن السيد البطريرك أنَّه مذ ذاك الحين لن يسمح لأحد بالزواج طالما زوجته بالحياة ولو وقع الطلاق بسبب الزنى. ثمَّ جرى على ذلك وإذا أتى إليه أحد الأعيان بعد مدة وقدم له مبلغاً وافراً ليُخص له الاقتران بأمرأة لتطليقه زوجته الأولى بسبب الزنى ردَّه خاتماً.

بيد أنَّ الأب إليانو لم يجترئ بنشر قوانين مجمع قُوَّين لقطع الزواج من حقل رب البيت، فإنه كان تحقق في سفارته الأولى أنَّ كثيراً من كتب الموارنة الدينية والكنيسة قد اندسَت فيها تعاليم مخالفه لمعتقدات الكنيسة الرومانية أوقف عليها غبطة السيد البطريرك والمطارنة، فوافقوه على فسادها ناسين ذلك إلى نسخها من ذوي البدعة العقوبية أو من جهال الطافة. فحسماً لهذا الداء كان الأب إليانو حينما يحلُّ يعيد النظر في كتب الكنائس ويشير إلى ما فيها من التصوص المغشوشة وغير السديدة فيه الكهنة على فسادها ويشير إلى إصلاحها أو بيتاعها من أصحابها فيحرقها ويعدهم بنسخة منها بعد طبعها في رومية مصححة. وفي مكتبة باريس العمومية بين الكتب السريانية كتاب موسوم بالعدد ٢٢٥ (Fonds Syriaque, p. 171-173) وهو مجموع قوانين البيعة لابن العسَّال القبطي ولتو ما الكفرطابي بالكرشونية نسخة في بان سنة ١٧٨٦ للاسكندر (١٤٧٦م) الكاهن إبراهيم بن سركيس فنظر فيه الأب إليانو وكتب بخطه في صدره بالإيطالية «أنَّ هذا الكتاب يحتوى عدَّة أضاليل وأنَّه يُقتضى إحراقه».

وقد كرَّرَ الأب إليانو في رسائله ذكر الكتب الدينية الشائعة بين الموارنة والضرورة المائة إلى إصلاحها وإلى طبعها منقحة في رومية، ولولا ذلك

تبقى جرائم البدع متبةً بين العوم ويظلّ الإيمان معرضاً لآفات الضلال رغمَما عن استقامه الموارنة وحسن نيتهم، كما عاد الكلدان إلى النسطورية بعد تقدمهم الطاعة للحبر الروماني لشيوخ الكتب الهرطوقية فيما بينهم^(٢).

ومما يؤيد رأي الأب اليسوعي أنَّ بعض الموارنة بعد وفاته باشروا في رومية طبع رتبة القديس والتوافيير الجارية في كنائسهم وذلك في السنة ١٥٩٤ وإذ لم يكن في رومية من يعرّف اللغة السريانية اختاروا بين النسخ الخطية التي استندوا إليها نسخة فاسدة تشتمل على عدّة نوافير منقوله عن الياقبة كنافور برشوشان ومار مارونا مع ذكر المبتدعين في عداد القديسين المطلوبة شفاعتهم ولا سيما برسوماً أحد زعماء البدعة العقوبية (ص ٩٨ و ٢٤٥). وفي مكتبة كمبردج بين مخطوطاتها السريانية (Wright.II, 1060) نسخة من التوافيير المارونية بينها «طقس القديس مار برصوما».

ومن الأدوية الناجعة التي عمد إليها الأب إليانو لنفي الجهل وتقريراً للإيمان في لبنان إنشاء المدارس للأحداث، فإنه تحقق ما كان عليه الشعب من الجهل المُطبق حتى إنَّه أكَد في بعض رسائله أنَّ الذين يعرفون في لبنان القراءة والكتابة لا يتجاوزون عدد الأصابع. فأفرغ جهده حينما كان يمرّ كي يتَّخذ معلِّمين للصغار وهم غالباً كهنة الرعايا كان الأب يدفع لهم بعض الأجرة ويحرِّض السيد البطريرك على مساعدتهم بقسم من مال الأوقاف.

واختار بين أولئك الأحداث أربعةً وجدهم أذكي وأنشط من أترابهم أراد الاعتناء بهم ريثما يرسلهم إلى رومية فيدرسون هناك العلوم الدينية ويعودون بعد إتقانها إلى وطنهم. وسيأتي ذكرهم.

قضى الأب إليانو سنة كاملة (آب ١٥٨٠ -أيلول ١٥٨١) وهو يطوف في جهات لبنان ساعياً بكلّ ما يُؤْول إلى خير الطائفة المارونية لا يأخذه في ذلك

(٢) وقد وجد الأب إليانو بين الكتب التي وقف عليها بعض المخطوطات القديمة التي عدّها زينة للمكتبة الراهباتية فابتاعها لها. منها توراة كاملة على ورق غزال من القرن الثاني عشر. ومنها تاليف القديس يوحنا الدمشقي في الإيمان القويم كان يريد أن ينشره بالطبع ويرسله إلى الشرق فيوزّعه لنوابله.

لومة لائم ولا يثنى عزمه شيء من التعب والمشقات. وكان الأب برونو والأخ برتردينو يصحبانه في بعض أسفاره الرسولية فيسرون ثلثتهم إلى حيث يستدعهم خير الفروس، وفي رسائل الآباء برونو وإليانو أنّهم اختبروا غير مرئية آلام السيد المسيح وأنّهم وقعوا في أيدي اللصوص وعصابات المسلمين فنهبواهم وضربوهم بالعصي وحبسوهم وحكموا بالإعدام على الأخ برتردينو وأنّهم لولا ما دفعوه بالرشوة لمغتصبهم لما نجوا من أذاهم. وقد أثروا على بعض تجار الفرنج في طرابلس الذين تكفلوا لهم بالمال وفكوا به أغلالهم.

وفاة البطريرك ميخائيل الرزي وأثاره

لقي المرسلون طول مدة إقامتهم في لبنان كلّ حفاوة وإكرام من لدن زعيم الطائفة المارونية ورأسها الجليل. ولا يزال الأب إليانو في كتاباته يُطربُ محامده ويُعلن بصدق إيمانه وتشبّهه التامّ بأعتاب الكنيسة الرومانية، وقد استمدّ له من الكرسي الرسولي بعض الإنعامات كالمعافاة عن زيارة رومية كلّ ثلاث سنوات بشخصه وكسيامة المتزوجين مرّتين قبل الكهنوت والإعلان بشرعية المواليد غير الشرعيين، ولدينا قائمة ما التمسه من الحسنات للبطريرك الموما إليه. على أنّ ثقل الأيام وأعباء السنين كانت أضعف فوى السيد ميخائيل فلم يعد يستطيع أن يقوم بكلّ واجباته.

ولما كانت أواسط شهر أيلول من السنة ١٥٨١ زاد ضعفه ولزم الفراش ولم يزل يتفاقم داؤه حتى شعر بدنو أجله وفي يوم العشرين من أيلول استدعي الأب إليانو لمساعدته في رحلته إلى الأبدية فأسرع السفير الرسولي إلى تلبية دعوته ومنحه سرّ المسحة الأخيرة بحضور كثريين من الأساقفة والكهنة والأعيان فأقرأهم الوداع وأوصاهم بحفظ وديعة الإيمان والخضوع للكنيسة الرومانية وختم ذلك بقوله: «إبني أرانى سعيداً أن أسلم نفسي في أيدي خالقها وبقربى ممثلو الكرسي الرسولي» وكانت وفاته في اليوم التالي ٢١ أيلول سنة ١٥٨١^(١).

وقد عثينا للبطريرك المذكور على بعض الرسائل المخطوطة في سجلات

(١) ليست السنة ١٥٨٠ كما ورد في تاريخ الموارنة للعلامة الدويهي (ص ٤٤٤).

رهبائِتنا في رومية نروي منها نبذة تتمة للفائدة. فمُنها رسالته إلى رئيس الرهبانية اليسوعية العام في رومية الأب إفرُزْد مركوريان كتبها عند بلوغ أمره إلى الأب إليانو ورفيقه الأب توما راجيو بالرجوع إلى رومية بعد سفارة الأب إليانو الأولى في ١٥ كانون الأول سنة ١٥٧٨.

إلى حضرة الأب المؤقر الأركون المديبر الأخ العزيز الجنيرال

أذكي السلام التام بالعزّ والتحية والإكرام سلام الروح القدس مانع الأنعام يُخَصُّ به حضرة الأخ العزيز الموما إليه أعلاه أدام الله مجبه وأخويته زمناً طويلاً آمين. وإلى غير ذلك الذي أناوض به خدمة سعادتك إني أنا مع جملة شعبنا فرحنا بالغاية بحضور إخوتكم عندنا وهم القسّ باطليشتا والقسّ توما وإنما نشكر فضل الله تعالى مع فضل خدمة سعادتك الذي أنعمت بيارسالهم إلى عندنا. وأيضاً نثني الشكر لفضلك لأجل ما تفضلت به بافتقادك لي بانيوس داي (أي ذخيرة Agnus Dei حمل الله) والمبحة وعرض هذا الحنان يكون لي اشرح إذ قدرت أجازيك بشيء يكون لائقاً ومتناسباً بك. ومن جملة الإخوة الذين أرسلت لنا القسّ باطليشتا الذي كان مجتهداً فيما هو نافعاً لخلاص نفوسنا وبقراءة كتبنا وترجمة كتبكم بلساننا ولجوابه لما نشكّ به نحو الأمانة والاعتقاد ومعاشرته معنا وبافتقاد الرعية وبحضوره ليظفر خدمة الأسرار اليعية.. ورغبتنا من قصادركم أن يحضروا عندنا ويقيموا في ديرنا... وقد أرسلت إليهم أن يحضروا إلى مدينة رومية وليس عرفنا ما هو السبب الموجب لذلك لكون أنهم حضروا عندنا ليقيموا على قدر الحاجة ليكملوا إرادة السيد معظم البابا والكردينال وكيلنا... وأنا أرغب أن يقيموا عندنا إلى حين ما يكمل شغلنا وبالأقل القسّ باطليشتا ونحن نرغب منه ليفقِّم عندنا حتى يجيئنا جواب هذا الكتاب فيكون له ولسيادتك أجر عند الله... أنهى ذلك الحقير بعد تجديد السلام عليك وعلى كلّ من هو تحت طاعتك كثير كثير وطالين من حضرتكم الدعاء الصالح لأجل الله له الحمد والشكر إلى أبد الأبددين.

الحقير في البطاركة بطرس الماسك الكرسي الأنطاكي

في دير العذراء في جبل لبنان

برز ذلك من دير قُوُّوبين في ١٨ من ك^١ ١٥٧٨

ثم أردف السيد البطريرك وكتب الكتاب الآتي بعد أيام إلى رئيس العام المذكور إذ رأى المرسلين مصمّمين النّية على السفر:

فِلْهَنْدَهْ فِلْهَنْدَهْ بِمَلَوَهْ بِمَلَوَهْ

سلام ربنا سيدنا يسوع المسيح الذي حل على الرسل الأطهار التدسيين في علية صهيون المقدسة وأملأهم فرحا وسروراً ذلك السلام يعني بحل ويستقر على ذات الأخ العزيز المؤقر المكرّم أخونا الجنرال.. إنيأشكر الله تعالى وفضل سيادتكم لإرسالك وافتداكم لنا بقدس الآباء المؤقررين قصّاد الكرسي الرسولي أولادكم ففرحنا وابتسمنا كثيراً بحضورهم واكتسبنا أشياء جليلة حسنة من تعاليمهم وسيرتهم الحسنة وكان يحصل لنا أكثر مما حصل لو أنهم قعدوا عندنا وبالأكثر الأب القس باتيستا (إيليانو) لأنّه يعرف بلساننا وقرايتها عربى وكرشونى ومحبوب منا ومن رعيتنا الذين عرفوه واعتنقوا (كذا) معه. لكن لما عرفنا الضرورة الملزمة لحضورهم عندكم أولاً لأجل الطاعة لسيادتكم لأنكم أرسلتم تطلبونهم وثانياً لأجل الطاعون لأنّا مختشين كثيراً منه وأنّه ابتدأ في بلاد مصر وأعمالها وهاهنا جاءت أشایره. والدليل على ذلك أنّ العادة إذا كان الطاعون أولاً يجيء الجدرى وأنّه ممثلة البلاد منه. وثالثاً ليعطوا حساب (عن سفارتهم) وقد كتبنا إلى سيدنا معظم البابا ولوكيينا الكردينان كرافاً لتكمل أشياء كثيرة ابتدوا بها التي إن لم تتمكّن نحن فعلنا شيء. وما ابتدأ به هو أنّه قرأ فرائض من كتبنا ووجد فيها أشياء كثيرة غلط وأنّ كتبنا بغير عدد. ولافتدا رعيتني بصحبتي أم بصحبة أحد من المطارنة لترتيب الرعية وتمشيه على ما يريد قدس السيد البابا لأنّا نحن وحدنا ليس نقدر فعل ذلك لأنّا ليس مسموعين الكلمة مثل بلادكم ونواحيفكم. وأيضاً فليجاوب مما تشكّك به الرعية وليرجم كتب صالحة من لسانكم إلى لساننا لأجل اصطلاح شأننا فلهذا نرغب من سيادتكم لأجل الله وأجل المحجة أن ترسله لنا ثالثاً ونحن تكون حافظين هذه الحسنة والفضيلة إلى دهر الدهور والله يجازيك في ملوك السماء... أنهي ذلك الحتير بعد تجديد السلام عليك وعلى من هو بخدمتك والحمد لله وحده.

برز من دير قُوبين سنة ١٥٧٨ من التجسد الإلهي
(محل الختم)

وفي ٢٥ شباط ١٥٧٩ كتب البطريرك إلى أحد أبناء طائفته الشدياق عازار وكيله يطلب منه بأن يسعى في رجوع الأب إيليانو إلى لبنان:

فِلْهَنْدَهْ فِلْهَنْدَهْ بِمَلَوَهْ بِمَلَوَهْ

البركة الإلهية والنعمة السماوية التي حلّت على التلاميذ الأطهار والرسل

الأبرار في علية صهيون المقدسة وفي جبل الزيتون الظاهر فهي تحل وتنتمي وستقر على ذات الولد العزيز الغالي الشدياق عازار بركة الرب ثانيةً وثالثاً تحل عليك وعلى بيتك وعلى رزقك ومقتاك وعلى بيتك وشراك وعلى أخذك وعطاك وعلى ما تقلب بيتك مع شمالك أمين. وإلى غير ذلك الذي نعرفك به بأنه يكون على علمك بأنَّ قصَّاد السيد البابا انصرفوا عنَّا وحصل لنا من ذلك هم وغم جزيل وليس كان مرادنا فرقتهم لكنَّ الضرورة لها أحکام وإنما نسلى خاطرنا بشيء واحد الذي هو رجانا بعوده الأب القس باطليشا إلى عندنا ليكمل ما ابتدأ به لنا. وإنما نسأل فضلك أن تداومنه وتطربي فكره فيما ولا تخليه ينسانا. وأبقى قول له إنَّ من يغرس شجرة يosomesها إلى حين تكبر وتمرو وأنك أنت وكيلنا في هذه القضية وتروح إلى عند عزيزنا الكردبنال كرافاً وأسائل من فصله على لساننا أن يسعى في إرسال الأب القس باطليشا وأنك لا تفعل شيء إلا بشوره... ولا نقطع تجديد البركة عليك ثانيةً وثالثاً والحمد لله وحده.

كتب في دير قنوبين في ٢٥ شباط سنة ١٥٧٠

ولدينا الكتاب الذي أرسله الكردبنال كرافاً إلى البطريرك ميخائيل الرّزّي بعد عودة الأب إليانو إلى رومية مثينا على حسن سلوكه مع المرسلين وشاكراً له على ذخيرة القديسة مارينا التي أرسلها إليه (من إنشاء الأب إليانو):

رسالة الكردبنال أنطون كرافاً إلى البطريرك ميخائيل

سلام ربنا يسوع المسيح مع الأخ المكرم. بعد وصول القصَّاد إلينا ما كتب لأخوتكم حتى كُلِّمَ السيد البابا فأجاوب على سائر كتابك وعلى كلَّ ما تتصد وتطلب من قداسته. فأعرُّف لأخوتكم أنَّه ليس كان في خاطر القديس (أي العبر الأعظم) أن يرجعوا القصَّاد من عندك وبالخصوص الأب المكرم باطليشا لأنَّ كان في إرادته أن يدوم عندكم مدة أيام لمنفعة يبيعم ولخدمتك. لكنَّ نقول إنَّ كلَّ شيء صار بأمر وتدبير الله من حيث إنَّ أصلَ هذه القضية هي لمجد وكرامة ربنا. وأيضاً أعرُّف أخوتكم أنَّ قبل تاريخه جاوبت عن سائر رسالاتك إلى وإلى السيد البابا وأظنَّ أنَّ مشرفاتنا وصلوا إلى أخوتكم إذا ما أصابهم تدبير في الطريق. والأب الأقدس قد فرح جداً إذ القصَّاد خبروه لأجل افتقادهم رعيتك وشكروا ربَّ في ذلك الذي أوهبك نعمة لتصد وتشتبي قبول واحتضان كلَّ ما تعلمه وتكرزه البيعة الكاثوليكية لتنازل مع جميع القديسين حياة الأبدية. ويشكر إحسانك كثيراً الأب المقدس لأجل الوقار والإحسان الذي عملته مع قصَّاده

وعرض ذلك يرسل إلى أختوك ولجميع شعبك البركة الرسولية ولنكم كل ما تامر وتعلم البيعة المندسة . واشكر إحسانك لأجل عظيم التقديسة مرت مارينا الذي أرسلته إلى حنارتني وهو مقبول وعزيز عندي وليس كان لازم أن تبعث لي من الأشياء الأخرى لكن أنا أقبلهم من أجل محبتك وأكون دائمًا في خدمتك واطلب من رب أن يحفظك مع جميع شعبك في نعمته والسلام .

مكتوب في مدينة رومية في ١ آب ١٥٧٩

واطلعنا كذلك على رسالة الأب إيليانو إلى البطريرك ميخائيل يعلمه بقرب عودته إلى لبنان لسفارة ثانية مع الأب يوحنا برونر والأخ الشمامس برندينو ويعلن برضى قداسة الحبر الأعظم عنه وعن طائفته ويطمئنه عن أحوال التلامذة الموارنة وعن نجاحهم في الدروس . ويدرك أنَّه سيعود إلى لبنان ومعه هدايا كثيرة للكنائس كالكتوس والحلل الكهنوتية وأدوات الطبع للبرشان وغير ذلك ويبدي الرجاء بأن يجد عند وصوله السيد البطريرك في الصحة التامة . وتاريخ هذه الرسالة غرة كانون الثاني سنة ١٥٨٠ .

فمن كل هذه الرسائل يتضح ما كان للأب جوان باطيشا إيليانو من العز والاعتبار لدى بطريرك الموارنة والطائفة المارونية وكم هي باطلة السعيات التي نُشرت بعد وفاته في حقه ونقلها جزافاً بعض مؤرخي الموارنة لعدم وقوفهم على الآثار التي نشرناها .

إنتخاب البطريرك سركيس الرزي

قال الدويهي في تاريخه (ص ١٧٧ و ٤٤٤) وفي سلسلة بطاركة الطائفة المارونية التي نشرناها في المشرق (ص ١٩)^(*) «أنَّه في اليوم التاسع لوفاة البطريرك ميخائيل اجتمع المطارنة والأساقفة والإكليلوس ومشايخ الطائفة وأقاموا أخيه الأسقف سركيس لرئاسة الشعب ، وحضر الحفلة قاصد البابا جوان باطيشا ورفيقه جوان برونا وبعد ذلك أشخاص جوان برونا إلى رومية بكتابه ممضاة من الجميع ، ولما وقف البابا غريغوريوس علينا أمر بأن يُعطي

(*) كما ورد المرجع ناقصاً . والمصحح: ١٨٩٨، ص ٣٥٢ (الناشر) .

درع تمام الرئاسة وأن تكون جميع الطائفة تحت طاعنه في الروحيات والجسديات (كذا)». ولم يزد على هذه النبذة القصيرة شيئاً. ولنا في رسالات الأب إيليانو وفي سجلات الرهbanية اليسوعية ما يفيدنا علمًا عن بطريركيّة سركيس الرزقي وأعماله المبرورة. فمن ذلك صورة انتخابه كما يلي:

لما كان تاريخ السنة المسيحية ١٥٨١ ثامن وعشرين يوم من شهر أيلول المبارك الموافق لتأريخ السنة اليونانية ١٨٩٢ ثامن يوم بعد تياح البطريرك مار ميخائيل بطريرك ملتنا، نحن الحقيرين الموارنة اجتمعنا المطارنة والأساقفة والكهنة مع باقي الأكليروس وأكابر طائفتنا وكثير من شعبنا الطائعين للكرسي الرسولي وللسيد البابا غريغوريوس الثالث عشر ولجميع الآباء الفاسقين (الباباوات) الآتين بعده خلفاً بعد خلف إلى متنه العالم بإرشاد الله ومعونته، لما فحصنا باجتهاد شديد واهتمام وكيد في سيرة وقداسة وطهارة وعلم الأب المكرم الجليل المعمتنى من نعمة الروح القدس الفارقليط في هذه البيعة المقدسة دير ستنا العذراء المعروف بدير فُؤوبين في جبل لبنان المبارك، اصطفينا واحتمنا هذا المطران الحبيس مار سركيس المذكور في قرية كفرحورا ليتولى علينا ويكون رئيسنا ومديربنا ومرشدنا في الأمانة الكاثوليكية الرومانية وجميع ما يوصينا به الأب المقدس البابا المذكور على يد قصاده الآباء القديسين الأب الفاضل المكرم القسن يوحنا باطيشا والأب الظاهر القسن يوحنا برونا الحاضرين والمقدمين في هذا المجمع المقدس، ويسمنا هذا المطران سركيس بطريركاً علينا وعلى جميع ملتنا الموارنة القاطنين في جبل لبنان المبارك وفي جميع بلاد سوريا وقبرص وفيسائر البلدان عرض البطريرك ميخائيل المنتفع إلى رحمة الله. فتحن جميع المذكورين ناصر ونوصي الحاضرين والثائرين أن يوقرروا ويكرموا ويطيعوا لهذا البطريرك المختار من نعمة الروح القدس ومن حفارتنا في جميع ما يأمر من أمور البيعة المقدسة في الزيجات والصيامات المفروضة من الآباء القديسين ومن المجتمع الأطهار كما كانوا مطبعين للبطاركة السالفين ولا يعملوا شيئاً يضاده ولا يرتسם بغير شوره لا أسفف ولا مطران وكل من يخالفه أو يضاده أو يتحمل ويتجبر عليه بجميع ما يضاد التاموس يكون محروم من الله ومن جميع الآباء ومن كرسي مار بطرس الرسول ومن جميع المطارنة والأساقفة المجتمعين في هذا المجمع المقدس، وكل من يطعه يكون مبارك من الله ومن جميع الآباء القديسين أمين. فتحن جميعنا الحاضرين نطلب من الرب أن يطول عمره وبقاء أيام مديدة وستين عديدة وأشهر مديدة ويشبهه ويشتتا معه في الأمانة الكاثوليكية الرومانية إلى آخر الأنفاس من عمرنا. وترغب أيضاً من قصاد السيد

البابا الحاضرين معنا أن يرغروا إلى الآب المقدس أن يثبت هذا الآب البطريرك الذي اختراه في هذا اليوم المبارك في هذه الدرجة البطريركية كما ثبتت البطاركة القدماء السالفيين إلى يومنا هذا، والسبح لله دائمًا أبداً أمين.

كتب في دير سيدتنا العذراء دير قنوبين بحضور الآباء الأساقفة والمطارنة والأباء المكرئين قصّاد السيد البابا الراضعين خطوطهم هنا يدهم.

(وقد أمضى القاصدان اسمهما باللاتينية):

Ego Joannes B^{ta} Elianus Presbyter Religiosus Soc.Jesu
fui præsens prædictis et subscrispsi
Ego Joannes Bruno Presbyter Religiosus Soc.Jesu
subscrispsi

ثمَّ يليه أسماء المطارنة وكلَّ منهم يكتب على هذه الصورة: «أنا الحقير في المطارنة مطران فلان رضيَّتُ في هذا البطريرك المذكور وهذا خطبي يشهد علىَّ». .

مطران جرجس. مطران يوحنا من قرية إهدن -م. داؤد من قرية العاقورة -م. يعقوب -م. يونان -م. قليموس.

ثمَّ أسماء الخوارنة والأعيان والشمامسة:

الخوري عزيز من بشرة -خ. سمعان من حدشيت -خ. بطرس من إهدن -خ. جرجس من تولا -خ. سليمان من كفرزينا -خ. عازار من أجبع -خ. جرجس من كرمسلة -خ. داود من كفرحاتا -خ. موسى من بقرزلا -خ. رزق من دير جنين -خ. سليمان من العاقورة -خ. إبراهيم من إيليج -خ. موسى من جاج -خ. عزيز من ترتج -خ. جرجس من حرددين. وكثيرين من الكهنة والقسوس والبرادطة.

يوسف حبيش من غزير. إبراهيم بن الخازن من عجلتون. دوميط من العاقورة. شدياق صادر من العاقورة -ش. مقبل من بير حليون -ش. حنَّا من الحدث -ش. صادر من حصرون -ش. الياس من حصرون -ش. باخوس من حدشيت -ش. بشارة من بان. شحادة من بشرة. وكثيرين من الإكليلوس وغيرهم.

الحقير في الكهنة الخوري يوحنا حصرون
كاتب هذا السجل في رضا الرعية جميعها
وأنا رضيَّتُ هذا البطريرك وهذا خطبي يشهد علىَّ

وزادنا الأب إليانو إفادةً فوصف في رسائله البطيريك الجديد بقوله: إنَّه رجل جدير بهذا المقام الرفيع لقداسة سيرته وعلمه وخبرته في سياسة الأمور التي كان تداولها في عهد أخيه المتوفى. وكان قضى سنين طوالاً في حبس قرحيتا ووادي قاديشا عائشاً عيشة النساك في الزهد وأعمال التقى. ولما اجتمع رؤساء الطائفة لانتخاب خلف للبطيريك ميخائيل خاف أن توجه إليه أصوات المستحبين فتجعل فوق أكتافه أعباء البطيريكية فحاول الهرب من وجههم لكنَّ الآباء لم يرضوا بسواء واضطروه إلى قبول ذلك المنصب الرفيع. أمَّا هو فأجهش بالبكاء وتسلَّل إلى الأساقفة ناشداً إياهم الله بأن يرحموه ويذعنوه في عزلته وهو قد اعتاد منذ عدَّة سنين العيشة النسكيَّة لا يعهد من نفسه الصفات الالزامية لمثل هذا المقام. غير أنَّ كلامه هذا زاد العموم تعلقاً بشخصه لأجل تواضعه ونزاهة نفسه ولم يزالوا يلحُّون عليه مع قاصدي الكرسي الرسولي حتَّى خشي أن يقاوم مشيئة الله وأجاب إلى دعوتهم مرغوماً.

فأجلسوه حيئنِّ على الكرسي البطيريكى وقدَّموا له الطاعة. وفي اليوم التالي صار احتفال عظيم فقدَّم البطيريك الجديد الذبيحة المقدسة بكلَّ رونق وقبل أن يتناول جسد الربّ جثَا أمام المذبح فتلا صورة إيمانه الكاثوليكى بصوت جهور وفتَّا لأمر المجامع المقدسة. فشمل الفرح جميع أبناء الطائفة لأجل هذا الانتخاب.

الأب إليانو والبطيريك سركيس الرزي

كان انتخاب البطيريك سركيس كنهضة جديدة للطائفة المارونية في لبنان فباشر بتدييرها بكلَّ نشاط وغيره فوافقت أعماله ما كان مأمولاً منه ومضاهيًّا للثقة به. وأوَّل ما قصد القيام به زيارة أبناء المفترقين في أنحاء الجبل برفقة القاصد الرسولي الذي أثني على أعماله وهمَّه في رسالة وجهها إلى الكردينال كرافا، وممَّا قاله هناك «إنَّ السيد البطيريك منح سرَّ التثبيت للأحداث وأوجب عمادهم بعد ميلادهم بأيام قليلة خلافاً للعادة الجارية

بتأخير المعمودية زمناً طويلاً وحظر على الكهنة أن يعطوا القربان الأطفال قبل سن الرشاد لسوء عقبي ذلك الأمر وكرر على مسامع الجميع عقيدة المشييتين والفعلين في أقونم السيد المسيح».

ولدينا رسالة أخرى كتبها الأب إيلانو للكرديتاں كرافا ذكر فيها مفصلاً ما صنعه مدة السنة التي قضتها مع الأب برونو في لبنان ليطلع عليها الخبر الأعظم غريغوريوس الثالث عشر فيعلمهمما أ يريد منها غير ذلك ألم يأمرهما بالرجوع إلى رومية.

ثمَّ قال في ختام رسالته: هذه خلاصة الأمور التي أجزناها في مدة سفارتنا إلى الموارنة:

أ قد عقد المجمع الملني.

ب انتشر بين العلوم كتاب التعليم وغيره من الكتب الكاثوليكية.

ج درجت بين الإكليلوس رتبة تكريس الميرون ومنح المشحة الأخيرة.

د قد تمت زيارة الطائفة إلا بعض الأماكن البعيدة كدمشق وحلب فوجئنا إلى أهلها الرسائل المطلولة ريشما تتمكن من زيارتهم بعد عودتنا من زيارة القدس الشريف إذ أمكن وكذلك جزيرة قبرص نزورها في عودتنا إلى إيطالية حيث ترسو السفينة في مرفأها من ١٥ إلى عشرين يوماً.

ه قد أطلعنا على كثير من مخطوطات الموارنة الطقسية والدينية.

ذ وانتزعا منها جدواً نصصنا فيه على الأضاليل التي وجدناها في تلك الكتب وقد أرسلنا لليافاكم نسخة من هذا الجدول.

ث ثمَّ راجعنا مع أرباب الطائفة تلك النصوص الفاسدة فوافقونا على بطلانها.

ج اهتممنا بالغاء عادات سنتة مختلفة للأداب الدينية.

د قد أرسلت إلى جميع الكنائس تبيهات ومعلومات عمومية مع أمر السيد البطريرك بالسير على موجهاً.

ه وأخصُّ ما أنشأنا إليه نظر الكهنة مادة الأسرار السبعة وصورتها.

إهتممنا خصوصاً بنفتح مدارس للأحداث في عدة أماكن.

ج قد أرسلنا أخيراً إلى رومية بعض أولاد الطائفة ليتخرّجوا هناك في الآداب الكهنوتيّة.

«وإن بقي شيء بعد ذلك سنصرف جهداً ياتيماً بعد زيارتنا للأراضي المقدّسة إن شاء الله ثمَّ نكرر راجعين إلى إيطالية في ربيع السنة القادمة

(١٥٨٢) إن حُسْنَ الْأَمْرِ فِي أَعْيُنِ قَدَّاسَةِ الْحَبْرِ الْأَعْظَمِ. وَلَا نَرَى فِي تَاجِيلِ رَجُوعِنَا خَيْرًا لِمَا يُحْدِقُ بِنَا مِنَ الْأَخْطَارِ. فَإِنَّ الْغَرَبَاءَ قَدْ بَلَغُهُمْ وَجُودُنَا فِي الْجَبَلِ وَوَقَفُوا عَلَى سَبَبِ مجِيئنَا وَعَرَفُوا مَنْ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَنَا إِلَى هَذِهِ الْأَطْرَافِ. وَلَا شَكَّ بِأَنَّ سَيْنَالَنَا مِنْ قَبْلِ أَمْرَاءِ الْبَلَادِ مِنْ جَرَاءِ ذَلِكَ عَدَّةِ إِسَاءَتٍ وَلَعْلَ السَّيْدَ الْبَطْرِيرِكَ تَصِيهِ لِأَجْلِنَا مَشَاكِلَ مَؤْلَمَةً. فَالْأُولَى أَنْ نَبْرَحَ إِلَى الشَّرْقِ عَاجِلًا.

زيارة الأب إليانو للقدس ثم لدمشق

كانت غاية الأب إليانو من سفره إلى القدس الشريف مع الأب يوحنا برونو أوّلاً التبرُّك بمشاهدة قبر السيد المسيح. وثانياً زيارة من هناك من الموارنة. وثالثاً التباعد مدةً عن لبنان من وجه المتضدين لسفير الكرسي الرسولي والمضمرين له الشر إلى حين ورود جواب الحبر الأعظم على رسائله.

أبحر المرسلان من طرابلس إلى يافا في العشر الأخير من شهر تشرين الثاني كما يُستفاد من رسالة للأب إليانو مؤرخة في ٢٣ منه سنة ١٥٨١ كتبها لرئيسه العام وهو الأب كلوديوس أكوافيثا الذي كان أقيمت خلفاً للأب مركوريان المتوفى في غرة آب ١٥٨٠ فُعِّلَتْ إِلَيْهِ رئاسة الرهبنة في ١٩ شباط ١٥٨١. وكان دخولهما المدينة المقدسة في سُلْنَخِ الشَّهْرِ ونَزْلَهُ ضييفين كريمين على رهبان القديس فرنسيس ووَجَداً لَدِي رئيسمِهِ حضرة الأب أنجلو ستلاً البندقي كلَّ كرامة ووداد وشفياً غليلهما من معاينة كلَّ الأمكنة المقدسة وإكرام أسرار حياة وألام وقيمة السيد المسيح.

ثم زارا الموارنة المستوطنين القدس وكان عددهم قليلاً لهم دار ابتعاثها البطريرك موسى العكاري نحو السنة ١٥٦٥ بعد أن وضع القبط ظلماً يدهم على كنيستهم المبنية على اسم جرجس الشهيد.

ومما روى الأب إليانو أنَّ رئيس الأراضي المقدسة وكلَّ إِلَيْهِ فحص كاهنین قدماً من جهات الموصل وطلباً أن يقدماً الذبيحة على القبر المقدس.

فوجدهما المرسلان من تبعه الساطرة وأخذا يرشدانهما في حقيقة الإيمان الكاثوليكي إلى أن أقنعاهما بوحدة الأقنوم في السيد المسيح وبعقيدة أمينة البتول والدة الله فجحدا بدعة نسطور بتلاوة دستور الإيمان الذي عرّبه لهما الأب إليانو وطلب صورته منه رئيس الآباء الفرنسيسين لفرضه عند الحاجة على زوار الساطرة.

كان رجوع الأب إليانو ورفيقه من القدس الشريف إلى لبنان في أواسط كانون الأول ١٥٨١ على طريق البر ليزورا الموارنة في دمشق الشام ويسبعا برداً بطريرك الروم إلى الوحدة الكاثوليكية كما أوصاهما الكردينال سان سفرينو.

كانت دمشق في ذلك العهد تحت حكم الدولة العثمانية منذ ٦٦ سنة يتولى تدبيرها ولاة يرسلهم السلطان ثم يعزلهم في السنة مرّتين أو ثلاث مرات فيبيعون منه منصبهم ثم يتقادرون بالربا مالهم بظلم الرعية وتعيم الرشوة. والنصارى كما لا يُخفى في مقدمة المظلومين.

سرّ الأب إليانو بنظر تلك المدينة الشهيرة عاصمة بـ الشام وجنة الشرق الفيحاء لكنه أسف لما رأه من سوء حالة الموارنة فيها ولما يلحظهم من المظالم، فبذل السعي في نهض هممهم وتتجدد نشاطهم ولا سيّما في إحياء عواطف الدين في قلوبهم، فعرض عليهم ما اتفق عليه آباء مجتمع قُربين سواء كان من جهة المعتقدات أم من طرف الآداب والتهدیب فوجدهم جميعاً طَرْعَ بناه خاضعين طائعين لأمر رؤسائهم وتعاليم الكرسي الرسولي فشكر الله على حسن انتقادهم وطيب عنصرهم. ولم يجد في دمشق أسقفًا للموارنة لأن المطران جرجس البسلوقيتى الذي كان سامه البطريرك ميخائيل الرزى على الشام سنة ١٥٧٧ كان يُقيم في قُربين.

ثم أخذ الآباء يبحثان عن أقرب واسطة للتترُّب من الروم وكانت إذ ذاك أحوالهم الدينية في اضطراب عظيم لانقسام الطائفة بين بطريركين ميخائيل السابع ويواكييم الخامس، فإنَّ الدمشقيين، لعداوة وقعت بينهم وبين

بطيريكهم ميخائيل لِتُهُمْ أَتَهُمْ بِهَا، سعوا بتفيه واختاروا بدلاً منه يواكيم ضرّ مطران طرابلس فجلس هذا على سدّة بطيريكية أنطاكيّة وحصل بذلك مشاحنات وشروع عظيمة وغرامات أموال لم تنتهي إلى سنة وفاة ميخائيل نحو السنة ١٥٨٣.

فإلى يواكيم المذكور كتب الأب إليانو طالباً منه أن يسمح له بزيارته مع الأب برونو باسم الحبر الأعظم واسم الكرديناز سان سقرينيو محامي الطائفة اليونانية. فأجاب البطيريك أنه يُسرّ بمشاهدتها ثم عيّن لها يوماً استقبلهما فيه مع أعيان طائفته ورحب بهما. فدار الحديث عن الحبر الأعظم غريغوريوس الثالث عشر ومحبّته نحو طائف الروم واليونان الذين أنشأ لهم في رومية العظمى مدرسةً كبيرة لتخریج شبابهم وقصده أن يرسلهم لمساعدة بني ملتهم. ثم اتسعاً ببيان رغبة الحبر الأعظم في اتحاد الكنائس الشرقية بالكنيسة الغربية وما يتبع عن ذلك من الفوائد الجمة للروم. ولما اعترض أحد الحضور على الكنيسة الرومانية باعتقادها انبثاق الروح القدس من الآب والابن أسع الأب إليانو وأثبتت معتقد اللاتين بهذا البرهان البسيط ذي الحدين: إما أنكم تقولون إنَّ الابن هو مساوٍ للأب وإما أنَّه أصغر منه. قالوا: إنَّ الابن هو مساوٍ للأب. فأردف الأب إليانو قائلاً:

«إنَّ أَكَدْتُمْ أَنَّهُ مساوٍ للأب لا بُدَّ أنْ تقولوا إنَّ الروح القدس منبتق من الآب والابن لأنَّ الإنجيل يصرّح بأنَّ كلَّ ما هو للأب هو أيضاً للابن فانبثق الروح القدس هو إذن من كليهما كمن مبدأ واحد». فأشار البطيريك إلى أحد علمائهم كي يعلن رأيه في هذه القضية فانتصب قائلاً: «أنا أرى أنَّ الابن أصغر من الآب» فتعجبَ المرسلان من قوله فقالاً: «أَفَلَا تعلم أَنَّ هذه بدعة آريوس التي حرمتها المجمع النيقاوي والتي يصادِها قانون الإيمان الذي تتلونه في كنيستكم». فانقطع عن الكلام وبقي الحضور في الحيرة صامتين. وكان حضر مع المرسلين بعض الموارنة فسرُّوا لانتصار الحقيقة وخرج الأب إليانو دون أن ينال وعداً صريحاً من البطيريك بأمر الاتحاد. ولمَّا عاد إليه بعد ذلك وحرَّضه على تلبية دعوة الحبر الأعظم كان جوابه أَنَّه لا يستطيع أن يصنع شيئاً

دون الاتفاق مع بطريرك القدسية، وإنما رضي بكتابه رسالة إلى الحبر الأعظم يشكره فيها على لطفه وسروه بمشاهدة قاصده وشفعها برسالة ثانية للكردينال سان سفرينو. فأرسل الأب إليانو المكتوبين إلى رومية مع ترجمتها عن أصلهما العربية.

رجوع الأب إليانو إلى لبنان

رجع الأب إليانو والأب برونو إلى لبنان قبل عيد الميلاد من السنة ١٥٨١ وقضيا فصل الشتاء والربع من السنة المقبلة في طرابلس حيناً وفي قنوبين حيناً آخر يتذمرون موعد سفر المراكب إلى إيطالية في نisan.

ولكنَّه وردت إليهما رسائل من الأب أكوافيشا رئيسهما العام ومن الكردينال سان سفرينو يوعزنان إليهما بأن يعود إلى إيطالية الأب برونو مع الأخ ماريو (وكان هذا قد أوفد حديثاً إليهما) ليطلبوا الحبر الأعظم على نتيجة السفارة إلى لبنان. وأماماً الأب إليانو والأخ برتردينو فقد تقدما إليهما بأن يُحررا إلى مصر لخدمة الكنيسة. لأنَّ بطريرك الأقباط كان قررَ بأن يتحد هو وشعبه مع رومية بالإيمان المستقيم.

رأى الأب إليانو في هذا الأمر بالسفر إلى مصر مشاكل أراد أن يعرضها على رئيسه العام وعلى نيافة الكردينال سان سفرينو ليكونا على يقنة من أحوال الأقباط، لأنَّه كان قبل سفارته إلى لبنان سنة ١٥٦١ أرسل مع الأب كرستوف روديكس إلى القطر المصري فقادساً المشقات العظيمة ليرداً بطريرك الأقباط وقومه إلى حجر الكنيسة، فوجداً بعد العناء الشديد أنَّ القبط يسلكون بالرياء وعدم الاستقامة لا يطلبون من رومية سوى المنافع المادَّية والمساعدات الماليَّة ومن ثمَّ لافائدة من تكرار هذا السفر مع كثرة أخطاره. وعلى كلَّ حال أعلن الأب باستعداده لإتمام أوامر رؤسائه إنْ ثبتوه على رأيهما.

لم يشاَّ الأب إليانو ورفقه أن يبقوا دون عمل إلى حين سفرهم فخضوا قسماً من زمنهم في زيارة أديرة الرهبان، فحاول القاصد الرسولي جُهد استطاعته ليُصلح أحوالهم وينظم سلوكهم ويسن لهم القوانين الرهبانية

الموافقة لدعوتهم وهو يذكر في رسائله ما أفقه على كلّ دير من الحسناً ليسدّ عز رهبانه والمبالغ التي استداناً لها هذه الغاية، وفي تلك الأثناء بذل سعيه لدى السيد البطريرك والأساقفة وأعيان الطائفة بأن يصلحوا تاريخهم السنوي على موجب الحساب الغربي الجديد الذي كان قرّه الحبر الأعظم غريغوريوس الثالث عشر وأمر بأن يتبدّي الإصلاح في تشرين الأول من تلك السنة ١٥٨٢ فُيحسب اليوم الخامس منه اليوم العاشر^(١).

فكان الكردينال كرافاً محامي الموارنة كتب في ذلك إلى الأب إلىيانو لكي يُقنع رؤساء الطائفة المارونية باتخاذ ذاك الإصلاح، كما أمر أيضًا الحبر الروماني بأن يعلن الرهبان الفرنسيسيون بذلك الحساب في مصر وفلسطين وأنحاء الشام.

على أنَّ الأب إلىيانو والرهبان المومأ إليهم، بعد أن فاوضوا رؤساء الكنائس، تحقّقوا أنَّ ذلك التغيير ينشئ حاضرًا عوائق كثيرة وتهييجًا على الكاثوليك من قبل الأتراك والطوائف المنفصلة عن رومية بحجّة كونهم تبعوا الفرنج فتأمروا على الدولة. ومن ثمّ وجب تأجيل ذلك الإصلاح الذي لم يتم إلا بعد ٢٤ عامًا في السنة ١٦٠٦ على عهد البطريرك يوسف الرزي. فجرى وقتئذ في الشام وحلب وبقية المدن ما خلا جزيرة قبرص^(٢). أمّا بقية الطوائف الكاثوليكية فلم تتبع الحساب الغربي إلا في القرن التاسع عشر.

وممّا اهتمَ به أيضًا القاصد الرسولي مسألة «الموارنة البيض» التي يعود إليها غير مرّة في كتاباته. ولعلّ تطلب ومن هم الموارنة البيض؟ دونك ما كتبه الأب إلىيانو إلى الكردينال كرافاً: «إنَّ عدداً ليس بقليل من موارنة لبنان ممّن يسكنون بجوار المسلمين تظاهروا في أنحائهم خوفاً منهم ومراعاة لهم بالدين الإسلامي وتعلّموا بالعمامة البيضاء فدعوا لذلك بالبيض وهم في الباطن نصارى يعلنون بدينهنّ كلّما وُجدوا بين أهل ملّتهم فيتقربون من

(١) راجع مقالة الأب كونجت في أصول الحساب السنوي (في المشرق ٣ [١٩٠٠]: ٢٢٥-٢٣٠).

(٢) أطلب تاريخ الدوبيت (ص ١٨).

الأسرار كالنصارى ولا يجسر أرباب الطائفة أن يخالفوهم في ذلك لثلاً يشتهرون الأمر بين الأتراك فينالهم بسببيهم أذى وهوان. فهؤلاء يرجعون على الجانبيين. فمَنْ لهم المرسلان اليسوعيَّان أنَّ المُسِيحِيَّ لا يجوز له المرأة فيجب عليه أن يتحاشى ما يحمل ظنَّ الناس به أَنَّه جحد دينه. فكلامه هذا أثر في البعض منهم فقط فاستشار الأب إليانو الشيخ يوسف حبيش في طرابلس وطلب إليه أن يتدارك الأمر ويسعى به لدى النساء بني عساف سادته والأتراك أصحابه عَلَيْهم يطلقون الحرية لهؤلاء الموارنة بأن يجاهروا بيامنهم علانية دون خوف.

وصلت رسائل الأب إليانو إلى رومية وفهم الرؤساء أنَّ بعثته إلى الأقباط ضررها أعظم من خيرها فوردها جوابهم في أيار سنة ١٥٨٢ أَنَّه لا بأس من رجوعه مع رفقة إلى رومية. وكان موعد إقلاع السفينة من طرابلس في ٧ حزيران فتحفَّز للسفر. ثُمَّ بلغه أَنَّ السفينة المذكورة سوف تبحر إلى قبرص وأنَّها ستبقى هناك إلى شهر آب. فبقي المرسلون محتررين لا يعلمون أَيُّتظرون مركباً آخر يسافر رأساً إلى البندقية أو يركبون هذه السفينة. فانتهى الخلاف بينهم بأن يسافر الأب يوحنا برونو مع الأخ ماريو إلى قبرص ويبقى الأب إليانو مع الأخ برناردينو في سوريا إلى شهر آب. وهكذا تمَّ.

وجاء في تاريخ الدويهي (ص ٤٤٤) ما يوهم بسفر الأب برونو في السنة السابقة أي ١٥٨١. قال بعد ذكره انتخاب البطريرك سركيس الرزي لرئاسة الشعب:

«وحيثَيْ كُلُّوا جوان برونو أَنَّ يذهب من قبلهم إلى رومية ليُؤْدي عن بطريركيهم واجب الطاعة ويطلب له درع الشيت وأنفذوا معه كتابات إلى غريغوريوس الثالث عشر وإلى وكيل الطائفة الكردبيان كرافا. وأخذ جوان برونو معه أربعة أولاد... ولما انتهى جوان برونو إلى رومية سُلِّم رسائل البطريرك الجديد وأعيان الطائفة إلى قداسته البابا. وفي الخامس من شهر آذار في سنة ١٥٨٢ أُرسَل البابا للبطريرك سركيس كتابة الشيت على كرسيي أنطاكية وكتابة أخرى لأسقف طرابلس لِيُلْبِس الدرع المقدس ويقبل منه يمين الطاعة».

والصواب أَنَّ الأب يوحنا برونو لم يسافر من سوريا إلاً في ٧ حزيران

١٥٨٢ وكان وصوله إلى رومية في أيلول. أما ثبيت البطريرك سركيس ومنحه درع الرئاسة بطلب الأب المذكور ووساطة الكردينال كرافا فحصل في آخر يوم من آذار سنة ١٥٨٣ (لا في ٥ آذار ١٥٨٢) وذلك مسروح في براءة غريغوريوس الثالث عشر التي تارikhها في اليوم المذكور (اطلب مجموع البولأّت المارونية للقسن طوبيا العنيسي ص ٩١-٨٩).

سفر الأب إيلانو إلى حلب

أقبل الصيف واشتدَّ الحرُّ على سواحل لبنان فرأى الأب إيلانو أنَّ الوقت مناسب لزيارة الموارنة في حلب وللجتماع فيها مع بطريرك اليعاقبة كما أوصاه به الكردينال سان سفرينو وقدد بهذا السفر أيضاً أن يختفي عن جواسيس الأتراك كما فعل بسفره إلى القدس. فأرسل الأخ برناردينو إلى قُنُوبين ليقوم بخدمة البطريرك وأما هو فسافر وحده بِرًّا إلى الشهباء فحطَّ فيها الرحال في ١٥ تمُوز من السنة.

كانت حلب في ذاك الوقت من أعظم مدن الشرق وأغناها وأزوجها تجارة تنتهي إليها كنوز الهند والعمجم وما بين النهرين وبها تجذّر قبول الشام والعرب ومصر والأرمّن، ويتجاوز عدد أهلها الثلثمائة ألف وكان النصارى منهم نحو أربعين ألفاً بينهم زهاء مائة مارونية. وقد أخبر الأب إيلانو في رسالته إلى الكردينال كرافا وإلى رئيسه العام في تاريخ ١ آب ١٥٨٢ أنَّ موارنة حلب تحفَّوا فيه وبالغوا في إكرامه وقبلوا بكلّ خضوع ودعة أوامر مجمع قُنُوبين وأذعنوا لكلّ التنبّيات التي أرسلت إلى الكنائس في لبنان وأنّهم أتوه بكتبهم الدينية ليعصلاح فيها ما يراه منافيًّا لتعليم الكنيسة. وسُرُّوا أيًّا سرور بما أهداه لكتسيتهم من الحلل الكهنوتية. أما سرُّ الثبيت فإنه يتقدّم بمحاجة أحد أساقفة لبنان ليمنحه صغارهم، وأردف بقوله إنَّ الطوائف الشرقيَّة كثيراً ما تسهو عن توزيع هذا السرّ. ووُجد في حلب أولاً نجاء اختار البعض منهم ليرسلهم إلى رومية ليترشحُوا فيها للكهنوت. وممَّا ترافق إليه هناك أنَّه لقي شمامساً بارعاً في اللغة السريانية فأخبر الكردينال كرافا بأنه سيصحبه معه إلى رومية لمراقبة

المطبوعات الطقسية المنوي نشرها للموارنة.

وانتهز الأب إيلانو فرصة سفره إلى حلب ليزور من فيها من تجار الفرنج فبذل مجده في تحريضهم على ممارسة واجبات دينهم ووزع عليهم الأسرار.

وممّا عُني به الأب يوحنا إيلانو في حلب قيامه بأمر الكردينال سان سفرينو ارتداء السريان العاقبة إلى طاعة الكرسي الرسولي مع بطريركهم داود شاه المقيم في ماردین.

وهنا ينبغي ذكر شيء من تاريخ العاقبة بياناً لمهمة الأب إيلانو. كان بطريرك العاقبة في زمانه إغناطيوس نعمة الله المارديني المعروف بالبطرك نعمة اختاره أهل ملته لتلك الرتبة سنة ١٥٥٥. قيل إنّه كان مائلاً إلى الاتحاد مع الكنيسة الرومانية لكنه لسوء حظه وقع في أشراك بعض علماء المسلمين فاتهموه بالكفر وأصدروا عليه الحكم بالإعدام فحمله خوفه منهم على جحود إيمانه ونظامه بالإسلام، فنجا من الموت لكنه لم ينج من وخز ضميره وتبيكت شعبه له حتى إنّ العامة كانت تتغنى أمامه بزجلية نروي بعض أدوارها:

اسمعوا لي هل المقالاتِ	يا حبابي يا ساداتي
وبقينا في الظلّماتِ	قَمَرْنَا انكَسَفَ نوره
بطرك نعمة يا مسكيّنِ	هتكَتَ الدين هتكَتَ الدين
إلى بلاد الغُثّماتِ	أخبارك شاعت لجوأ الصين
من بعد عزّك قد ذلّيتِ	بطرك نعمة أيش سويث
على رب السماواتِ	مفاتيح السما رديث
على إيدك يفيض الميرونِ	كنتَ أخو الصفا شمعون
مرمي في سوء الحالاتِ	والحساد صيروك مجنون

فللنجمة من هذه الحالة السُّيُّنة فَرَّ هارباً من ديار بكر إلى رودس ومنها إلى رومية سنة ١٥٧٨ وأعلن هناك بتوبته وبخضوعه للكرسي الرسولي ووعد بافراج جهده لرَّه طائفته إلى الديانة الكاثوليكية. وكان أخوه داود شاه بعد

غيبته أقيمت نائباً عنه في البطريركية اليعقوبية فكتب إليه نعمة يحرّضه على اتباع الكنيسة الرومانية فوعده داؤد بذلك. فوكل الكرديناز سان سفريني إلى الأب إيلانو أن يتحقق صحة إيمان النائب داؤد شاه فإذا ثبت الأمر يؤيد الخبر الأعظم انتخابه.

فلما وصل الأب إيلانو إلى حلب وطلب أن يجتمع بداعي شاه أخذ هذا يماطله ويستوفه وبعد مواعيد العرقوبية ويعتذر إليه من ظلم الأتراك وانتقامهم منه إذا اجتمع بالقاصد الرسولي فينسبونه إلى اتباع الفرنج. وكان أرسل دستور إيمانه فوجده الأب إيلانو ملتبساً غير واضح ومن ثم تحقق أنه لا رجاء في الحاضر إلى ارتداد العيادة وأن مواعيدهم لغايات زمية ليس إلا.

ثم طلب البطريرك نعمة من الخبر الأعظم أن يرسل وفداً آخر إلى أهل ملته مؤكداً له أنهم يرتدون إلى الإيمان المستقيم. فأرسل البابا قاصداً رسوليًّا ليوناردو أبيلا أسقف صيدا مع ثلاثة رهبان يسوعيين سنة ١٥٨٣ فعادوا خائبين وعرفوا صحة ما رواه الأب إيلانو عن مكر العيادة (راجع المشرق [١٩٠٣ : ٢٥٦-٢٥٧].

أما الأب إيلانو فإذ أتم مهمته في حلب أراد الرجوع إلى لبنان ليستعد للسفر ويلحق برفقته في قبرص ويعود إلى إيطالية. ييد أنه بلغته في تلك الأثناء رسالة من قييل المجمع المقدس ورؤسائه في رومية تقدّموا فيها إليه بأن يستأنف قصادته إلى بطريرك الأقباط في مصر. فلم ير بُدّا من الإذعان إلى أمرهم.

لكنَّ المرسل الغيور لم يشنَّ مدة إقامته في حلب ما عهد إليه من اختيار بعض أحداث الموارنة ليرسلهم إلى رومية كما أوصاه الخبر الأعظم ليتخرّجوا هناك على الآداب الكهنوتية، وقد ذكر في رسالته إلى الكرديناز كرافاً في غرة آب ١٥٨٢ أنَّ أهل حلب عرضوا عليه بعض أولادهم لهذه الغاية وبشخص بالذكر واحداً منهم وجده غاية في الذكاء كان أبوه كاهناً ولم يصرّح باسمه. ولعلَّه هو إبراهيم جرجس الذي دخل بعد قليل في الرهبانية اليسوعية ومات شهيداً في مصوع. وسنعود إلى هذا قريباً.

وكذلك اجتمع الأب إليانو ببطريرك الروم في حلب وفاته في أمر اتحاد الكنائس فوافقه البطريرك على نواياه لكنه اكتفى ببعض المواعيد الطيبة التي أتت بعد ذلك بمدة بنتائج حسنة.

ودع الأب إليانو الشهباء في العشر الأخير من آب سنة ١٥٨٢ وعاد إلى طرابلس على طريق البر فاجتمع هناك بالأخ برندينو ثم أبحر معه بعد قليل إلى مصر^(١). وكان وصوله إليها في أوائل تشرين الأول ونزل ضيفاً كريماً عند فنصل فرنسة المدعى بولس مارياني الذي كان سعى لدى الحبر الأعظم باستئناف السفاراة لدى الأقباط لما رأه في بطريركهم من الرغبة في الاتحاد بالكنيسة الرومانية. ولدينا منه رسائل تاریخها ٢٢ ت ١٥٨٢ وجّهها من القاهرة إلى رئيسه العام وإلى الكردinalين كرافا وسان سفرينيو يذكر فيها ختام سفارته إلى الموارنة وتفاصيل سفره إلى مصر مؤملاً من رسالته إلى الأقباط خيراً.

وكان الأب جوان برونو والأخ ماريوب قصياً بعد سفر الأب إليانو إلى حلب نحو ٨٠ يوماً في قبرس يتظار سفر إحدى السفن إلى البندقية، وقد أصابهما في تلك الأثناء مصادرات من قبل الأتراك لم يتّجعوا منها إلاً بدفع الغرامات الشاقة، وكان وصولهما إلى إيطالية في أيلول. وناب الأب جوان برونو عن الأب إليانو لدى الحبر الأعظم والكردinal كرافا بإيضاح ما جرى من الأمور في هذه السفاراة إلى الموارنة. فأعرب البابا غريغوريوس الثالث عشر عن سمو رضاه من نتائجها الحسنة.

أما الأب إليانو فبقى في مصر كسفير الحبر الأعظم لدى الأقباط إلى آذار سنة ١٥٨٥ بعد موت غريغوريوس الثالث عشر وجلس خلفه سكستوس الخامس، وأصابه في تلك المدة من ضروب المحن ما يطول شرحه وليس هو الآن من غرضنا. ثم رجع إلى البندقية فاستدعاءه الحبر الأعظم إلى رومية وعهد إليه رتبة رئيس المعرفين (Grand Pénitencier) فقام بواجباتها إلى سنة وفاته في ٣ آذار سنة ١٥٨٩.

(١) لكنَّ الرؤساء استدعوا الأخ برندينو وأرسلوا إلى مصر عرضه الأخ ماريوب.

فصل في تاريخ المدرسة المارونية في رومية

في مبادئ المدرسة المارونية (١٥٧٨-١٥٨٤)

من أجل الخدم التي أذاحتها الكرسي الرسولي للطائفة المارونية إنشاء مدرسة إكليريكية يتخرج بها بعض أحداث الموارنة في كل الآداب الكهنوتية حتى إذا اتقنوها يعودون إلى وطنهم لبنان فيخدمون أهل ملتهم بكل أمور الدين.

وكان بطاركة الموارنة أحشوا بحاجة طائفتهم إلى كهنة متخصصين غورين ذوي علم وتقى يتهذبون في مدارس الغرب ليحسنوا بعد رجوعهم إلى الوطن خدمة رعاياهم. فمن ذلك ما أخبر به البطريرك الدويهي (ص ١٤٩) في تاريخ سنة ١٥١٥. «إنَّ رئيس الأرضي المقدسة فرنسيس سوريانو من البنديقية، بعد نهاية رئاسته قدم إلى زيارة البطريرك شمعون الحدثي ثم سافر في ١٤ شباط إلى رومية «فأرسل معه البطريرك الخوري يوسف مع راهبَيْن ليتعلماً اللغة اللاتينية ويدرساً تعليم الآباء الأطهار، وعند وصولهم إلى رومية كان البابا (لاون العاشر) عاقداً مجمعًا كبيرًا في كنيسة القديس يوحنا لاتران فقابلهم بغایة المجاملة والإعزاز وأمر... بأن ينزل قصّاد الكرسي الأنطاكي عند الكردينال ستاكروس في كنيسة القديس أغسطن». ثمَّ روى كيف جرى تدريس اللغة السريانية في بلاد الغرب لما حضروا قداس الخوري يوسف بالسريانية فتعلّمها منه تاسيوس أمبروسيوس.

وفي عهد البطريرك ميخائيل الرّزّي سنة ١٥٦٨ طلب هذا البطريرك عن يد رئيس القدس الشريف الأب جيرولامو دا فوشاتو من الحبر الأعظم القديس بيوس الخامس «أن ينعم على الموارنة بدارٍ في رومية تجعل مدرسة لأولادهم حتى إذا رجعوا متعلمين إلى أوطنهم قدروا أن ينفعوا بني ملتهم» (الدوهي ٤٣٩). فأمر البابا رئيس القدس الأب فرنسيس فيتشسيوس^(١). فسافر إلى

(١) وفي تاريخ الدويهي (ص ٤٣٩) «فرنسيس بنجتبن» (كذا).

لبنان وخطاب رؤساء الطائفة في إرسال الشبان ليتعلّموا برومياً. لكنّ الأمر لم يتمّ حينئذ.

وكان الفضل في ذلك للحبر الأعظم غريغوريوس الثالث عشر خلف القديس بيوس الخامس كما سبقت الإشارة إليه إذ أوصى الأب جوان باطيشتا إليانو في سفارته الأولى (١٥٧٨) والثانية (١٥٨٠) بأن يختار في لبنان فتية نجباء يأتي بهم أو يرسلهم إلى عاصمة الكثلكة حيث تصرّف العناية في تربيتهم وتنقيفهم.

وهذا أيضًا ما تحقق سفير الكرسي الرسولي بعد سفارته الأولى إذ كتب في التقرير الذي قدمه للحبر الأعظم أنَّ الواسطة الأولى الواجب اتخاذها لخير الطائفة المارونية «إصلاح إكليرسها وذلك بأن يستجلب إلى رومية عدد وافٍ من الأحداث أو الشبان ليتخرّجوا في الآداب الدينية حتّى إذا قفلوا راجعين إلى وطنهم يخدمونبني ملئهم بالأمور الروحية».

وكان أول من انتخبهم الأب جوان باطيشتا إليانو شابين ذكييْن لبنانييْن وقبرسييْن ركباً البحر معه في آذار سنة ١٥٧٨ وهو جبرائيل سعد الأدنبي وكبار القبرسي، وكان الموكّل بهما الشدياق عازر القبرسي المار ذكره وكان وصولهما إلى رومية في حزيران من السنة. وقد ورد في تاريخ الدويهي (ص ٤٤٤-٤٤٥) أنَّ الحبر الأعظم غريغوريوس الثالث عشر «أمر بإحضار الولدين فباركمهما وسرّ بهما كثيراً وطلب من الله أن يجعلهما غرسة مباركة وافتتحا مقدّساً لتمجيد اسمه وانتشار أمانته في أصقاع الشرق وأمر بأن يقيما أوّلاً في مدرسة الأحداث إلى أن يتمّ بناء مدرسة خصوصية للموارنة».

وقد ورد ذكر الشابين في أحد مخطوطات المكتبة الواتيكانية (الموسوم بالعدد ٥٥٢٨ في الصفحة ٣١-٣٣) باللغة اللاتينية ما تعرّيفه: «جبرائيل سعد (Gabriel Felicis) من بان من أبرشية سيدة قُطُوبين في جبل لبنان وهي أبرشية البطريركية المارونية. قدم إلى رومية في ٨ حزيران ١٥٧٩» وكان إذ ذاك عمره ١٦ سنة».

«كسيبار غريب (?) أصله من الأفنسية (Episcopia) من جزيرة قبرس ومن أبرشية شدرا وهو من الطائفة المارونية أيضاً قدم إلى رومية في ٨ حزيران ١٥٧٩» وكان إذ ذاك عمره ١٣ سنة.

أما مدرسة الأحداث فكانت داراً مختصة بالمتضررين المرتدين حديثاً إلى الدين المسيحي (dei Neofiti).

فانكبّ الشابان على الدروس. وكانا يحضران مدارس الآباء اليسوعيين في المدرسة الرومانية (Collegio Romano) التي أنشأها القديس إغناطيوس دي لويولا، فما لبثا أن تعلما اللاتينية والإيطالية مع معرفتهما بالسريانية وكان جبرائيل يعرف العربية أيضاً وكسيبار يتكلّم باليونانية الحديثة.

فلما عاد الأب إليانو إلى لبنان في سفارته الثانية ألحَّ على البطريرك ميخائيل الرزّي ثمَّ على شقيقه وخلفه سركيس الرزّي بأن يلبيا طلبة الخبر الأعظم وبختارا أحدهما آخرين ليردوا في رومية منهل العلم ويتهدّبوا فيها بالسيرة الإكليريكية. فوقع اختيار الأب إليانو على أربعة ممَّن رأهم أملاً لذلك فأخذ المرسل الغيور يهتمُّ بأمرهم، فكان في أوقات الفراغ مدةً إقامته في قنوبين يُعنى بتعليمهم مبادئ اللغة اللاتينية كما ذكر ذلك في رسالته المؤرخة في ١٩ تقوّز ١٥٨٠ للكرديناles أنطون كرافا. فللله من غيره في ذلك الرسول الذي مع عظم رتبته كقادص البابا أخذ على نفسه مهنة المعلم للصغار. أما هؤلاء الأربع فقد ورد ذكرهم في المخطوطة الواتيكانية السابق ذكرها وهم:

- ١ - يعقوب بن سمعان (Jacobus Simeonis) الحصروني كان عمره ١٩ سنة.
- ٢ - أنطون فرنسيس (Antonius Francisci) الحصروني عمره ١٦ سنة.
- ٣ - حنا رئيس (والصواب دايس) بن يعقوب (Joannes Rais Jacobi) عمره ١٥ سنة، وهؤلاء الثلاثة من أبرشية سيدة قنوبين وهي الأبرشية البطريركية.
- مرقس بن إسطfan المطوشي عمره ١٨ سنة من جزيرة قبرس وأبرشية شدرا. وقد وصل هؤلاء الأربع إلى رومية في ٢٧ شباط سنة ١٥٨١. وكانوا أتوا على طريق البدقّة فرافقوهم من قبرس إلى رومية الخوري مارون بن إسطfan

المطوشى. أما الدويهي فقد روى في تاريخه (ص ٤٤٤) أنَّ الذي صحبهم إلى رومية هو الأب جوان برونو رفيق الأب إيلانو لكنَّ هذا الأب لم يرجع إلى إيطالية إلاً في أيلول كما سبق. ونزل هؤلاء الأربعة مع الخوري مارون في مدرسة الأحداث برفقة التلميذين السابق ذكرهما ولم يلبثوا أن بلغوا مبلغهما من العلم بعد أن أعدُّهم الأب إيلانو بما ألقاه عليهم من الدروس في لبنان.

وكانت البعثة الثالثة من الشبان الموارنة إلى رومية في أواخر السنة ١٥٨٣ . وفي تاريخ الدويهي (ص ٤٤٦) أنَّهم كانوا عشرة ولم يذكر منهم إلاً أربعة بأسمائهم. أما القائمة الواتيكانية السابق ذكرها فأحصتهم ثمانية وهذه قائمهتهم. ١ - موسى سعد العاقوري (دعاه الدويهي (ص ٤٤٦) موسى العنيسي) من أبرشية العاقورة. ٢ - جرجس بن ميخائيل الأهدناني من أبرشية إهden^(٢) (وهو جرجس بن ميخائيل الشهير بابن عميرة الأهدناني). ٣ - جبرائيل نعمة الأهدناني من أبرشية إهden (لم يذكره الدويهي). ٤ - ميخائيل صليب (Michael Crucis) البسلوقطي من أبرشية قُوُّوبين (لم يذكره الدويهي). ٥ - بطرس بن جبرائيل المطوشى من قبرس من أبرشية شدرا عمره ١٤ سنة. ٦ - يعقوب بن ميخائيل من الأفقيسة من قبرس من أبرشية شدرا عمره تسع سنين. ٧ - حنا بن جرجس من فونو (Vuno) في قبرس ومن أبرشية شدرا عمره ٨ سنوات. ٨ - جرجس بن أنطون من الأفقيسة من قبرس من أبرشية شدرا، والثلاثة الآخرون لم يذكرهم الدويهي. وكان يرافق هؤلاء التلامذة الخوري يوحنا بن أيوب الحصروني من أبرشية قُوُّوبين ثمَّ الأخ يعقوب بن سركيس القس الراهب من حدبين من رهبنة مار أنطونيوس (دعاه الدويهي القس يعقوب الراهب الدويهي). ومعه الأخ إبراهيم بن سمعان من عنيد (؟) (Anid) دعاه الدويهي بالشماماس إبراهيم بن سمعان الأذنطي. وكان الكردينال كرافات استدعى الأوَّل لتصحيح الكتب السريانية المنوَّي طبعها. واستدعي الراهبتين الآخرين لنظرارة المأوى الذي خصَّه الجبر الأعظم غريغوريوس الثالث عشر لإيواء الموارنة.

(٢) تصفَّح الاسم باللاتينية فقال de Herden, Diocesis Herdenensis

وهو لاء التسعة بلغوا رومية في ١٤ كانون الأول سنة ١٥٨٣ ليس في أولها كما ورد في تاريخ الموارنة (ص ٤٤٦) وقال الديويهي هناك: «وبعد أن تشرفوا بلثم مواطئ الحبر الأعظم طلبوا من غزير كرمه شيئاً لأجل مأوى الغرباء وأن ينعم عليهم بطبع بعض كتب للصلة فرحب بهم قداسته وأمر بأن ينزل الطلبة مع رفقائهم في مدرسة الأحداث، وأماماً غرباء الطائفة فأقام لهم منزلًا عند كنيسة مار يوحنا المعروفة بالتيينة»^(٣).

وممَّن ذكره الديويهي (ص ٤٤٦) ولم نجده في المخطوطـة الـواتيـكـانـيـة «سرـكـيسـ بنـ مـوسـىـ أـخـيـ الـبـطـرـيرـكـ سـرـكـيسـ»^(٤). ثمَّ أـرـدـفـ قـائـلاـ: «وفيـ السـنةـ الثانيةـ بـعـثـ الـبـطـرـكـ أـرـبـعـةـ شـبـانـ غـيرـهـمـ منـ مـوـارـنـةـ حـلـبـ لـأـجـلـ طـلـبـ الـعـلـمـ» لكنـهـ لمـ يـذـكـرـ أـسـمـاهـمـ. وـهـذـهـ الـأـسـمـاءـ مـصـرـحـ بـهـاـ فـيـ الـمـخـطـوـطـةـ الـوـاتـيـكـانـيـةـ: ١ - نـيـقـوـلاـ فـالـتـانـ(٥) (Nicola Valentini) عمرـهـ ١٣ـ سـنـةـ ٢ - يـوـحـنـاـ منـصـورـ عمرـهـ ١٢ـ سـنـةـ ٣ - جـرجـسـ منـصـورـ عمرـهـ ١٢ـ سـنـةـ ٤ - يـوـسـفـ إـيلـيـاـ عمرـهـ ثـمـانـيـ سـنـينـ. وـكـلـهـمـ مـنـ حـلـبـ كـانـواـ درـسـواـ شـيـئـاـ مـنـ الـلـاتـيـنـيـةـ وـيـعـرـفـونـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ وـكـانـ نـيـقـوـلاـ يـعـرـفـ أـيـضـاـ الـلـغـةـ الـتـرـكـيـةـ. كـانـ وـصـولـهـمـ إـلـىـ رـوـمـيـةـ فـيـ شـهـرـ نـيـسـانـ مـنـ السـنـةـ ١٥٨٤ـ.

وهـنـاـ لـأـبـدـأـ نـذـكـرـ شـائـيـنـ آـخـرـينـ مـنـ الـمـوـارـنـةـ أـرـسـلـاـ إـلـىـ رـوـمـيـةـ سـنـةـ ١٥٨٢ـ وـلـمـ يـقـدـنـاـ الـدـوـيـهـيـ وـالـأـبـ إـلـيـانـوـ عـنـ أـمـرـهـمـاـ شـيـئـاـ. وـاسـمـاهـمـ مـدـوـنـانـ فـيـ سـجـلـاتـ الـرـهـبـانـيـةـ الـيـسـوعـيـةـ: إـسـمـ الـأـوـلـ نـيـقـوـلاـ جـرجـيـ (Nicola di Giorgi). وـالـثـانـيـ إـبـرـاهـيمـ جـرجـيـ (Abraham di Giorgi) الـمـولـودـ فـيـ حـلـبـ سـنـةـ ١٥٦٣ـ. وـكـلـهـمـ دـخـلـ فـيـ الرـهـبـانـيـةـ الـيـسـوعـيـةـ. كـانـ دـخـولـ نـيـقـوـلاـ فـيـ ٢٠ـ أـيـلـولـ ١٥٨٢ـ. وـإـبـرـاهـيمـ فـيـ ٢٨ـ كـانـونـ الـأـوـلـ ١٥٨٢ـ. وـلـعـلـهـمـاـ أـخـوـانـ وـلـاـ نـعـرـفـ مـنـ أـمـرـ نـيـقـوـلاـ شـيـئـاـ، أـمـاـ إـبـرـاهـيمـ فـهـوـ الـأـبـ الـمـكـرـمـ الـذـيـ بـشـرـ بـالـمـسـيـحـ فـيـ الـهـنـدـ ثـمـ

(٣) يـعـرـفـ بـالـإـيطـالـيـةـ باـسـمـ della Ficoccia.

(٤) وـلـعـلـهـ يـوـجـدـ تـلـيـذـ عـاـشـرـ لـمـ يـذـكـرـ الـدـوـيـهـيـ باـسـمـهـ إذـ قـالـ إـنـ عـدـ الـتـلـامـذـةـ الـمـرـسـلـينـ فـيـ تـلـكـ الـبـعـثـةـ «كـانـواـ عـشـرـةـ».

(٥) لـعـلـهـ تـرـجـمـةـ اـسـمـ «شـدـيدـ»

رحل إلى الجبنة فُقتل شهيداً في مصوع في ٤ أيار ١٥٩٥ وسنعود إلى ذكره. وكان لإبراهيم أخ اسمه يوسف انضوى مثله إلى الرهبانية اليسوعية ولا نعلم من أخباره سوى ما ورد في أحد مكاتيب الأب إبراهيم إلى الرئيس العام الأب أكوايفيا في تاريخ ١٥٩٣ لـ^١ سنة ١٥٩٣ يطلب منه أن يرسل أخيه يوسف إلى الهند مع الكاهن الماروني موسى العنسيري تلميذ مدرسة الموارنة في رومية.

في إنشاء المدرسة المارونية الرسمية (١٥٩٢-١٥٨٤)

بلغ عدد أحداث الموارنة المرسلين إلى رومية ليخرّجوا فيها بالأداب الكهنوتية في ربيع السنة ١٥٨٤ عشرين تلميذاً كانوا يسكنون في دارٍ بقربها كنيسة على اسم مار يوحنا المعمدان، كانت سابقاً كنيسة رعية فخّصصها الحبر الأعظم غريغوريوس الثالث عشر متزلاً لغرباء الموارنة الذين كانوا يأتون من الشرق إلى أم المدائن لغایات مختلفة دينية أو دنيوية، بينهم عدّة فقراء وذلك في السنة ١٥٨٢ بموجب براءة^(٦) تاریخها ٣١ من شهر كانون الثاني سنة ١٥٨٢ افتتحها بهذه الألفاظ (Exigit incumbentis) وعيّن لمعاشهم مبلغاً كافياً. ثمَّ ألحّقها في السنة التالية في ١٣ كانون الأول ١٥٨٣ ببراءة^(٧) بذوها (Salvatoris Nostri) أثني فيها على الطائفة المارونية وطاعتها للكرسي الرسولي وحسن استقبالها لقاصاده اليسوعيين، ثمَّ أعلن بجعله الدار السابق ذكرها مع كنيستها ملكاً للأمة المارونية مستقلةً عن رعية القديس أندراؤس (S. André delle Frate) التي كانت قبلًا متولّةً عليها بحيث يتصرّف بها الموارنة كما يشاّرون ويقيّمون في كنيستها رتبهم وطقوسهم الشرقيّة دون عائق.

ثمَّ رأى الحبر الأعظم نموّ التلامذة وما ينجم في اختلاطهم مع أبناء جنسهم من العوائق لتراثهم الكهنوتيّة ودروسهم فعاد في السنة ١٥٨٤ في ١٢

(٦) أطلّبها في مجموعة البراءات المارونية للعنسيٍّ Bullarium Maronitarum, pp. 81-83.

(٧) في المجموعة ذاتها (ص ٨٤-٨٩).

آذار منها وأمر بأن تُفرد الدار المذكورة للأحداث الدارسين مع كنيستها وما يلحق بها من الجنينة وبقية توابعها فتدعى بالمدرسة المارونية لا يسكنها غيرهم مع الكهنة المتولين نظارتهم والعناية بهم. وقد ورد ذكر الذين سكنوا تلك المدرسة في اليوم الموما إليه في المخطوطة الواتيكانية اللاتينية الموسومة بالعدد ٥٢٨ (في الصفحة ٣١-٣٣) وهم التلامذة المذكورون آنفًا ثم الكهنة والرهبان الآتون:

- ١ - الخوري مارون إسطfan الكاهن العالمي من جزيرة قبرس قدم إلى رومية في ٢٧ شباط^(٨) ١٥٨١ مع أحداث قادهم إليها.
- ٢ - الخوري يوحنا أيوب الحصروني الذي استدعاه الكردينال أنطون كرافا محامي الطائف من لبنان لسعة علمه باللغة السريانية ليراقب مطبوعاتها. أتى رومية في ١٤ ك^١ سنة ١٥٨٣.
- ٣ - القس يعقوب سركيس الحردبني من رهبان مار أنطونيوس أتى رومية بأمر الكردينال عينه لزيارة المأوى قبل تحويله إلى مدرسة في ذات التاريخ.
- ٤ - الأخ إبراهيم سمعان الأدبيتي من الرهبان المذكورين أتى مع القس يعقوب. ويشير في آخر الكتابة إلى ستة تلامذة آخرين لم يذكر أسماءهم ولعلهم كانوا متظارين (desiderantur) «اثنان من دمشق حيث يوجد كرسى أسقفى»، واثنان من بيروت «ليقوما بخدمة أبناء جلدتهم الذين يهربون من ظلم الأتراك إلى بلاد الدروز حيث يعيش معظم الموارنة». ثم «واحد من بجدرفل? (Becartela)؟ واحد من جبيل أو الجبة (Gibbeir)؟ وهو من أخص منازل الموارنة». واحد من كورماتيكو^(٩) (Cormatico) من قبرس. واحد من غمبيلي (Gambili) من قبرس.

فهزلاء باشروا مذ ذاك عيشة متقطمة كما تليق بالدارسين ولا سيما بالمرشحين للعيشة الكهنوتية. وقد أيدَّ الحبر الأعظم غريغوريوس الثالث عشر بسلطانه السامي نظام تلك المدرسة ببراءة خاصة^(١٠) أصدرها في ٥ تموز سنة ١٥٨٤ تبتدئ بهذه الألفاظ (Humana sic ferunt) (sic) يبيّن في مقدّمتها ما

(٨) وفي المخطوطة الواتيكانية سنة ١٥٨٢ ونظرَ أنها غلط ولعلَ الأخرين نقولا وإبراهيم جرجي الحلبيين أتيا معه وقتلُوا.

(٩) والصواب كورماتيكو، وكل هذه الأسماء مصيغة.

(١٠) أطلبهَا في مجموع البلاطات المارونية ص (٩١-٩٧).

حمله على تخصيص المترتب السابق العمومي بتربية أحداث الموارنة وجعله مدرسةً وما يتوقع منها من الفوائد الجمة للطاقة المارونية كلها. ثم يعدد ما لتلك المدرسة من المداخل وبأي شروط يدخلها التلامذة وما سيكون نظامهم ومميزاتهم وطقوسهم الشرقي. ويجعل المدرسة تحت نظارة الكردينال كرافا محامي الطائفة و يجعل في يده تدبيرها والاهتمام بسائر أمورها مؤملاً من نجاحها خيراً كبيراً لموارنة لبنان.

ثم أردف البابا هذه البراءة ببراءة رابعة في السنة والشهر عينها أولها (Romani Pontificis) حتم على مجمع التسجيل الروماني (Dataria) أن يدفع كل سنة من مداخيله ١٢٠٠ دينار لمصروف المدرسة المارونية^(١١). فكانت هذه النعمة الممنوعة من ذاك الخبر الهمام كشهادة محبته الأخيرة للطاقة المارونية حيث توفي بعد قليل. فخلفه سكستوس الخامس الذي أحب أن يبرهن عن انعطافه نحو الموارنة ومدرستهم فأضاف إلى مداخيلها أوقاف كنيسة مريم العذراء والقديس كلوديوس المعروفة بفراسينوريو وكانت فرغت بوفاة الكردينال ألكسندر الممتنع بها فأبرز في ذلك براءة^(١٢)، إفتتحها بهذه الكلمات (Inter cetera collegia) في تاريخ آب من السنة ١٥٨٥ وألحقها براءة ثانية بمعناها في ٧ شباط ١٥٨٦.

وقد أشار الدويهي في تاريخه إلى هذه الهبات البابوية فقال عن البابا غريغوريوس إنه «أجرى على تلامذة المدرسة المارونية وظائف من نفس طعامه» ثم قال (ص ١٨٠): «ولما قام بعده كسوسطس (كذا) الخامس رتب لهم دخلاً يكفي ١٥ طالباً مع جميع من يقوم بخدمتهم». وقال في محل آخر عنه: «ولما علم أن سالفه أدركه الموت قبل أن ينهي المدرسة رتب لها دخلاً سنوياً في فراسينوريو وفي السنة الثانية من رئاسته عين لها وقفًا في العامودية» (ص ٤٢٠).

(١١) تجدتها باللاتينية في مجموع البراءات المارونية (ص ٩٨-١٠٠).

(١٢) في المجمع عنه (ص ١٠٣-١٠٠).

وقد امتاز بكرمه الحاتمي نحو هذه المدرسة الكردينال أنطون كرافاً الموماً إليه فإنه مدة حياته لم يزل ساعياً بترقيها مادياً وأديياً إلى سنة وفاته (١٥٩٤) وهو الذي جدد بناء كنيستها التي كانت في جملة تصاويرها صورة لرافائيل المصور الدائن الشهرة ووقف على المدرسة قبل موته جميع تركته بمبلغ عشرة آلاف سكودي^(١٢). وبهذه الأرزاق الجارية على المدرسة المارونية أصبحت مماثلة لأفضل المدارس المنشأة في رومية كمدرسة اليونان والمدرسة الإنكليزية والمدرسة الإيرلندية.

أما إدارة هذه المدرسة فجعلت في أيدي الرهبانية اليسوعية فكان يسكن فيها الرهبان الموكولة إليهم العناية بالتلامذة ولا سيما الرئيس ومدير المدارس والأب الروحي. وكان أول رئيس أقيم عليهم الأب يوحنا برونو رفيق الأب إيلانو في قصاته الثانية إلى الموارنة، بقي في رئاسته إلى السنة ١٥٩٠.

وكان التلامذة يذهبون كل يوم إلى المدرسة الرومانية ليتلقّوا فيها دروسهم من الآباء اليسوعيين كتلامذة مدارس الإنكليز واليونان والإيرلنديين مباشرةً من أصول اللغتين اللاتينية والطليانية، ثم العلوم الأدبية والرياضية ثم الفلسفة واللاهوت فيedom زمن دروسهم من عشر سنين إلى ١٢ سنة.

وكان لهؤلاء التلامذة ثيابهم الرسمية دراعة سوداء (قباز) وزنار مثلها مع رداء طويل وقبعة إكليريكيَّة، وهم يحافظون على طقsemh السرياني فيقوم بتعليمهم اللغتين العربية والسريانية كهنة من ملئهم يقطنون معهم. وكانوا يحتفلون كل سنة بعيد القديس يوحنا المعمدان احتفالاً عظيماً وعلى اسمه كانت كنيستهم، وكانوا في مساء النهار يعقدون جلسة أدبية في صاحب العيد بلغات مختلفة يحضرها الكردينال محامي الطائفة وكثير من أرباب الإكليلروس وذوات رومية. وفي ٩ شباط كان يعيِّدون عيد القديس مارون بأبهة ورونق فيدعون إليه أصدقاء الطائفة ومحبي الطقوس الشرقية. وكذلك رتبة أحد الشعانيين كانوا يقيمونها بكل مجاليها في تقاطر الرومانثون إلى حضورها.

(١٢) أطلب تاريخ الدوبيهي ص ١٨٠.

وقد اهتمَ تلامذة رومية مع الكهنة الموارنة والرهبان الذين في مدرستهم بنشر الكتب الطقسية المارونية بالسريانية. وأول ما ظهر من ذلك سنة ١٥٨٥ كتاب الجنائز طبع على نفقة البابا غريغوريوس الثالث عشر في مطبعة دومينيك بازا (D. Basa) بحرف سرياني مع نقوش وتصاوير. وهو من أقدم الكتب التي طبعت بالسريانية.

قوانين المدرسة المارونية في رومية

وقد وقنا على قوانين المدرسة المارونية في سجلات رهبانّتنا اليسوعية وهي باللغة اللاتينية من إنشاء مجمع انتشار الإيمان وُضعت بعد تأسيس المدرسة في القرن السابع عشر، وكان قبلها الكردينال أنطون كرافا قد وضع لها بعض القوانين المختصرة جرى التلامذة عليها أولاً فنفعها المجمع المذكور وأوضحها في أحد عشر فصلاً.

فالفصل الأول يتضمن خلاصة تاريخ إنشاء المدرسة المارونية بهمة البابا غريغوريوس الثالث عشر في السنة ١٥٨٣ (كذا) وما قصده من إنشائها أعني تهذيب بعض أحداث الموارنة ذوي الأدب الحسنة والذكاء بالتقى والعلوم، حتى إذا تخرّجوا في رومية بكلّ الأداب الكهنوتيّة يعودوا إلى وطنهم ويتوّلوا نشر الدين الكاثوليكي بين أهل ملّتهم ومواطئهم. وفي هذا الفصل ذُكر الكردينال كرافا المحسن الكبير إلى الطائفة المارونية ومساعيه الطيبة في إنجاح هذه المدرسة مادياً وأديباً.

الفصل الثاني مداره على الصفات المطلوبة من أولئك الأحداث وكيف ينبغي انتخابهم قبل أن يُرسلا إلى المدرسة المارونية ولذلك لا بدّ أن يقضوا مدةً في المدارس المنشآة في وطنهم بفضل الكرسي الرسولي فُيمتحنوا فيها ويتلقّنوا المبادئ الغراماتيقية فإذا وجدوهم أهلاً أرسلوهم إلى المدرسة المارونية. ولا يقبلوا في رومية إلا مصححوبين بكتاب من السيد البطريرك أو برخصة مجمع انتشار الإيمان أو الكردينال محامي الطائفة.

الفصل الثالث يحتوي شروط دخول التلامذة في المدرسة المارونية بأن يختلوا مدة عشرة أيام برياضة روحية يتمرنون فيها على الواجبات الدينية، وبعد اعترافهم العام بذنوبهم وقبولهم القربان الأقدس يطلعون على قوانين المدرسة لينظروا أيسططعون حفظها فإذا حسنت لديهم تلوا صورة القسم الذي وضعه أوربيانوس الثامن للشريين ووعدوا بتخصيص حياتهم لخدمة النفوس في العيشة الإكليريكية وتأهّلوا لقبول الدرجات الصغرى مباشرةً بالإكيليل.

الفصل الرابع خُصّ بالرياضات الروحية التي يجب على التلامذة ممارستها من صلوات لفظية وتأمل يومي صباحاً نصف ساعة وحضور القدس الإلهي وتلاوة الكتب الروحية ومواقبة على سرّي التوبّة والقربان على الأقلّ مرّة في الشهر وفي الأعياد الحافلة. وتلاوة طلبة جميع القديسين يومياً مع ربع ساعة لفحص الفضمير مساءً. وفيه تحريض على درس الطقس الماروني ولغة السريانية. وفيه أيضاً ذكر الرياضة السنوية وبعض الرياضات الروحية في الأعياد وأيام الآحاد. وكذلك يذكر تعين أبٍ روحى يعترف التلامذة له بخطاياهم.

الفصل الخامس يفضل واجبات رئيس المدرسة وهو أحد الآباء اليسوعيين وما يفرض عليه لتنقيف الدارسين وتهذيبهم الروحي بحيث يوفر لهم الوسائل ليتأصلوا في ممارسة الفرائض التقوية السابق ذكرها فيحسنوا القيام بها، ويعين لهم أباً روحياً يقرؤون له بخطاياهم دون سواه ويمدّهم بالكتب التقوية وسيّر القديسين وكلّ ما من شأنه أن يزيدهم برارةً وقدساً.

الفصل السادس عنوانه «ما يجب على التلامذة من الطاعة والإكرام للرؤساء» بين فيه أنّ نجاح المدرسة وحسن تدبيرها يتوقفان خصوصاً على طاعة التلامذة لرؤسائهم وما يتبع من الأضرار بمخالفتها، فيحضر الجميع على إتمام أوامر الرؤساء وإكرامهم ويتهجد العصاة بالعقوبات الصارمة بل بطردهم من المدرسة.

الفصل السابع يبحث عن نظام المدرسة اليومي بحيث يحفظون بتدقيق

الترتيب العام فيعيشون عيشةً متساوية في شغفهم وراحتهم وصلاتهم ونومهم وخروجهم من المدرسة ورجوعهم إليها دون امتيازات خاصةً إلاً إذا حكم الرئيس بخلافه. وتحتم عليهم أن يسلموا ما عندهم من الدرام لوكيل المصروف فينفقونها بإذن الرئيس ولا يحفظوا كتاباً خارجاً عن نظام المدرسة دون رخصة الرئيس. وفي هذا الفصل عدّة قوانين في تصرف التلامذة مع بعضهم ومع الغرباء وفي أوقات الدرس وفي ساعات الفراغ وفي الأصوم والقطاعات وفي أمراضهم.

الفصل الثامن يشتمل على واجبات الرؤساء في عنايتهم بحفظ النظام اليومي لترويض أخلاق التلامذة وتحسين سلوكهم لا سيما في الخارج. وهنا كلام عن ملبوسهم وعن زيارتهم لمعابد رومية أو لبعض الذوات وترويض أجسادهم بالألعاب المناسبة.

الفصل التاسع يبيّن خصوصاً ما يجب على التلامذة من لزوم الحشمة والتقيّة والأنس في كل أعمالهم ليكونوا قدوةً لكلّ من يراهم أو يخالطهم ويحذرها من كلّ حديث يسيء إلى القريب أو يغيط رفقتهم.

الفصل العاشر موضوعه الدروس وتحريض التلامذة على ملازمتها بكلّ حرص واجتهداد مع حفظ نظامها سواء حضروا تعليم الأساتذة في المدارس أو تباحثوا في أماثيلهم في ما بينهم أو راجعواها وحدّهم في غُرّفهم. مع إيضاح الطرق المناسبة للاستفادة منها. وفيه كلام على الاعتناء بالكتب المدرسية والكتب المستعارة من المكتبة العمومية.

الفصل الحادي عشر يخصّ الرؤساء وفيه تعريف ما يقتضي عليهم في تخرّج التلامذة بالعلوم وتنقيف عقولهم ليصبحوا يوماً أنواراً لأهل بلادهم. فيتّبع المجمع المقدس سياق دروسهم مباشرةً بالعلوم اللغوية والبيانية ثم الفلسفة بأقسامها وفروعها ثمّ اللاهوت النظري والأدبي وسائر العلوم الكتابية والشرعية الكنسية إلى نهاية دروسهم وتقدمة الفحوص عنها والشهادات المؤذنة بنجاح التلامذة فيها. ولم ينسَ المجمع درس لغتهم الوطنية والطقوسية

تحت نظارة الكهنة أو الرهبان الذي عُهد إليهم ذلك. وهذا ما أَهْلَ تلاميذ رومية لخدمة العلوم الشرقية في أوروبَة كما سترى.

وهذه القوانين المذكورة تجد خلاصتها في براءة البابا أوربانوس الثامن التي أصدرها في ٣٠ تموز سنة ١٦٢٥ لإثبات مدرسة تأسست وقتنى في جبل لبنان لتشقيق أحداث وشبان الطائف المارونية لا سيما الذين يرشحون للمدرسة المارونية في رومية ليتمموا فيها سياق دروس الفلسفة واللاهوت. وهذه البراءة قد نُشرت مُعَرِّبةً في طبعة المجمع اللبناني الجديدة التي تولى نشرها الطيب الذكر المطران يوسف نجم في الفصل الثاني والأربعين من الذيل (ص ١٢٨ - ١٣٢). وقد استفاد أيضاً آباء المجمع اللبناني من قوانين المدرسة المارونية في الباب السادس من القسم الرابع المعنون بالمدارس والدورس.

وإن عدنا إلى ذكر تاريخ المدرسة المارونية في سنينها الشماني الأولى (١٥٨٤- ١٥٩٢) وجدناها ساعيةً في سبل النجاح تحت رعاية الأب يوحنا برونو الذي قام لديهم مقام أحن الآباء بعد أن زار بلادهم فاختبر محمد أهل ملتهم.

ولم يكونوا ليذهبوا عن أكبر المحسنين إليهم وأعزّ أصدقاء طائفتهم وأكبر السعادة في فتح مدرستهم الأب جوان باطيشتا إيليانو. وممّا وقفنا عليه من رسائلهم التي حرّرواها للأب المذكور رسالة لجرجائيل الباني أول تلاميذ المدرسة المارونية كتبها كما يظهر بعد رجوع الأب إيليانو من مصر إلى البندقية سنة ١٥٨٥ ومنها يظهر حبّ هؤلاء التلاميذ للأب إيليانو وعرفانهم جميله:

بِسْمِ الْأَبِ وَالْابْنِ وَالرُّوحِ الْقَدِيسِ

أَفْيَلُ الْأَرْضِ وَأَحْنَى بِالْهَامَةِ الْخَاطِئَةِ بَيْنِ الْأَيَادِيِّ الطَّاهِرَاتِ النَّقِيَّاتِ
الزَّكِيَّاتِ أَيْ أَيَادِيِّ الْمُحَبِّ الْحَنُونِ وَتَاجِ رَأْسِيِّ وَقَرْأَةِ عَيْنِيِّ وَمَهْجَةِ فَوَادِيِّ الْمُحَبِّ
الْمُحْبُوبِ أَبِيِّ الْقَسْنِ باطِيشَتَا سَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

سَبَبَ تَسْطِيرِهِ الْأَشْوَاقَ إِلَى نَظَرِكَ الْبَهِيَّ اللَّهُ يَرَوِينَا إِيَّاهُ بِخَيْرٍ وَعَافِيَةٍ. ثُمَّ
الَّذِي نَعْرَفُ بِهِ الْأَبِ الْحَنُونِ بَأْنِيِّ وَقَتْ سَمِعْتُ أَنْكَ جَيْتَ مِثْلَ مَا يَكُونُ أَبِي قَامَ

من بين الأموات. فرحت جداً وشكري الله على وصولك الطيب إلينا وعلى سلامتك ومجدت الله القدس الذي ردك إلينا لأنك وقت كنت غائب كنا مثل اليتامي بلا أب ولا سيما لأنك عملت عمل خير عظيم وجبتنا من بلادنا في كل جودة. وكنا مثتاقين جداً لأننا كنا دائمًا نصلّي حتى الله يروينا وجهك قبل الموت. ونعلم الآب الحنون بأنّ البابا غريغوريوس عمل لنا مدرسة وطلبنا جماعتكم حتى يذربونا والحمد لله الجزال أنعم علينا وأعطانا إياهم ليذربونا وكنا مستنظرينك زمان طويل لكي تجيء وتذربنا وإن شاء الله وقت تجيء نطلبك من الجزال. واطلب من إحسانك إن كان يجيء الخوري هنا وأنت في البندقية لأنك تعينه وتكون لنا معين في كلّ ضيقتنا وغربتنا. وما نعترض وصيّة لأنك دائم حريص علينا وأنت جبتنا وأنت ربيتنا وأدام الله بقاك.

أحرّ الناس عبده وابنه
جبرائيل الباني ابن القس يوسف

وقد وقفنا لتلاميذ رومية على مكتوب آخر كتبه جبرائيل المذكور للأب إلىنا باسمه وباسم ثمانية من رفقته هذا نصّه :

أقبل الأرض وأنحني بين أقدام السائر بخدمة العلي الشريف ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي وعد بإنجيله المقدس ملوكوت السماوات للمجتهدين بعمله... أمين. وسبب تسطيري هذه الكتابة أنا الحقير جبرائيل شوقي لنظرك أنت الذي بوساطتك أتيت إلى هذا الموضوع المقدس. ثم إنّا نعلم الآن أبوتك نحن يعقوب ومرقس ونعمة وكبار ويوحنا وأنا الحقير مسطر هذه الأسطر أنت معاذين هؤلاء الكتب الذين أساميهم مكتوبين بورقة الأب يوحنا (برونو). فمن كلّ بدّ وسبب يا أبونا نريد أنك ترسلهم ولا تتهاون بالحبّ الروحاني الذي أنت به مقيد نحونا. ونعلمك أيضًا أنّا نحن كلّنا طيّبين بنظر الله ونظر سيدنا البابا ونظر سيدنا الكرديتال أنطونيوس (كرافا) وما يختنا غير نظرك ورؤيتك البهية وهؤلاء الكتب والربّ يجمع الشمل بيتاً وبينك أمين.

أنا الحقير مرقس التبرسي أنا الحقير جبرائيل الهدناني أنا الحقير موسى العاقوري أنا الحقير جرجس الهدناني أنا الحقير سركيس ابن أخو البطرك سركيس أقبل أياديك كثير أنا الحقير ميخائيل ابن أخو المطران أنا الحقير يوحنا الحلبي وبعد السلام كثير كثير أمين. (وفي آخرها عبارة بالسريانية هذا تعرّيفها) :

إِنَّ التَّلَمِيذَ الَّذِيُّ وُضِعَ مِنَ الْأَبِ يَوْحَنَّا بِاطِّيشَتَا الْيَوْمِ يَتَعَلَّمُ الْلَّاهُوتَ وَهُوَ

يسلك بمخافة الله ويطلب من أبيه الروحاني الأب باطبيشا أن يرسل لنا أعمال الشهداء والكتب التي نتبرّر بها.

ولدينا مكتوب آخر كتبه تلميذه الخوري يوحنا أثيوب الحصروني الماز ذكره بعد رجوع الأب إليانو من مصر إلى البندقية:

بسم الرب حافظ خانفية وموصلهم إلى درج الكمال

كما يتوق الأئمّ إلى ينبوع المياه كذلك تاقت نفسي إلى حضرة الآب القديس الجوهر النبیس الذي ليس في قدارته شأْن علم الأعلام ومصباح الظلام... فخر العلماء وزین الكهنة أبي وعلّمی وتاج رأسی القس باطبيشاً أَدَامَ الربّ كهنوته ويرحمني ببركة صلواته. وسبب تسطيرها كثرة الأسواق إلى نظر أيقونتكم البهية يمتننا بها الرب قبل الموت. ثمّ نعلم أبوئتك بأنّ وصل إلينا خبر المحنّة التي أتت عليك فعمّنا كثيراً لكن نشكر الله على خلاصك بخير يا أبي قال داود النبي: كثيرة هي أحزان الصدّيق ومن جمیعها يخلصه الرب. وأعرض على معرفتك الكريمة أتني أنا الحقير تلميذك دخلت إلى المدينة المعظمة أم المدن رومية وصار لي تكرييم عظيم من السيد الكريدينال أنطونيوس كرافاً أَدَامَ الله بقاء زماناً طويلاً. وكذلك الآب الأقدس سیدنا البابا أنعم علينا بكل شيء طلبناه منه أخذلنا كنيسة ولها بستان وعمرّ لنا لزقها مدرسة عظيمة مثل مدرسة الملكية (أي اليونان) وأحسن. وأولاد الموارنة انتقلوا جميعاً إليها وعمل لنا استنباطاً (أي مطبعة Stampa) بالحرف السرياني الكبير الرب يجازيه في ملوكه السماوي. وأنا وعلّمی القس يوحنا نقلنا الكتب من السرياني إلى الإفرنجي وهو مجتهد وساعي بكلّ أشغالنا وتعب كثيراً من أجلنا الرب يجازيه... ونعلم قدسك إن كان يهون الله في شهر نيسان أتوجه إلى البلاد ونرجوك أن تجعل طريقك علينا حتّى نقشعك ونفرح فيك قبل الموت وحضر تسطيرها تلاميذك أهل جبل لبنان يقبلون يديك.

تلמידك الحقير في الكهنة يوحنا الحصروني
من جبل لبنان

وقد اطلّعنا على رسالة حرّرها البطريرك سركيس الرّزّي إلى الآب إليانو في تاريخ ٢٥ آذار ١٥٨٥ يهتّي فيها بالتجاهة من محنته ويوصيه بالتلاميذ الموارنة:

فِلْهُو فِلْهُمْهُ بِهَذَا هُدًى

السلام والبركة التي حلّت على جوّ الرسل تكون حالة على أعز الأصدقاء والمحبين القدس باطليشتا. رب يبارك عليك في كل أيام حياتك ويخلصك في الدنيا والآخرة ويكون حظك في ملكوت السماوية بصلوات العذراء الطاهرة والأباء القديسين آمين.

وبسب تسطيرها كثرة الأسواق إلى رؤياك السعيد الله يروينا وجهك بخير وعافية آمين. ثم نعلم لمحبتك الصادقة ولأمانتك الوائقة بأن وصلت مشرفتك إلينا وفهمنا مضمونها وصار عندنا غم من تحت رأس الخسارة والضيق الذي صار عليك لكن ترجو المعونة من الله سبحانه وفي نظر السيد البابا يتممها في كل خير جزيل ويقضي تعليم الكنيسة الرومانية في ذلك البلد المحروس ويكون عندنا فرح بدل الغم الذي اغتمينا. وإنك أرسلت تقول على أحوال البلد وأن الحكماء يتقدروا وجاء إلى عندنا باشا صعب قوي وصار عندنا فزع وعرانا أسباب الدير (؟) لكن عاد صار لنا رستاق على يد القنصل والخواجة الإفرنج الله يخلص لك ولهم آمين. وإنهم دخلوا عند البابا وطالعوا لنا مرسوم توصية في الدير وأن لا أحد ينفك علينا فاطمنا بذلك. وأنا الحقير والمطارنة والأساقفة والرهبان بندعي لك في الخلاص وهم يخصوك بالسلام ويضيفوا شوقهم إليك كثيراً أعلمتك ذلك وبعد تجديد البركة والسلام عليك كثير.

ثم نخبر محبتك بأن إذا بقي يجيئك أخبار من جوّ ابن ارسل عرقنا بذلك وأرسل وصّ في الشاتين الخوري يوحنا وفي ابن أخي الشمامس سركيس والقدس إبراهيم الراهب وبقية الأولاد وأهل المدرسة ولا تقطع جميع أخبارك عنّا.

برزت من دير سيدة قُطُوبين
نهار عبد الشارة ١٥٨٥

أثبتنا مبادئ تاريخ المدرسة المارونية ونظمها وتدير شؤونها المادية والأدبية مع خلاصة قوانينها وما ناله من كرم الأحجار الرومانيين من الامتيازات الممتعة فضلاً عن الأوقاف الكافية لمعاش تلامذتها.

وبقي الأب يوحنا على رئاسة المدرسة المارونية في مقامها الجديد من السنة ١٥٨٤ إلى ١٥٩٠ وهو يبذل جهده في تمهيد العقبات التي كان يلقاها في طريقه مدة تلك السنين الأولى فذللها بحكمته وحسن نظره. وقد

ساعده كثيراً على ذلك الكرديتال أنطون كرافاً محامي الطائفة المارونية الذي كان يعتبر هذا المشروع كأعظم خدمة يؤديها للكنائس الشرقية ليعد لها رونقها القديم.

ولما عاد الأب جوان باطيشتا إلى إيلانو إلى رومية سنة ١٥٨٥ بعد محتله الشديدة في سفارته إلى الأقباط عهد إليه البابا سكستوس الخامس خلف غريغوريوس الثالث عشر وكالة التائبين العظمى فبقي عليها إلى سنة موته في ٣ آذار سنة ١٥٨٩. وكان في تلك المدة لا يذكر وسعاً في خدمة المدرسة المارونية ونجاحها وكان يكتب معارفه في لبنان ويرسل لهم الصدقات وأنية التقديس ويطلع على أحوالهم الدينية. ومما وقفت عليه في سجلات الرهبانية اليسوعية المكتوب التالي أرسله إلى الأب إيلانو من طرابلس في ١٠ أيلول سنة ١٥٨٦ ثلاثة من أهلها بهذا الإمضاء «يونان ويوف وسركيس» ولعلهم كهنة طرابلس الموارنة.

السلام الباقي على الأب المكرم المحبت والأخ بال المسيح القدس باطيشتا سلّمه الله تعالى من كل شر ويرحمنا رب ببركة صلواته المقدسة آمين.

ثم نعلم سيدنا وعزيزنا أننا نحن بعون الله وبصلواتك طيّبين وشاكرين الله لسمعينا بسلامتك إذ جئت من مصر طيب. وإنّه قد وصل إلينا من فضلك على أيدي الخواجا فرنسيكو^(١٤) كأس وصينية فضة مطلية ذهب وبمحترفين وقنديل وسطل وسخانة نحاس لغسل اليدين وأصحاب فرنجتي وعثيقه^(١٥). وأمام دوايات الكتابة الذي أوصاك عليهم القدس جرجس والبلصام (والبلسم) مما بعثت لنا منها شيء. ونزيرد من فضلك وإحسانك أن تبعث لنا عودة قداس كاملة وتاباج وبليس وكتاب العثيقه يكون بخط عبراني ولفظ سرياني مثل الصغير الذي كان معك والدهن الذي وعدتنا به لقطع الدلف. واكتب لنا حق الحوائج الذي تبعثهم لنا كم تكون حتى ترسل لك حقها كما يزيد خاطرك. ونزيرد من فضلك أن تقبل لنا أيادي سيدنا البابا وتشاوره أن يرسل لنا ورقة من جهة الصوم والأعياد حتى بدستوره نمشي على رتبكم لأنّ ذمتنا تدلّنا باختلاف الطائفة عنكم.

أما أمر القدس سركيس فهو كما كان. لما أراد البطريرك أن يرسل الحصروني أم

(١٤) نظن أنه كان قفصل البندقية في طرابلس وأحد تجارها.

(١٥) يزيد بالعثيقه تراثاً للمهد العتيق

حريق أم غنطوس ما أحد منهم أراد أن يدخل رومية من شأن ختم الأسطنة (كذا). ومن بعد ما جلب البطريرك واحداً منهم جاء لعندها وقال: أبعث القس سركيس. وتوافقنا معه وقمنا هنأته. ومن بعد ما وصلت لطرابلس قام البطريرك والحضرمي عملوا شور غير ذلك ما نعرف أيش بدار لهم ومن أيش الرب يعلم. كنت بعثه من كل قلبي لكن الحضرمي جاءنا خبر أنه تكلم غرائب وقال إننا كنا طلبنا أن نأخذ رعيَّة البطريرك واشتكي علينا إلى البابا وأننا مخالفين الكنيسة ورتبتها. الله يجازيه. وبابين رجع إلينا وهو يقول إنه جاء من رومية ميت من الجروح بلا زؤادة وجاب معه بعض أوراق كتب تُؤيِّسات وأشيبات أيش نريد لهم كان لنا خاطر أن تنطبع كتب الكنيسة على يدك كما يريد الله وكما تعرف أنت لكن أيش في خاطر البطريرك والشرح طويل. وبعد السلام والباقي على الدوام في محبتك الحقير يونان وإخوته كل واحد باسمه ومن المطران يعقوب. كتب في طرابلس ١٤ أيلول سنة ١٥٨٦ مسيحية. عبودية محبتك بال المسيح.

يونان ويوسف وسركيس

فيؤخذ من هذه الرسالة أنَّ الموارنة في رومية باشروا بطبع كتبهم الطقسية في غيبة الأب إليانو. وقد سبق أنَّ الكردينال أنطون كرافا كان استدعى لهذه الغاية الخوري يوحنا أيوب الحضرمي فنشر بالطبع كتاب الجنائز المعروف بالنُّويصة. إلا أنَّ الطائفة كانت في حاجة أمنَّ إلى كتاب القدس والشحيم. وكان الأب إليانو يفكَّر في تقيقهما وطبعهما ويبحثُ على ذلك الكردينال كرافا لولا أنَّ الموت عجلَه قبل إبراز فكره إلى الوجود.

وفي السنة ١٥٩٠ قام خلفاً على رئاسة المدرسة المارونية الأب إيرينيموس فوروفتي الروماني بعد الأب يوحنا برونو ولا نعلم أكان ذلك بسبب موت الأب برونو أم لوظيفة أخرى عُهدت إليه. وبقي الأب فوروفتي ست عشرة سنة في تدبير المدرسة (١٥٩٠-١٦٠٦) فجرى على آثار سلفه وعنيَّة عناية عظيمة في ترقيتها. وفي أول سنة رئاسته كتب البطريرك سركيس بطرس الرزَّي إلى رئيس عام الرهبانية اليسوعية الأب كلوديوس أكوافيانا يستدعي سبعة من التلامذة الذين كانوا على ما يظهر أنهوا دروسهم فحان وقت سياستهم كهنة. وها هوذا الكتاب:

فِلْهُوهُ فِلْهُونَهُ وَهَدَهُ لِمَا دَسَّسَلَ

البركات المتواترات مع السلام الروحاني الذي خصّ به سيدنا تلاميذه في الغرفة الصهيونية فذلك السلام بعينه يكون مع الأخ العزيز الصائم المصلي الدين الخير المعلم العامل في وصاياته ذو الفهم والعقل والمعرفة صاحب الرأي الصالح والتديير الناجح المترافق على الجودة الأطهار الأيوسوعية أبونا المحبت الجزرا (كلوديوس أكوافيشا) تكون البركة حالة عليك وعلى تلاميذك القوسن والشمامسة كل واحد باسمه وعلى رزقكم ومقتاكم ويحلّ الربّ وبسط أمره وسلامه وطاعته ورضاه وبركاته وبافي خيراته عليكم وبينكم آمين.

والمعروض على المسامع الكريمة كرمها الله أللله وصلت إلينا أخبار أعمالك الصالحة أنت وتلاميذك أولادنا الذين يتعلّمون في المدرسة وفرحنا وانشرنا غاية الانشراح وخصوصاً في تكريمكم ابن أخي الشمامس سركيس الله يجازيكم الخير في ملوكوت السماء آمين. وتعلم محبتك بأنّا أرسلنا نجيب من الأولاد سبعة لعند أهلهم والقصد من محبتك أن يكون نظرك عليهم وتوصي فيهم حتّى يصلوا إلى بلادهم. وابن أخي الحبيب حضر عندي وهو يقبل أيديك ويوصيك في أخيه سركيس حتّى يكون نظرك عليه وتصلي عليه حتّى يصل هو ورفقاه بالسلامة لعند أهلهم ومهما تعلم منهم من الخير تعلّمه معنا. وعند محبتك فهم يعني عن طول الشرح ونكرّ البركة عليك وعلى كلّ من يلوذ بخدمتك آمين والشكر لله على الدوام.

برز من دير قُويين في جبل لبنان المبارك سنة ١٥٩٠

ونتكلّف خاطرك يا أخي أن تكلّم عزيزنا الكرديبال خرافان (كراها) أن يخلّي الأولاد جانين من المدرسة مجبورين الخاطر ولا يعتب علينا في سفر مجنيهم لعند أهلهم ومن شأن بعثة الأولاد».

فمن هم يا ترى هؤلاء السبعة الذين طلب البطريرك سركيس الرّئي رجوعهم إلى لبنان من تلاميذه المدرسة المارونية وباكوره أئمارها في خدمة مواطنיהם؟ إنّ البطريرك سركيس لم يذكر منهم سوى سميّة سركيس ابن أخيه. وكذلك الديهي في تاريخه لم يرو شيئاً عن رجوعهم وإنّما ذكر فقط عرضاً (ص ٤٤٤) «أنّ يوحنا دايس بن يعقوب الحصروني عاد إلى لبنان سنة ١٥٩٠ ثمّ لبس إسكيم مار عبد الأحد وصار أسفقاً». أما الخمسة الباقيون فنظّن أنّهم

أولاً التلميذان اللذان سبقا الجميع إلى رومية سنة ١٥٧٨ أعني جبرائيل سعد الأدبيتي وكبار القبرسي. ثم يعقوب بن سمعان الحصروني الذي أتى مع يوحنا دايس سنة ١٥٨٠. أما أنطون فرنسيس الحصروني ومرقس بن إسطfan المطوشي رفيقاً فإنهما الأول كان مات في رومية كما قال الدويهي (ص ٤٤٤) والثاني مرقس طلب الدخول في الرهبانية اليسوعية قبله الرؤساء لكنه توفي قبل دخوله الدير بعد أن نذر النذور الثلاثة كما أخبر الأب سكيني في تاريخ الرهبانية اليسوعية (ج ١ ك ٥ ع ٣٤). ثم المدعوان القس ميخائيل والخوري نعمة الوارد كتابهما إلى رئيس عام الرهبانية اليسوعية بعد رجوعهما إلى لبنان ولعلهما جبرائيل نعمة وميخائيل صليب السابق ذكرهما. وهذا هو المكتوب الذي حرر هذا النص الأخير إلى الأب كلوديوس أكوافيثا باسمهما وأاسم رفقتهما يشكرانه ويشكران الرهبانية اليسوعية التي اهتممت بهنديهم في المدرسة المارونية (من سجلات الرهبانية اليسوعية):

نقبل الأرض ونحي بها متنا تحت موطن أقدام الأب الحنون الرحوم الظاهر الحاذق الماهر الممتلىء يعمّا ومواهب من روح القدس الذي هو مزئن في جميع الأصطلاحات والفضائل العالي في العلوم الروحية الذكي في أعماله البهية قائد غنم سيده يسوع المسيح في الطريق المستقيمة مرشد الناس إلى طريق الحياة السراج المضيء بين الشعوب والشمس التي بشاعها تضيء الدنيا وجميع أنظارها القمر البهيء بين النجوم حافظ الوصايا الإلهية عمود البيعة القاتوليقية السائر في الطريق الأبوسطلية وهو معلمانا وأباًنا وزعنًا ورافع طائفتنا نحن الموارنة ونوج رأسنا الجنرال (كلوديوس أكوافيثا). يرحمنا رب نحن الحقيرين في تلاميذك الكهنة الرهبان الخوري نعمة والقس ميخائيل في بركة صلاتك المقدسة آمين. أدام الله محبتك علينا ورثاستك على طائفتنا وعلى مدرستنا نحن الموارنة زمناً طويلاً وأياماً كثيرة آمين.

ونعلم روحك أنتا وصلنا نحن وأرفاقينا إلى بلادنا طيبين بعون الله وبركة صلاتك المقدسة آمين. إخوتنا الرهبان شاكرين فضلوك وإحسانك عوض الله عليك الخير الذي عملته معنا ومع دبورتنا يجازيك الله عوضاً عنا في ملكوته السماوية آمين. ونعلم قداستك أنتا قبل ما ظهر من المدرسة يومين كنا مشتاقين أن نبارك من قداستك وسألنا المدبر لكي يسمع لنا بذلك فقال لنا إن قداستك راحت إلى براً المدينة. وأما نحن تلاميذك الرهبان ما دمنا طول أيام حياتنا

ساكنين في ديومنا ما ننسى فضلك وإحسانك وحيثك علينا بِرًا بلادنا. وما يحتاج أن نوصي قداستك بالأولاد (الباقين في رومية) لأنَّ الرب لا يحتاج إلى وصيَّة بأولاده لأنَّهم إذا كانوا مُرْتَضَى طَيْفَنَ الخاطر جميع أيام حياتهم يطلبون لك الخير. وسبب تسطير هذه الرسالة هو كثرة الأشواق إلى نظر أيقونتك البهية الله يسمعنا عن قدوسيتك الأخبار الصالحة.

الحبير القس ميخائيل والخوري نعمة
في ٢٩ آب سنة (ألف وخمسماة) وتعين ميسحية

ولا نشك في أنَّ هؤلاء السبعة بعد رجوعهم أخذوا يفلحون كرم الرب بنشاط ويسعون في خير طائفتهم. إلا أنَّ آثار تلك الأزمنة لا تكاد تروي شيئاً عن أعمالهم وسوف ندون مع جدول أسمائهم ما عثروا عليه من أخبارهم.

وفي السنة ١٥٩٣ رجع إلى لبنان جرجس عميره الذي صار بعد ذلك بطركاً على الطائفة. فهذا بعد وفاة الأب إليانو اهتمَّ مع بعض رفقته بطبع كتاب القدّاس الماروني في مطبعة المديشيس في رومية فطبع سنة ١٥٩٤ طبعاً متقنَا بحرف سرياني جميل ونقوش وصور، إلا أنَّهم لم يحسنوا انتخاب المخطوطات التي مثلوها للطبع فنشروا نوافير بعض اليعاقبة ولم يصلحوا ما فيها من آثار هرطقتهم وإذا لم يكن في رومية من يُحسن اللغة السريانية لم تُنفح هذه الشوائب. على أنَّ المجمع المقدس شعر بهذا الخلل ولم يسمح بنشر الكتاب إلا السنة ١٦٠٨ وفي آخره ترجمة مار مارون منقوله إلى السريانية عن تأودريطس بقلم ثلاثة من تلاميذ الموارنة في رومية هم جرجس الكرمساني وميخائيل الأدنتي وجبرائيل الصهيوني.

وفي الصفحة ٢٨٦ أنَّ الكتاب طُبع في رومية بإذن الرؤساء في السنة الرابعة لإقليميس الثامن في زمن الكردينال باليوتى (الذي خلف الكردينال كرافا في حماية الموارنة) وفي عهد البطريرك سرجيوس الرزي.

وقد جاء نشر هذا الكتاب المغلوط أحسن مبرر لما وُشي به الأب جوان باطليشتا إليانو حيث قيل عنه إنَّه أتَّهم في رومية الطائفة المارونية وأشاع عن كتبهم الطقسية ما لا صحة له مع ما نعرفه من خلوص محبة الأب إليانو

للموارنة دفاعه عنهم وتفانيه في خدمتهم. وعليه يسوعنا ما رواه الديويهي في تاريخه عن البطريرك سركيس (ص ١٨٢-١٨٣) قال:

وفي السنة ١٥٩٦ (١٠٠٥هـ) في الثامن عشر من أيلول أمر البطريرك (سركيس الرزّي) بال تمام رؤساء الكهنة ومشايخ الجبّة وعلماء الطائفة وبعد قراءة مكتوب البابا (إلييميس الثامن) برهن أمامهم وأمام قصّاد الكرسي الرسولي إنَّ أخاه البطريرك ميخائيل والطائفة كلها أبرياء من التّهم التي أتهمهم بها باطلًا جوان باطيشنا. ولما وقف الأب دنديني على إقرار علماء الطائفة وفحص الكتب التي كان وقف عليها ووسمها بخطه تحقّق أنَّ كلَّ ما أثّمُوا به هو محض تجنّ.

فالعجب كلَّ العجب من البطريرك سركيس لاحتجاجه على الأب إليانو في ما قاله عن كتب الموارنة وهو كان أحد الشهود العيان في فحص هذه الكتب معه ولا نطلب ردًا على قوله سوى هذا الكتاب المطبوع قبل تجنيه بستين مع اسمه الكريم وبمساعي أبناء طائفته. ولو كان اطلع عليه الأب دنديني لكان أمكنه أن يدافع عن شرف أخيه السفير الرسولي الأب إليانو الذي كان أعلم منه بالسريانية والعبرانية والعربية.

وأعجب من ذلك كيف نسي البطريرك سركيس ما كتبه عن شقيقه وسلفه البطريرك ميخائيل الرزّي ناكراً ما أقرَّ به عن كتب الموارنة التي أفسدتها الهرطقة وهو القائل في المكتوب الذي نشرناه سابقاً (ص ٦٦) إلى رئيس الرهبانية اليسوعية حيث يشي كلَّ الثناء على الأب إليانو ويطلب منه أن يرسله ثانيةً إلى لبنان وهناك يقول: «إنَّه (أي الأب إليانو) قرأ فرائض من كتبنا ووجد فيهم أشياء كثيرة غلط». وجاء مثل ذلك في تقرير الأب إليانو الذي قدّمه للجبر الأعظم وفيه يذكر الكتب التي وقف عليها فوجدها ملوثة بالأضاليل على أنه لم ينسب ذلك إلى سوء نية أو هرطقة صورية بل إلى الجهل وبعض الظروف فقال (ص ٣٨-٣٩): «إنَّه بتمادي الزمان وبسبب اختلاطهم مع الأمم والطوائف المختلفة لدينهم قد تسرَّبت إلى كتبهم بعض الأضاليل ودخل في طقوسهم ورتبهم بعض الشوائب التي سببها قلة المعلمين الذين يُعْتَنُون بيارشادهم... وقد دوَّنَّ هذه النصوص المضادة للحقائق الكاثوليكية». ونحن بيتاً سابقاً أنَّه يوجد إلى اليوم في مكاتب أوربة مخطوطات مارونية كالتي

وصفتها الأب إيلانو. وكفى بهذا ترزيّةً لذلك الرجل العظيم الذي تشهد له كل آثاره الباقيّة إلى اليوم وتبنيّ بغيرته في خدمة الطائفة المارونيّة ولو لم يكن له من الفضل إلّا سعيه في إنشاء المدرسة المارونيّة في رومية لكان ذلك أكبر دلائل محبّته نحوها.

سفارة الأب إيرونيموس دنديني إلى لبنان (١٥٩٦-١٥٩٧)

كان مرّ على سفارة الأب يوحنا إيلانو الثانية إلى لبنان خمس عشرة سنة وعلى وفاته ست سنوات. وكان تعين على محاماة الموارنة في رومية بعد الكردينان كرافاً سنة ١٥٨٩ الكردينان جبرائيل پاليوتى ثمَ الكردينان ألدوبيرـندينى سنة ١٥٩٦. أمّا الحبر الأعظم فكان البابا إقليميس الثامن جلس على السدة البارترسية في آخر كانون الثاني من السنة ١٥٩٢ فتولى تدبير الكنيسة ١٣ سنة. وكان البطريرك سركيس الرزّى لا يزال يرعى طائفته بكل عنابة. قال الدويهي في تاريخ الطائفة المارونيّة (ص ١٨٢) :

«وفي السنة ١٥٩٥ أقام البطريرك سركيس في عيد ميلاد الرب يوسف بن موسى أخيه أسقفًا وأرسله سفيرًا إلى البابا إقليميس الثامن في بعض صالح الطائفة ولتهنته بعرش الخلافة. فأجلّه البابا غایة الإجلال وعند عودته أرسل في صحبته قسيسين من الشركة اليسوعيّة وهما إيرونيموس دنديني وفابيوس برونا».

ولهذه السفارة شأن عظيم في تاريخ الطائفة المارونيّة فلا بدّ من تقديم بعض الملحوظات عليها :

كان رئيس هذه السفارة الأب إيرونيموس دنديني. ولد في مدينة سيزانو من أعمال إيطالية سنة ١٥٥٤ من أسرة شريفة ودخل الرهبانية سنة ١٥٦٩ وهو أول يسوعيٍ علم الفلسفة في باريس ثمَ عُهدت إليه عدّة مهام من تعليم ورئاسات شَّئَ تدلّ على ما كان له من الاعتبار لدى رؤسائه وعند أهل عصره.

في بينما كان يعلم اللاهوت السنة ١٥٩٦ في مدينة بروزة إذ طلب الحبر الأعظم إقليميس الثامن ليذهب إلى لبنان بصفة قاصد رسولٍ ليتحرّى أمور

الموارنة ويستقصي أحوالهم الدينية فيوقف على صحتها إمام الأبار. وقد شرح ذلك هو عينه في أخبار رحلته قال (ص ٤ من طبعة باريس سنة ١٦٨٥) ما تعرية:

«كانت بلغت مسامع العبر الأعظم والكرادلة منذ مدة طويلة بعض الرشايات بحق الموارنة. وكان قومٌ نسبوا إليهم عدّة أضاليل ويدع. وكان الموجودون منهم في رومية يسعون جدهم في تزكية طائفتهم إلا أنَّ الأمور لم تنجلِ فكان البعض يتغدون بذلك والبعض يصدقونه حتى صعب الوقوف على الحقيقة. وإذا كان الكرسي الرسولي يصرف البالغ العظيمة لتهذيب أحداث الطائفة في المدرسة المنشأة لهم، وقد أتى منهم إلى رومية آخرًا فرقَةً عديدة وأكثُرهم لا يستطيعون أن ينكُوا على الدروس لفضاضة سُنْتهم حتى زادت المصارييف بورودهم، فسبَّب ذلك بعض الاستياء في الحاشية البابوية لا سيما وقد بلغتهم أنَّ الذين كانوا أنهوا دروسهم ورجعوا إلى مواطنهم في العام المنصرم لم تُنهَّد إليهم وظائف يقتومون بها مع كونهم أتقنا الدروس الفلسفية واللاهوتية وببلادهم في غاية الحاجة إلى عملة نشطين لتأييد الدين. وبناءً عليه عزم قداسة العبر الأعظم على أن يرسل إلى بلاد الموارنة رجالًا ثقَةً يبحث بحثًا مدققاً عن أحوالهم الدينية وأمورهم الأدبية فيوقف الكرسي الرسولي عند رجوعه عَمَّا لحظه وبيَّنه. ثمَّ يسعى في سفارته بحسن اختيار الأولاد المرسلين إلى المدرسة المارونية من حيث بلوغهم السن المناسب وذكاء عقولهم، كما يجب عليه أن يهتمَ بأمر التلامذة الذين أنهوا دروسهم ليولُّوهم رعاية النفوس وتديير كنائس طائفتهم».

هذا ما كتبه الأب دنديني في أسباب سفارته إلى لبنان كما دونه في أول تاريخ رحلته التي سُتُّدَّرَ خلاصتها. ومن قوله هذا يتضح أنَّ التهم في صحة إيمان الموارنة لم تصدر كما ظلَّ البطريرك سركيس من الأب إليانو المتوفى قبل ستَّ سنين بل من أناس أحياء كما يلوح من كلامه. ولعلَّ هؤلاء كانوا من الشرقيين الذين أتوا رومية من طوائف أخرى فاطلعوا على كتب الموارنة التي أتى بها سابقاً الأب إليانو وكان الهراطقة دُسُّوا فيها أضاليلهم فنشروا ذلك في رومية وعاكسهم الموارنة الذين فيها.

فلمَّا تعينَ الأب دنديني لهذه السفارة توجَّه إلى أم المدائن فامتنَّ بين يدي العبر الأعظم ليقف على سائر نياته والتمس من فضله أن يمدَّ بكلِّ النعم

الروحية تسهيلًا لأعماله كما التمس منه الرخصة لزيارة الأراضي المقدسة. فتال من فضل قداسته كلّ ما طلبه لخير الموارنة وتنمية العبادة بينهم وسمح له بمنح الغفرانات وتعليقها على المسابع والأيقونات وتماثيل حمل الله ورخاص له بحل الخطايا المحفوظة والمسامحة بالتأديبات الكنسية. ثم سلمه براءة تاريخها ١٢ حزيران ١٥٩٦ إلى البطريرك سركيس يذكر فيها عنابة الكرسي الرسولي بالطائفة المارونية رغمًا عن بعدها عنه، ثم يذكر أنّ عنایته هذه هي التي دفعت العبر الأعظم إلى تعيين الأب إيرونيموس دنديني الممتاز بتقاه وعلمه وغيرته ليزور الطائفة المارونية ويعزيزها في مصائرها ويستعلم عن كلّ أحوالها فيوقف عند عودته قداسته على كل حاجاتها. ويختتم بذلك ما يرسله معه من الهدايا كعربون انعطافه إليه وإلى أبنائه الموارنة^(١).

ثم اجتمع الأب دنديني برئيسي العام الأب كلوديوس أكوافيثا فعين له كرفيق ومستشار الأب فابيوس برونو من أفالضل آباء الرهبانية الذي تقلّد بعد رجوعه رئاسة المدرسة المارونية وسعى بترقيتها ودفع إبراهيم العاقلانى إلى تأليف غراماتيّه السرياني اللاتيني. ولدينا المفكرة التي أعطاها الرئيس العام المرسلين في ١٩ باباً وهي مملوئة حكمة وتقى يوصيهم بها كيف يجب عليهما أن يتصرّفا في بعثهما بخصوص واجباتهما الروحية والرهبانية، ثم في معاملاتهما مع رؤساء الطائفة المارونية وشعبها وفي زيارة كنائسهم وأدیرتهم ورعاياهم ليحقّقا آمال الكرسي الرسولي ويوثقا روابط الإيمان والطاعة الواجبة نحوه. وإذا كان الأبون يجهلّن العربية والسريانية عيّن لهم الرئيس العام بصفة ترجمانين اثنين من تلامذة المدرسة المارونية اللذين كانوا أنجزا فيها دروسهما القس موسى العنيسي الذي كان عاد إلى لبنان في السنة السابقة والشدياق يوسف إبيان الحلبي الذي رافقهما في السفر. على أنّ جهل المرسلين للغات البلاد أضرّهما كثيراً إذ لم يستطعوا أن يتحققوا بذاتهما كثيراً

(١) أطلب نص هذه البراءة في اللاتينية في مجمع البراءات المارونية للأب طوبيا العنيسي T. Anaissi: *Bullarium Maronitarum*, p. 106. وفي تاريخ الكنيسة الانطاكيّة بالعربية للخوري ميخائيل غربيل (ج ٢ ص ٣٨٦).

من الأمور التي وقف عليها الأب إليانو قبلهما. وكأنَّ قصر الوقت لم يسمح لهما بمطالعة كتابات ذلك الأب ورسائله التي وصف فيها لبنان وأهله وسائر أموره أحسن وصفٍ. وذلك أيضًا كان خللاً إذ حُرِّماً عدّة معلومات كانت أفادتهما في القيام ب مهمتهما وفي الدفاع عن التّهم التي أشاعها البعض بحق الأب المذكور زوراً.

أبحر القاصد ورفيقه وترجمانه من مينا تقرب البنديقية بعد أن لبسوا ثياب زوار الأراضي المقدسة وذلك في ١٤ تموز ١٥٩٦. وكان مركبهم مجهزاً بالمدافع لردع غارات القرصان إلّا أنَّ سفرهم كان ميموناً والريح في الغالب موافقةً. وقد وصف الأب دنديني في رحلته ما حدث لهم في طريقهم على جزائر اليونان وكندية وقبرس فيتسع في أخلاق السكّان وعاداتهم وأديانهم وخواصّ بلادهم. وزار في قبرس الموارنة المستوطنين فيها. ثمَّ ركبوا سفينة أخرى نقلتهم إلى طرابلس فبلغوها في أواخر شهر آب ونزلوا ضيفاً فيها على أحد تجار البنادقة فاستراحو قليلاً من أتعاب السفر ولا سيئماً الأب فايروس الذي بقي مريضاً بضعة أيام.

وقد خصَّ هنا الأب دنديني عدّة فصول من كتابه لوصف أخلاق أهل طرابلس وعاداتهم المختلفة دينًا ودنيا ولا سيئماً الأتراك والمسلمين ليوقف مواطنيه على أمرورهم في كلِّ أطوار حياتهم.

الأب دنديني في لبنان

ثمَّ يتقدَّم الأب إلى ذكر صعوده إلى قُنُوبين ماراً بقرية إهدن حيث قدم الذبيحة الإلهيَّة في معبدٍ على اسم القديس يعقوب «أشبه بغير منه بكنيسة». ولمَّا قرب من قُنُوبين وجد عدّة كهنة أتوا لاستقباله باسم السيد البطريرك سركيس الذي كان مريضاً يلزم الفراش. وكان وصوله في غرة أيلول إلى قُنُوبين فدخل على البطريرك فوجده جالساً على فراشه وقدَّم له براءة الحبر الأعظم ورسائل الكرديتال باليوناني محامي الطائفة ورئيس الرهبانية اليسوعية العام فقبلَ البراءة ووضعها على رأسه إجلالاً ثمَّ دار الحديث بين القاصد

والسيد البطريرك مدةً عن أحوال الحبر الأعظم والمدرسة المارونية وغير ذلك.

وفي الغد شرح الأب دنديني للسيد البطريرك الغرض من سفارته وما يرغبه الحبر الروماني من الخير للموارنة فطلب منه أن يجمع السادة الأساقفة ليتفاوضوا في أمور الطائف ويتذكروا في أحوالها الدينية والأدبية. وهنا أخذ البطريرك سركيس يتشكّى ويتجنّى ويتأذمّر تارةً على الحبر الأعظم الذي لم يرسل له سوى براءة بسيطة بدلاً من منشور رسمي كما لأسلافه، وتارةً على الذين شوّهوا على زعمه صيت الموارنة في رومية وخصوصاً على الأب إليانور مدعياً أنه اتهم الموارنة بثُمُّهم باطلة وأنه زُوِّر باسمهم بعض الكتابات (كذا) وأنَّ المجمع الذي عُقد بحضوره وحضره الأساقفة الممضى بتوقيعهم كانت أعماله مشوشة وأشياء أخرى اندهش الأب دنديني لاستماعها ولم يكن مطلعًا على حقيقتها فبقي محتاباً في الجواب عنها^(١). وإنما حاول إخmad غضب البطريرك الذي كان المرض يزعجه وبشير طباعه حتى تمكّن من تطبيب قلبه وقدّم له ما أرسله له الحبر الروماني من حلّ أسقفية وآية ثمينة للحفلات الدينية. أما المجمع الذي طلب الأب دنديني إقامته فرأى أنَّ ما يجري في الشام وقتئذ من الحرروب بين الأمير فخر الدين الكبير وأل سيفا وأمراء الأتراب يحول دون اجتماع الأساقفة إلاّ اثنين منهم ففضل تأجيله إلى زمن آخر ريثما يشفى البطريرك وتهداً الأمور.

وكان الأب فاييروس يقى في تلك الأثناء في طرابلس فلما عرف في لحق برفيقه وسار كلاهما يتوجّلان في أنحاء لبنان ليستطعا أحواله ويراقباً شؤون أهله وكلَّ ما يألفونه من العادات في عيشتهم الفردية والعائلية والاجتماعية. فعَيْن لهم البطريرك ليسير في خدمتهم أحد شمامنته المدعى يوسف خاطر فزاروا قرى لبنان وفحصوا أرزها وأراضيها ومزروعاتها وحيوانها وطيورها واجتمعوا بأهلهما فرقفوا على عاداتهم وتفقدوا أحوال رهبانها وراهباتها

(١) وقد رأيت في ما سبق بطلان كلَّ هذه الشكایات التي لم تجد لها سندًا في كلَّ ما لدينا من كتابات الأب إليانور.

وفحصوا أديرتهم وكنائسهم. وبحثوا عن أمور الإكليلوس. وقد نشر الأب دنديني كل ذلك في رحلته التي تحتوي من المعلومات عن لبنان وعن الموارنة ما لم يسبقه إليه كاتب آخر، فجاء كتابه كمرة تاريخ ذلك الزمان وصورة حية تمثل كل أطوار حياتهم منذ ولادتهم إلى وفاتهم، فيصف ملبوسهم رجالاً ونساء وأأكلوهم ومشروبيهم وأفراحهم وأحزانهم وتعمعهم في الدين وقلة معارفهم. وهناك بيان لما يلحقهم من الدولة من الجور وضروب المظالم والإهانات. وفيه أيضاً ذكر عادات شائعة بطلت بين الموارنة منذ زمن طويل منها تعشم رجالهم باللفة المئيرة وحلقهم لشعر رؤوسهم مع إرخاء لحاظهم وتقلدتهم السيف وتنكبهم الأقواس (ص ٨٩) ومنها مناولة الشعب على الشكليين: الخبز والخمر (ص ١١٤ و ١١٩) ومناولة الأطفال الصغار. ومنها مباشرة القداس وتهيئة الذبيحة قبل أن يلبس الكاهن الحلة الكهنوتية كما يفعل كهنة السريان حاضراً (ص ١١٠-١١١) وقد سبق أن هذه الحلة كانت أيضاً في أيام دنديني كحلة السريان أي الغفارة (ص ١١١). ومنها أنهم في الصوم يقدمون الذبيحة عند العصر ويقطرون بعدها (ص ١١٦). وللأب دنديني فصلٌ عن رهبان وراهبات ذلك العهد في لبنان (ص ١١٤-١١٨) يفيدنا عن عيشتهم ومتناسكهم وذلك قبل إنشاء الرهبانيات الحديثة بنيف ومائه سنة يذكر فيه ما استحسن من عاداتهم وما استنكر منها.

وممّا أفادنا هناك (ص ١٥٠) ذكر الأعياد التي كانت شائعة عند الموارنة. وأضاف إليها الكلندر السنوي مع جدول الأعياد المفروضة بالاتفاق مع المجمع وهي هذه: ختانة الرب. الغطاس. دخول العذراء إلى الهيكل. مار متّيا الرسول. عيد البشارة. مار يعقوب ومار فيلوبوس الرسولان. مار يوحنا المعمدان. مار بطرس ومار بولس. تجلّي الرب. انتقال العذراء. مار برتلماوس الرسول. ميلاد العذراء. مار متّى. ارتفاع الصليب. مار ميخائيل. الرسولان مار سمعان ومار يهوذا. عيد جميع القديسين. مار أندراؤس الرسول. مار توما الرسول. ميلاد الرب. القديس إسطفانوس أول الشهداء. ما عدا أحد كل السنة واليومين التابعين لعيد الفصح وصعود الرب. واليومين التابعين لعيد العنصرة. الثالوث الأقدس. عيد جسد الرب وشفيع المكان.

فهذا الجدول أقدم كلندار نعرفه للكنيسة المارونية وهو يسبق ٧٧ سنةً كلنداراً آخر نشرناه سابقاً عن بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقية في مجلة المشرق (٨ [١٩٠٥]: ٨٧١-٨٧٤). وما من شأنه أن يُذهل القراء أنَّ لا ذكر فيه لزعيمِي الكنيسة المارونية القديس مارون الناسك ومار يوحنا مارون. وقال الأب دنديني إنَّ الكلندار المذكور وُزَعَت نسخه على كلَّ الكنائس وأمرروا الكهنة أن يعلموا يوم الأحد في القدس بالأعياد الواقعة في الأسبوع.

مجمع قُرْبَينِ فِي سَنَةِ ١٥٩٦

بعد أن قضى القاصد الرسولي ثلاثة أسابيع في قُرْبَينِ والقرى المجاورة ودقَّ النظر في المناشير البابوية المرسلة إلى الموارنة من إينوكت (زخيا) الثالث سنة ١٢١٥ وإسكندر الرابع سنة ١٢٥٦ ولاون العاشر سنة ١٥١٥ وغريغوريوس الثالث عشر سنة ١٥٧٧ ليشَّذَّبَ مضمونها كموادَ يعرضها على المجمع المنوري، رأى أنَّ صحةَ السيد البطريريك قد تحسنت نوعاً وأنَّ أمورَ البلاد قد هدأت بعضَ الهدوء فرغَ إلى غبطته أن يستدعي الأساقفة إلى قُرْبَينِ، فوافقه البطريريك ولئَلَّا الأساقفة دعوا رئيسهم وانتظم عقد المجمع في ٢٨ من شهر أيلول على الحساب الغربي الموافق لليوم ١٨ منه^(١) في الحساب الشرقي الذي كان يجري عليه وقتَنِ الموارنة كبقيةِ أهلِ الشرق.

فافتتح الأب دنديني المجمع بتلاوة براءة الحبر الأعظم التي يفرضُ إليها فيها أن يعقد مجمعاً مليئاً للوقوف على أحوال الطائفة ويسعى في كلِّ ما يؤول إلى خيرها بواسطة الإكليلروس وخصوصاً السادة الأساقفة.

ثمَّ تخطَّى الأب إلى عقائد الإيمان التي كان الحبر الروماني يود أن يطْلَعَ على معتقد الموارنة فيها. فما كاد يعرض ذلك على المجمع حتَّى «طفق السيد البطريريك يحتجَّ بعبارة مطولة احتجاجاً قوياً على مجمع كان انعقد في السنتين الماضية منكراً انعقاده أو تثبيته منه أو من الأخ سالفه. ثمَّ حرم أغلاطاً جمةً

(١) جاء في ذيل المجمع اللبناني (ص ٩) المطبع حديثاً «في ثاني أيلول» والصواب «في الثامن عشر أيلول».

عزّاها بعض الناس إلى قومه ورمى بالحرم القائلين بها^(٢). مؤكداً أنه لم يزل مرتبطاً بالكنيسة الرومانية وأنه سيبت دائمًا على إيمانها. ثمَّ قام رئيس الشمامسة مدفوعاً بغيرة عظيمة قائلاً: «نعم إنّا نريد أن تتبعها ولا ننفصل عنها حيّثما سارت ولو انحدرت إلى الجحيم» (كذا في رحلة الأب دنديني ص ١٣٥).

فيلوح من هذا الكلام تعلُّق الموارنة بالكنيسة البطرسية وأنفتهم من كل الأضاليل الشائعة في المشرق. على أننا لا نفهم كيف أمكن البطريرك سركيس «أن يحتاج على المجمع المنعقد سابقاً سنة ١٥٨٠ منكراً انعقاده أو تبييه منه أو من الأخ سالفه» وأعمال ذلك المجمع باقية إلى اليوم في ترجمتها اللاتينية التي نشرها المرحوم الأب أنطون رياط في كتابه «آثار تاريخية للكنائس الشرقية» (ص ١٥٢-١٦٩) وليس هناك ما يمسّ البُلْة شرف الطائفة المارونية وفي آخرها إمضاء السيد البطريرك ميخائيل الرزّي وأخيه وخلفه سركيس. وإنما فيها إعلان صريح بإيمان الموارنة وتشبيهم بالكرسي الرسولي. أما أصله العربي فلم يُفقد تماماً وقد نشرنا سابقاً (ص ٧٢-٧٣) خلاصته التي أرسلها البطريرك ميخائيل الرزّي إلى كنائس لبنان بصفة «وصايا يجب على الجميع قبولها وحفظها». ولا شك أنَّ البطريرك سركيس نسب إلى الأب إليانو ما هو براء منه وكثيراً ما دافع هذا الأب عن الموارنة وعن صدق إيمانهم وعزماً ما وجد في كتبهم من الأضاليل إلى الجهل أو إلى خبث النساخ الهرطقة. وبه تسقط أيضاً احتجاجات البطريرك الدويهي على الأب إليانو الذي ثبت حُبُّه الخالص للموارنة ودفعه عنهم بما سبق نشره^(٣).

وليست أعمال مجمع قُثُرين هذا الثاني إلاً صورة أخرى للمجمع السابق. وقد أحسن الطيب الذكر المطران يوسف نجم بتعريف بنوده عن أصلها

(٢) في النيل المذكور (ص ١٠).

(٣) إنَّ للأب بطرس مرتيس اليسوعي في تاريخ لبنان الذي لا يزال مخطوطاً^(٤) دفاعاً طويلاً عن الأب جوان باطشة إليانو وردًّا عن التهم الغربية التي أشاعها بعض الجهات في حقه وأثبتها الدويهي في تاريخه.

(٤) طبع هذا الكتاب لاحقاً.

اللاتيني في ذيل المجمع اللبناني (ص ١٧-٩) وهذه البنود في عدد ١٣ بنداً صدّقاً عليها في هذا المجمع باتفاق الأصوات مصرّحين باعتقادهم في السيد المسيح أقونما واحداً إلهياً في طبيعتين ومشيتين و فعلين وفي اثنان الروح القدس من الآب والابن وفي معنى التقدیسات الثلث الواردة في كتبهم (Trisagion) وفي وجود المطهر وعموم الخطيئة الأصلية ودخول الأنفس البارأة إلى السماء قبل الدينونة مع بعض اعتقاداتهم في الأسرار المقدسة لا سيما التشیت والقربان الأقدس.

وهناك أيضاً ٢١ قانوناً بخصوص الفرائض الدينية والعيشة المسيحية^(٤) أقرّها الآباء وألحوا في التماس تثبيتها بسلطان قداسة البابا فوعدهم بذلك القاصد الرسولي. ثم انحلّ المجمع في غرة تشرين الأول وهو اليوم العشرون من أيلول على الحساب الشرقي.

وفاة البطريرك سركيس الرزي وانتخاب خلفه

بعد ارفضاض المجمع أراد الآب دندیني أن يتوجّل في بعض أنحاء لبنان ليعاين أديرة الرهبان فانطلق إلى حبس قرجيًّا ودير مار أنطونيوس المجاور له وكان الرئيس على قرجيًّا المطران يوسف ابن أخي البطريرك سركيس وكان معه شقيقه سركيس الذي كان تلقى العلوم في مدرسة الموارنة في رومية. أمّا دير مار أنطونيوس فوُجِدَ فيه الآب دندیني ثلاثة إخوة وكلّهم أساقفة. ثمّ انتقل الآب دندیني إلى إهدن فتجمّه أهلها وأتوا لاستقباله وتحفّوا به وأكرمهوا إكراّماً عظيّماً فورّز عليهم عدداً وافراً من المسابع والصلبان والأيقونات فشكّروه أيّ شكري على تلك الهبات الثمينة.

ثمّ صعد الآب من إهدن إلى دير مار سركيس الذي يبعد عنها ميلاً فسار أمامه نخبة من رجال إهدن يتغّرّب بالتسابيح كمالوف عادتهم عند زيارة السيد

(٤) تجدّها مطبوعة في ذيل المجمع اللبناني (ص ١٣-١٢) وفي تاريخ الموارنة للدوبيهي مع صورة المجمع (ص ٢٨٧-٢٩١).

البطيريك. فدخل الدير بكل أبهة ورونق وبعد الصلاة في الكنيسة عاد رئيس الدير الذي كان أسفقا طاعنا في السن ضريرا. وما كاد يدور الحديث بينهما حتى ورد ساع من قنوبين يعلم الفاصل بأن السيد البطيريك أصبح بنوبة قوية وأنه على وشك التزاع فقام الأب المذكور من ساعته وانفلت راجعا بكل سرعة إلى قنوبين لكنه عند وصوله عرف أنّ البطيريك كان فارق الحياة قبل ساعتين وانتقل إلى رحمة ربّه وذلك في ٥ من تشرين الأول^(١) الموافق لليوم ٢٥ من أيلول. فوجده الأbowan قد عُرض في الكنيسة بحلته البطيريكية جالسا على عرشه في يده العكاز وعلى رأسه الناج وحوله النائحات والنابيات بجلبة عظيمة. وفي الغد تقاطر الناس من كل صوب فدفن البطيريك بحفلة حافلة في معبد القديسة مارينا المجاور لدير قنوبين.

وقد وجدنا للبطيريك المذكور في سجلات رهبانينا رسالة وجهها سنة ١٥٩٢ إلى رئيس الرهبانية اليسوعية العام الأب كلوديوس أكونافيا يوصيه بقتيسين يرسلهما إلى بلاد الفرنج لجمع الحسنات لدير قنوبين هذا نصه بحرفه الواحد:

الحقير بطرس بطيريك الموارنة

لحضرة الأخ الجنيرال

البركة الإلهية والسلام الروحاني الذي خص به سيدنا تلاميذه لما دخل إليهم والأباب مغلفة تلك البركات التي خصّهم بها وذلك السلام الذي أهداهم إياه ذلك يكون بعينه حال على الأخ العزيز صاحب الفهم والمعرفة والمشورة الصالحة الأخ البار والإباء المختار صاحب الفضل علينا وعلى أولادنا الذين في المدرسة هو وتلاميذه. وأيضاً نخص في البركة الإلهية الجوقة اليسوعية الروحانية تكون البركة حالة عليهم وبين أيديهم وعلى رزقهم ومقتناهم آمين.

والذي نعرض على المسامع الكريمة أكرمها الله بإن واصل لمند محبتك إخوتنا القس إبراهيم والقس يعقوب ولهم خاطر أنّهم يمشوا في البلاد صوب

(١) أمّا الدوبيهي فيزعم أنّ وفاته كانت في ٧ منه.

المزارات ونحن مشرفتكم (؟) إن أين ما راحوا يكرمنا وإن كان يرسم
فضلك حتى يحوّلوا للديار شوية نفقات لأنّه كثُر علينا ظلم الترك والمتّخل قطع
بلادنا وخلي داخله وخارجه مثل البرّ. وهذا الكرسي يا أخي هو مجلجاً الفرج
في الفضل وفي كلّ ضيق يجيء عليهم بقورة المسيح وعلى يدينا في الكرسي يسرّ
كثير ما لهم عدد (كذا) إذا اطلعوا عليه الملوك والتّجار بشيءٍ نخرج عليه ما هو
عيوب. الله يكون معك يا أخي لأنّك تمشي لنا درب مثل معرفتك ليكون لنا بها
نجي على دربك ويقى لك الأجر والحسنة عند الله: ومثل محبتكم ما يدلّ على
صواب وعندكم فهم يغنى عن طول الشرح وبعد البركة والسلام عليك وعلى
إنحواتك العزيزين تلاميذنا كلّ واحد باسمه والشكر والخير لله رب العالمين
آمين.

برز من دير قُوّيبين جبل لبنان المبارك بيد العظيم بترك الموارنة طانع
ومعتقد كرسي بطرس بابا رومية سنة ١٥٩٢ مسيحية ثامن يوم من شهر تشرين
الآخر.

قال الدويهي في تاريخه: «وفي النهار التاسع خلفه في البطريركيّة يوسف
ابن أخيه موسى الرزّي وله من العمر ٤٦ سنة وهو الثامن من البطاركة في دير
قُوّيبين».

أمّا الأب دنديني فيقول إنَّ انتخاب خلف البطريرك سركيس صار في ١٩
يوماً بعد وفاته وأنَّ الأساقفة والأعيان رغبوا إليه أن يُعين خلفاً للسيد سركيس
فمن شاء اختاروه لكنَّ القاصد الرسولي أبي أن يتداخل بالأمر ونزل إلى
طرابلس يتّظر نتيجة الانتخاب فتم ذلك في ١٣ ت^١ بموجب الحساب
الغربي الموافق للثالث منه في الحساب الشرقي. ووقع اختيار الإكليلوس
والشعب على المطران يوسف الرزّي رئيس جلس قرحيًا وابن أخي
البطريرك المتّبع فخلفه على محبسة قرحيًا أخوه سركيس تلميذ رومية السابق
ذكره.

وما كاد البطريرك الجديد يتبوأ سدة أسلافه حتى أرسل واستدعى من
طرابلس الأب دنديني. فلما قدم أعرب عن سروره ببرؤيته وأكّد له أنَّه مصمم
اليه على السلوك بموجب كلّ رغائب الكرسي الرسولي فانتهز الأب تلك
الفرصة ليعرض عليه عدّة أمور لم تقرّ في المجمع الأخير فأجابه إليها لكنَّه

أجل ذلك إلى زمن رجوعه من عند أمير البلاد ابن سيفا وهو ذاهب لزيوره كما كانت العادة جارية قبله.

فلما خرج البطريرك لمقابلة الأمير أراد الأب دنديني أن يغتنم تلك الفرصة لزيور القدس الشريف مع رفيقه ريشما يكون رجع البطريرك يوسف إلى قنوبين فسافر إلى طرابلس ليركب قاربًا يقوده إلى يافا، لكنه حدثت وقتها أمطار وأنواء شديدة منعته من السفر فعاد إلى قنوبين بعد رجوع البطريرك من زيارته لأمير البلاد وحضر جنازًا حافلًا أقيم في ١٣ ت^٢ لراحة نفس البطريرك عمه حضره عدد لا يحصى من الشعب.

فاجتمع الأب دنديني في أثناء ذلك بالبطريرك يوسف وفاوضه أولاً في أمر تلامذة رومية العائدلين منها بعد دروسهم كي يعطوهم المراتب التي هم أهل لها فيخدمو الطائفة بعلوهم وأدابهم، فأجابه البطريرك إلى ذلك بأن أقام أستقنا على أقصيّة (قبرص) موسى العنيسي من العاقورة وسفّف يوحنا الحوشي وجعله معاونا له في تدبير شؤون دير قنوبين^(٢). وسفّف أخاه سركيس مطرانًا على دمشق فخلفه على رئاسة دير قزحيًا. وكل هؤلاء من تلامذة المدرسة المارونية في رومية. وبإيعاز الأب دنديني سليم جرجس عميرة كاهنًا ثم أستقنا «رغمًا من معاكسة بعض السالكين على غaiاتبشرية» (ص ١٧٢) سامه كاهنًا المطران موسى العنيسي ثم رفاه البطريرك بمساعدة مطرانين آخرين إلى رتبة الأسقفية وعهد إليه بتأليف كتب لإرشاد الكهنة وهو الذي كان طبع سابقاً غراماطيقاً سريانياً لاتينياً وعني بطبع كتاب القدادس في مطبعة المديشيس.

ولما رأى الأب دنديني حسن استعداد البطريرك الجديد لإصلاح الأمور المخللة وتحوير العادات الباطلة استلتفت نظره إلى بعض ما يحسن به استدراكه بعد إثبات المجمع المقدّم ذكره، فالبطريرك يوسف «لم يكتفي بأن أثبت ذلك

(٢) في تاريخ الدويهي (ص ١٨٥) أن تسفينة كان سنة ١٦٠٣ وفيها أرسله سفيراً إلى البابا بولس الخامس. أنا المستفاد من أقوال الأب دنديني أن تسفينة كان بحضوره وكذلك يؤخذ من رواية دنديني أن سيماء سركيس الرزي وجرجس عميرة كانت سنة ١٥٩٦ لا السنة ١٦٠٠.

المجمع وسلّم بكلّ ما فيه باباً باباً وأمر بأن يرعاه الجميع بكلّ اجتهداد، بل جمع إليه كلّ الأساقفة بحضورة سفير الكرسي الرسولي إبرونيموس دنديني وزاد عليه القوانين الآتية» وهي ستة تجدها مفصّلةً في ذيل المجمع اللبناني (ص ١٧-١٩) وكان تاريخ هذه المزيدات في ٣ تشرين الثاني^(٢) سنة ١٥٩٦.

وقد نشر المرحوم رشيد الشرتوني في المشرق (٧ [١٩٠٤]: ٦٨٩-٦٩٣) قوانين مجمع ضيّعه موسى كايضاح وتتمّة لمجمعي قُنُوبين في الستين ١٥٨٠ و ١٥٩٦.

ولمَّا رأى الأب دنديني أنَّ سفارته لدى الموارنة قد تمت على مقتضى رغابه استعدَ لوداع البطريرك والساسة الأساقفة وأراد قبل فراقهم أن يسلّم السّيد البطريرك مفكرةً في بعض الأمور لنلاً تبرح عن باله.

فمَمَّا ورد هناك أن لا يرسلوا أولادًا إلى المدرسة الماروتية قبل بلوغهم السنة الرابعة عشرة من عمرهم ومعرفتهم القراءة والكتابة وأن يعطوا عند رجوعهم من رومية ربًا موافقة لمعارفهم. ومن وصاته للبطريرك أن يعيّن أسفالًا لقبرس يقيم فيها وكذلك في العاقورة. ومنها أن يرسل إلى رومية من يقدم الطاعة باسمه للكرسي الرسولي (وقد تمَ ذلك سنة ١٥٩٨ كما روى الدويهي ص ١٨٣ إذ أرسل الخوري جرجس بن يونان من قرية إيليج مع الشدياق يوسف اليان الحلبي تلميذ رومية) وفي وصاته أيضًا أشياء كثيرة في إصلاح الرهبانيّة كفصل بيوتهم عن أديرة الراهبات وتقييدهم بالعيشة العموميَّة وفرض سنة ابتداء على طالبي الترْهُب يبرزون بعدها النذور الرهانية الثلاثة مع عدم السماح للإخوة بامتلاك شيء من المال. وهناك وصايا أخرى لبلاكليريكيَّين والكهنة لا سيما لإرشاد الشعب والوعظ أيام الأحاداد والأعياد.

وليس في بقية رحلة الأب دنديني ما يهمُّنا فإنه زار مع رفيقه الأب برونو الأرضي المقدَّسة ثمَّ رجع إلى طرابلس وبيقيا فيها إلى أن أمكنهما أن يبحرا إلى إيطالية في أوائل كانون الثاني سنة ١٥٩٧ بعد مرورهما بالإسكندرية ثمَّ بقبرس ومنها إلى البنديَّة فلم يبلغها إلَّا بعد أتعاب وأخطار كثيرة في أواسط

(٢) لا «تشرين الأول» كما ورد سهراً في ذيل المجمع اللبناني (ص ١٩).

شهر حزيران. ثمَّ رحلا إلى رومية فدخلوا المدينة المقدسة في ١٧ تمُوز. وإذا كان الحبر الأعظم علياً لم يمكن الأب دنديني أن يعرض عليه أخبار سفارته إلاً في شهر تشرين الأول، فسرَّ قداسته بنجاح السفارة ووعد بأنه يداوم اهتمامه بالأمة المارونية مثيًّا على إكليروسها وشعبها، وإشعارًا بمحبَّته نحوها عينَ لحمايتها ابن أخيه الكردينال ألدويرنديني خلفًا للكردينال باليوتي.

ثمَّ نشر الأب دنديني رحلته بعد سنة باللغة الإيطالية في رومية فنقلها إلى الإفرنجية العلامة المستشرق ريشارد سيمون سنة ١٦٧٥ وعلق عليها عدة ملحوظات في متنِّي صفحة تدلُّ على سعة علمه بأحوال الشرق وحسن نظره وجودة فكرته.

علاقـةـ المـوارـنةـ والـيسـوعـيـنـ فـيـ أوـاـلـ الـقـرـنـ السـابـعـ عـشـرـ

كانت سفارة الأب دنديني خاتمة الصلات الرسمية بين الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية في آخر القرن السادس عشر. إلاً أنَّ الصلات الودية زادت توئُّلاً بينهما بواسطة المدرسة المارونية في رومية.

فإنَّ تلك المدرسة بعد إنشائها بعد عشر سنين أخذت تؤدي للموارنة خدماً مشكورة. وقد سبق ذكر تسقيف ثلاثة من تلامذتها أعني موسى العنيسي من العاقورة على قبرس وجرجس عميرة على إهدن ويوحناً الحوشبي على دير قُطُوبين. وكان موسى أقدمهم بين تلامذة رومية تولى تدبير كرسية الأقوصية إلى وفاته سنة ١٦١٤. أمَّا يوحناً فهو ابن حاتم بن شمعون بن فهد الحوشبي الحصروني، فإنَّه بعد دروسه في رومية كان دخل في الرهبانية الدومينيكانية وهو أحد الفاخصين للغرامatic السرياني اللاتيني الذي أله جرجس عميرة سنة ١٥٩٦ وقد أمضى اسمه باللاتينية على هذه الصورة Ego Fr. Joannes Baptista Leopardus Maronita e Libano Ord. Prædicatorum ثمَّ سقفة البطريرك يوسف الرزّي سنة ١٦٠٣ وأوفده إلى الكرسي الرسولي لبعض شؤون الطائفة وكانت وفاته سنة ١٦٣٢ في رومية. وأمَّا جرجس عميرة فهو الذي بعد أسفقيته على إهدن أقيم بطريركًا على طائفته فدبرَها عشر سنوات

وتوفي سنة ١٦٤٤ ، وفي أيامه كان الحبّيس الفرنسي فنسوا دي شنطويل^(*) الذي نُشرت ترجمته في المشرق (٢٠) [١٩٢٢]: ٥٧٠ و٦٤٩.

وممَّن شَرَفَ طائفته المارونية والرهبانية اليسوعية المكرَّم إبراهيم بن جرجس البشرياني المولود في حلب سنة ١٥٦٣ وكان والده من بشري وهو من جملة التلامذة الموارنة الأوَّلین الذين أرسلوا من حلب إلى المدرسة المارونية في رومية فما لبث أن طلب الدخول في الرهبانية اليسوعية في ٢٨ ك^١ سنة ١٥٨٢ فكان أحد رفقاء القديس لويس غزاغا في درس اللاهوت . وبعد كهنوته أرسِل إلى الهند لمعرفته اللغة السريانية فبشر هناك في الميلار نصارى السريان المعروفيين بنصارى مار توما . ثمَّ رأى الرؤساء ما صارت إليه رسالة اليسوعيين في الحبشة من الضيق باستشهاد بعض أبنائهما فأوْزعوا إلى الأب إبراهيم بأن يذهب لمساعدة المرسلين هناك . إلَّا أنَّ حاكم مصوَّع المسلم أوقفه عند نزوله من السفينة إلى البرّ وعرف أنه من المرسلين الكاثوليك فعرض عليه الإسلام فأبى متذكرًا فأمر بسجنه وتعذيبه ثُمَّ بقطع رأسه فمات شهيدًا إيمانه والأمل معقود بشيشه طوبويًا عَمَّا قريب (اطلب تفاصيل استشهاده في كتاب المرحوم الأب رياط (RABBATH: *Documents I*, 315-320) وفي تاريخ الحبشة لعمَّونيل أميديا (Hist. d'Ethiopie, par le P. Em. ALMEIDA p. 174-179)

وقد مرَّ لنا ذكر نيكولا جرجي ويوسف جرجي ورجحنا كونهما أخوين للأب إبراهيم الشهيد وذكروا دخولهما في الرهبانية اليسوعية . وفي عهدهما كان مارونيًّاً أصلهما من قبرس يُدعى الواحد لويس مبارك (Luigi Cornelio di Nicosia) والآخر كورنيليوس (Benedetto di Nicosia in Cypro) اسمهما مدُون بين المبتدئين في الرهبنة اليسوعية في ٢٦ ك^١ في ٤ تشرين الأوَّل من السنة ١٥٧٩ في رومية ولم نعرف من أمرهما شيئاً . وقد انضمَّ إلى الرهبنة ذاتها تلميذان آخران من أوَّل تلامذة الموارنة في مدرسة طائفهما وكلاهما من قبرس وهما المطروشيان مارقس بن إسطفان وبطرس بن جبرائيل . فمرقس بن إسطفان المطروشي مات شابًا بعد أن أبرز

نذوره الرهبانية^(١). أمّا بطرس فإنه كان ولد سنة ١٥٦٩ ودخل المدرسة المارونية سنة ١٥٨٢ ثم طلب بعد دروسه الانضواء إلى أبناء القديس إغناطيوس فأجاب الرؤساء إلى طلبه في ١٧ لـ^٢ سنة ١٥٩٧ وبعد كهنة انكَبَ على التأليف والتعليم وخدمة الكرسي الرسولي وكانت وفاته سنة ١٦٢٥ . وفيها دخل الرهبانية في رومية في ١٨ آب ١٦٢٥ شاب آخر ماروني من تلامذة المدرسة المارونية يُدعى يعقوب جبران اللبناني.

ومن تلامذة المدرسة المارونية الأوّلين الذين عُرِفوا بهمّتهم يوسف إلى الحلبّي، وهو الذي اشتهر بعد ذلك باسم يوسف إليان أو إلياني وقد دُعي أيضاً باسم يوسف كاثيري، أنهى دروسه سنة ١٥٩٥ فعاد إلى وطنه مع موسى العنيسي وقد سلّمّهما العبر الأعظم إقليميس الثامن درع الرياسة للبطيريك سركيس الرزّي . وفي براءته المؤذنة بذلك يشيّن قداسته عليهما . ثمّ عاد يوسف إليان إلى رومية بإيعاز البطيريك يوسف الرزّي لتقدمة الطاعة باسمه والتّماس درع الرئاسة سنة ١٥٩٩ . وكان الأب دنديني في رحلته إلى لبنان اتّخذ يوسف إليان كترجمانه . ولم نقف على سنة وفاته .

ومنّ اشتهروا بين تلامذة رومية الأوّلين سركيس الرزّي ابن موسى الرزّي أخي البطيريك سركيس ، فالبطيريك سركيس عمّه والبطيريك يوسف الرزّي شقيقه . بعد دروسه في رومية عاد إلى لبنان وترّهّب في محابة قرحيّاً ثمّ سقّفه أخوه على دمشق وجعله نائبه . فلما جاء الأب دنديني إلى لبنان سنة ١٥٩٦ وجده أسفقاً في قرحيّاً وفي السنة ١٦٠٧ أوفده أخوه البطيريك مع القسّ إلياس ابن الحاج يوحنا والقسّ جرجس بن مارون من إهدن إلى بولس الخامس لتهنته بارتقائه إلى رئاسة الكنيسة . وفي تلك الأثناء توفّي البطيريك يوسف وأقيم له خلفاً البطيريك يوحنا بن مخلوف . فلما عاد الوفد الماروني إلى لبنان بقي المطران سركيس في رومية لمراقبة المطبوعات الشرقية فيها وبقي في رومية إلى سنة ١٦٢٢ فرجع إلى وطنه لزمن قصير ثمّ عاد إلى رومية وفيها توفي سنة ١٦٣٨ .

(١) أطلب تاريخ الأب سكّيني 34 . *Sacchini, Hist. Soc. Jesu I, V,*

وقد اشتهر أيضاً بين تلامذة المدرسة المارونية الأوّلين الصهيونيّان أنطونيوس وجبرائيل. فأنطونيوس هو ابن أوفيماني الصهيوني تلقى العلوم في مدرسة الموارنة في رومية ثم سلك على الطريقة الرهبانية في إهden ورُفِقَ إلى درجة الكهنوت وصار بردبيوطاً. وأشهر منه جبرائيل الصهيوني الأهديني من عائلة كرم الذي ولد في لبنان سنة ١٥٧٧ ثم أُرسَل إلى رومية وعمره سبع سنوات فقط وبعد نهاية دروسه فاز بشهادة الملفنة وكُهُنْ سنة ١٦٢٠ وقد اشتهر بالتعليم والتألّيف في البندقية وباريis وكتّرجمان للأمّراء إلى سنة وفاته ١٦٤٨.

ومثله شهرة إبراهيم الحاقلاني كان أيضاً من تلامذة المدرسة المارونية الأوّلين ثم نال له اسمًا طيباً بتأثيره المتعددة كمعلم ومراقب المطبوعات وكتّرجمان وكمؤلّف ونقل كتبًا عديدة إلى اللغات الأوروبيّة. كانت وفاته سنة ١٦٦٤ وهو طاعن بالسنّ.

ولا يسعنا أن نضرب الصفح عن تلميذ آخر لمدرسة الموارنة في رومية من أقدمهم وهو كسبير الغريب القبرسي، فهذا بعد دروسه عاد إلى وطنه واشتهر في قبرص بعلمه وقداسته وغيرته على الدين بين جميع طوائف الجزيرة. ولما جلس يوحنا مخلوف على السدّة البطريركيّة سنة ١٦٠٨ بعد يوسف الرزّي اختاره ليذهب إلى رومية ويطلب له الشّيّت من بولس الخامس فسلمه البابا درع الرئاسة وفَوَّضَ إليه أن يوشح به السيد البطريرك ويتلقّى منه اليمين. ولم نعلم في أيّ سنة توفي.

ومن هؤلاء بواكير المدرسة المارونية في رومية ميخائيل عيد الأهديني ابن أخت المطران يوحنا، لما عاد إلى الشرق سكن في دير مُرت مورا سنة ١٦٠٠ ثم أقيمت مطراناً سنة ١٦٠٢ وأراد أن يمكث في دير مار سركيس عند حاله فلم ترض بذلك العائلة الدويهيّة. قال المطران شibli في ترجمة الدويهيّ (ص ٨) : «ففرق صك الدير الذي كان عند حاله فنزلوا إلى طرابلس إلى المفتى ابن جاموس وكتبوا صكًا آخر عن رزنامة المدينة».

وكانت المدرسة المارونية في رومية قد قلَّ عدد تلامذتها في أوائل القرن السابع عشر فكتب الرؤساء إلى البطريرك يوسف الرزَّي في ذلك فلما كانت السنة ١٦٠٣ ذهب المطران يوحنا الحوشبي إلى رومية وأخذ معه شبان. ولنا بعض التفاصيل عن رحلتهم في مقدمة الكتاب الكرشوني الذي وضعه ميخائيل الحصروني في الحساب الغريغوري سنة ١٦٣٧ ، قال ما نصُّه :

«لَمَا كَانَتْ سَنَةُ ١٦٠٣ مِسْيَحِيَّةَ الَّتِي تَقَابِلُ السَّنَةَ ١٠١٤ هِجْرِيَّةَ بَعْثَ الْبَطْرِيرِكَ يَوْسَفَ مِنْ بَيْتِ الرَّزَّ مِنْ جَبَلِ لَبَنَانِ الْمَطْرَانِ يَوْحَنَانِ الرَّاهِبِ الدُّوْمِيَّكَانِيِّ الْمُلْقَبِ الْحُوشَبِيِّ ابْنِ شَدِيَّاً حَاتِمَ ابْنِ الشَّدِيَّاً شَمْعُونَ مِنْ قَرْيَةِ حَصْرُونَ إِلَى عَنْدِ أَبِي الْآبَاءِ وَرَئِيسِ الرُّؤْسَاءِ بَابَا رُومِيَّةِ الْمُتَكَبِّيِّ إِقْلِيمُوسَ الثَّامِنَ لِأَجْلِ مَصَالِحِ طَائِفَتِهِ . فَأَخْذَ مَعَهُ أَرْبَعَةَ شَمَاسَةَ لِيَتَعَلَّمُوا فِي مَدْرَسَتِنَا اثْنَيْنِ مِنْ شَدِرَا وَاسْمَهُمَا الشَّمَاسُ إِسْحَاقُ وَآخِرُهُ سَرْكِيسُ وَاثْنَيْنِ مِنْ قَرْيَةِ حَصْرُونَ الشَّمَاسُ يَوْحَنَانِ الشَّدِيَّاً قَرِيقَوْسُ وَانَا لَهُ عَبْدُ^(*) الشَّمَاسُ مِيخَائِيلُ بْنُ سَعَادَهُ بْنُ أَنْطَوْنِيوسَ ابْنُ الشَّدِيَّاً شَمْعُونَ ابْنُ الشَّيْخِ فَهِيدَ ابْنُ عَمِ الْمَطْرَانِ الْمُذَكُورُ الَّذِي اجْتَهَدَ وَتَعَبَ فِي الْوَعْظِ وَتَعْلِيمِ الْكَهْنَةِ وَالْطَّائِفَةِ عَشْرِينَ سَنَةً وَاتَّبَعَ فِي رُومِيَّةَ فِي جَبَلِ كَنِيسَةِ صَلْبُوتِ مَارِيِّ بَطْرُسِ كَمَا وَصَّيَ وَشَاءَ . وَلَمَّا وَصَلَنَا جَمِيعَنَا بِالسَّلَامَةِ إِلَى مَدِينَةِ الْمَدَائِنِ رُومِيَّةَ كُلَّ وَاحِدٍ مَنْ تَعْلَمَ عَلَى مَا سَهَّلَ لَهُ اللَّهُ تَعَالَى »

وفي السنة ١٦٠٨ لَمَّا أُرْسَلَ الْبَطْرِيرِكَ يَوْحَنَانِ مُخْلُوفَ القَسَّ كَسِيرَ لِيَطْلَبَ لَهُ التَّشِيَّتَ أُرْسَلَ مَعَهُ إِلَى رُومِيَّةِ القَسَّ جَرجِسَ بْنَ مَارُونَ وَبِصَحِبَتِهِ ١٣ شَابًا فَأَكْرَمَ الْبَابَا مُثَوَّاهِمَ وَأَظْهَرَ لَهُمْ كُلَّ تَعْطُفٍ . ذَكْرُ الدُّوَيْهِيِّ ذَلِكُ فِي تَارِيَخِهِ (ص ٤٥٣) .

ثُمَّ عَادَ الْبَطْرِيرِكَ يَوْحَنَانِ سَنَةَ ١٦٢٤ وَأُرْسَلَ إِلَى رُومِيَّةِ اثْنَيْنِ عَشَرَ وَلَدًا لِيَتَلَقَّوْا فِيهَا الدُّرُوسَ وَكَانَ يَرَافِقَهُمُ الْخُورِيُّ يَوْحَنَانِ بْنُ قَرِيقَوْسَ الْحُصْرُونِيِّ الْمُوْفَدُ مِنْ السَّيِّدِ الْبَطْرِيرِكَ لِيَهِيَّهِ الْبَابَا أُورِيَانُوسَ الثَّامِنَ الْمُقَامَ حَدِيثًا حِبْرًا أَعْظَمَ وَبِمَعِيَّتِهِ الْأَبِ عَبْدِ الْأَحَدِ مَغْرِي (P. Dominique Magri) الْيَسُوعِيِّ .

خِدَمَ تَلَامِذَةَ رُومِيَّةَ الْأَوَّلِينَ لِطَائِفَتِهِمْ وَلِلْكُرْسِيِّ الرَّسُولِيِّ وَلِلْعِلْمِ
إِنَّ تَلَامِذَةَ رُومِيَّةَ أَصْبَحُوا بَعْدَ نِهايَةِ دُرُوسِهِمْ سَنَدًا يُعْتَدِدُ إِلَيْهِ فِي تَهْذِيبِ

(*) كذا في نصّ شيخو.

أبناء ملّتهم وقد رأيت أنّ عدداً منهم ترقوا إلى الرتبة الأسقفيّة فكانوا رعاة صالحين يتولّون سياسة رعاياهم الروحيّة بالوعظ وتوزيع الأسرار وإصلاح ما يرونه من الخلل في الطقوس والعادات.

ولأنَّ المدارس كانت وقتئذ قليلة جدًا سعى بعضهم بتعليم الأحداث. ولما علم البابا أوربيانوس الثامن حاجة لبنان إلى مدارس لتهذيب الشبيبة أراد أن تُفتح لهم مدرسة في الجبل أخذ على الكرسي الرسولي تجهيزها وكلفة نفقاتها وانتدب تلامذة رومية للتعليم فيها عند رجوعهم إلى لبنان ستين أو ثلاثة سنين. وهذه هي مدرسة دير سيدة حocha التي أنشأها الحبر الأعظم بقوّة براءة حرّرها في ٤٢ تموز سنة ١٦٢٥ تجدتها بتصها الشائق في مجموع *Bullarium Maronitarum*, p. (132-134) وشفعها قداسته بعد أسبوع فقط بقانون مفصل ذي ٢٢ بنداً لترتيب تلك المدرسة وحسن نظامها، وهذا الفصل الجليل قد نُشر في ذيل الطبعة الجديدة من المجمع اللبناني ويفتحها إمام الأحبار بقوله «قد كنا من أمد قريب قد أنشأنا وأسسنا مدرسة في جبل لبنان بسلطاناً الرسولي...». ومن قوله هذا يلوح أنَّ الفضل الأعظم في إنشاء تلك المدرسة إنما كان لرئيس الكنيسة على خلاف ما ورد في التواريخ الشائعة التي تنسبها خصوصاً إلى البطريرك يوحنا مخلوف.

على أننا لا نعلم شيئاً من أخبار المدرسة المذكورة ونجاحها ولا عن بقية المدارس التي عُني بتدبرها تلامذة رومية في لبنان ولعل أحوال الجبل في القرن السابع عشر وما حدث فيه من الاضطرابات وجور الحكم لم تسمح باتفاقها واجتناء أثمارها إلى أن احتلَّ بعد مدة المرسلون في لبنان فصرفوا المجهود في تثيف الشبيبة.

وكان البطريرك جرجس عميرة في أيام أسقفه على إهدن كتب إلى رئيس الرهبانية اليسوعية العام الأب كلوديوس أكوافيشا يطلب إليه بأن يسعى في فتح رسالة لرهبانه في لبنان لحاجة البلاد إليهم. ومكتوبه هذا في سجلات الرهبانية اليسوعية في رومية تاريخه ٢٥ كانون الأوّل سنة ١٥٩٦ يفتحه بالثناء

على زوار الكرسي الرسولي الأبوين يوحنا باطليشا إلى أن ودنديني لما خلّفا من آثار الحكم والبيان الصالح في سفارتهم. ثمَّ يفيض الكلام في فقر أبرشيته وكنائسها ويلتمس من الرئيس العام المساعدات لِيُحسن القيام بواجبات أسفقيته وخلاص الأنفس ويختتم رسالته بقوله: «إنّي أستمدُّ من أبوئتكم نعمة أخرى كنت ذكرتها سابقاً لحضرتكم وهي أن ترسلوا أربعة أو خمسة من آباء رهبانّتكم فيسكنوا عندنا حيثما شاؤوا في لبنان. ولا شكّ أنّهم سيعملون هنا خيراً عظيماً بعد ما رأينا أعمالاً لهم في الزمن القليل الذي صرفوه بيننا».

وقد أدى تلامذة رومية الأوّلون خدماً أخرى لوطفهم ولأرباب العلم بما سعوا في نشره من التأليف الدينية والعلمية. وكان أوّل ما أبرزوا من ذلك كتب طائفتهم الطقسيّة، وقد مرّ لنا ذكر التوافير التي طبعوها في المطبعة المديشية سنة ١٥٩٤ وفي آخرها أسماء بعض تلامذة رومية الذين عنوا بنشرها وهم جرجس الكرماني (*Carmeniensis*) وميخائيل الأدنتي وجبرائيل الصهيوني. ولعلّ جرجس الكرماني هو جرجس الكرمسياني أو هو جرجس عميرة الذي تولّى مدةً في رومية نظارة مطبوعات ملته الطقسيّة قبل رجوعه إلى وطنه. وفي السنة ١٥٩٦ طبعوا هناك خدمة القدس بالسرياني والكرشوني وكتاب الشحيم أي الفرض الماروني. ومن مطبوعات تلامذة رومية الدينية المزامير بالسرياني والكرشوني الذي طبع في قرحيّاً سنة ١٦١٠ وقد وصفناه لعظم شأنه وصفاً مطولاً في المشرق (٣ [١٩٠٠]: ٢٥٤-٢٥٦) والظاهر أنّ الذي تولّى طبعه هو سركيس الرزّي مطران دمشق الذي رُسم على صفحاته الأولى شعاره مع اسمه. وقد اطلع على هذا الكتاب جرجس عميرة إذ كان مطراناً على إهden.

والمطران سركيس المذكور دُعي بعد ذلك إلى رومية ليهتمّ بالمطبوعات الشرقية وإليه عهد سنة ١٦٢٥ البابا أوربانوس الثامن إعداد ترجمة منقحة للأسفار المقدّسة فعل وإنّما تأخّر طبعها في ثلاثة أجزاء بالعربية واللاتينية إلى السنة ١٦٧١.

ومن مطبوعاتهم الدينية كتاب التعليم المسيحي للكردينال بلرمين اليسوعي عربّيه يوحنا الحصرونی وطبعه سنة ١٦١٣ في رومية في مطبعة سافاري دي

براف (Savary de Brèves) ثمَّ جدَّ طبعه في مطبعة انتشار الإيمان سنة ١٦٢٧. وفي السنة ١٦١٤ طُبعت هناك المزامير بالعربية واللاتينية بعنابة تلميذٍي مدرسة الموارنة جبرائيل الصهيوني ومنصور شلق العاقوري.

أما الكتب العلمية التي يعود الفضل بتأليفها ونشرها إلى تلامذة رومية فهي أولاً الغرامatic السرياني اللاتيني الذي ألفه جرجس عميرة سنة ١٥٩٦ بعد نهاية دروسه وهو في سبعة أجزاء صفحاته . ٤٨٠

وفي السنة ١٦١٦ نشر في باريس «القس جبرائيل الصهيوني الهدناني والشمام يوحنا الحصروني الماروني» كتاب صناعة التحوية (كذا) يشتمل على خمسة أجزاء». وفي السنة ١٦١٩ نقلًا إلى اللاتينية كتاب نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأفاق للشريف الأدريسي ونشراه في باريس تحت اسم الجغرافيا التويية وهذا الكتاب كان طُبع سابقًا باختصار في رومية بالعربية سنة ١٥٩٢.

وفي السنة ١٦٢٢ طُبع منصور شلق في رومية مبادئ اللغة العربية. ثمَّ طبع الأب بطرس المطوشي اليسوعي الماروني نحو اللغة العربية سنة ١٦٢٤. وفي السنة ١٦٢٧ عاد منصور شلق فطبع مدخلًا للغة العربية. وفي السنة ١٦٢٨ نشر إبراهيم الحاقداني خلاصة اللغة العربية وغرامatic اللغة السريانية باللاتينية وعارضه الشدراوي سنة ١٦٣٥ فطبع غرامatic آخر للغة السريانية. وكلُّهم من تلامذة مدرسة الموارنة في رومية. وكان العلماء يُقبلون على مطالعة تأليفهم بكلٍّ شوق.

ومن الخدم التي استحقَّ عليها تلامذة رومية الأوّلون شكر الكرسي الرسولي سعيهم في إدخال الحساب الغريغوري المعروف بالغربي في طائفتهم والدفاع عنه. وقد تمَّ ذلك سنة ١٦٠٦ في عيد القديسين بطرس وبولس الذي احتفل به الموارنة عشرة أيام قبل بقية الطوائف الشرقية في سواحل الشام ولبنان. ثمَّ جرت عليه الطائفة في مدن الداخلية كالشام وحلب إلَّا جزيرة قبرس التي تأخرت عن ذلك بضع سنوات. وكان بين الذين اشتهروا في

المناداة بهذا الحساب المطران يوحنا الحوشبي الدومينيكانى وكاد يذهب ضحية غيرته في هذا الجهاد إذ كان في حلب. فرفع المنفصلون عن الكنيسة أمره إلى واليها طالبين منه أن يحكم عليه بالإعدام لقربه من الفرنج. فلما دُعي إلى المحكمة أثبت أمام الحكم صحة هذا الحساب وغلط الحساب الشرقي فأفحم خصمه وخرج من المحكمة ظافراً.

ولمَّا كانت السنة ١٦٣٥ أقيمت المطران جرجس عميرة بطريركًا على الطائفة خلفاً ليوحنا مخلوف فأرسل الخوري ميخائيل سعادة الحصروني إلى رومية لتأدية فروض الطاعة والتamas درع الرئاسة. وإذا طالت الأمور هناكرأى الخوري ميخائيل فرصة مناسبة لتهذيب كتاب أوعز إليه مجمع الكرادلة بتأليفه في قاعدة الحساب الغربي الجديد واحتلافها عن الحساب القديم وبيان صحة تلك وغلط هذه. فقام بهذا العمل وشرح أصله وفصوله، ولمَّا أنجزه أمر المجمع المقدس بطبعه فطبع بالحرف الكرشوني سنة ١٦٣٧ على نفقة المجمع المذكور وقد ألحقه بجدول للأعياد المتنقلة من السنة ١٦٣٧ إلى السنة ١٨٥٦ في ٦٨ صفحة، فكان لتأليفه هذافائدة عظيمة سهلت إدخال هذا الحساب بعد مدة في طوائف أخرى.

وقد أدى تلامذة رومية الأوّلون خدمة غيرها للكرسي الرسولي، فإنه انتدب أفراداً منهم لقضاء بعض حاجات الكنيسة، فمنهم الأب بطرس المطوشي القبرسي اليسوعي المار ذكره فإنَّ البابا بولس الخامس وكلَّ إليه وإلى الأب حتَّى أنطون ماريتي (G. A. Marietti) اليسوعي بأن يرافقا الأنبا آدم سفير بطريرك الكلدان إيليا السادس إلى آمد ويوثقا هناك العلاقة بين الكلدان والكرسي الرسولي. وفي مجموع الbollets المارونية (ص ١٢٦-١٢٧) رسالة للحرب الأعظم في تاريخ ٨ نisan ١٦١٤ وجهها إلى بطريرك الموارنة يوحنا مخلوف يوصيه فيها بالأبوين ليسهل لهما على قدر طاقتهم سفارتهم. على أنَّ هذه السفاررة لم تأتِ بفائدة لسبب تقلب بطريرك الكلدان إيليا بين النسطورية والثلثة، فطلب أن يُعهد حضور مجمع ملته إلى الآباء الفرنسيسين بدلاً من الآباء اليسوعيين، فحضره في آمد الأب توما دي نوفاره أوبيشيني فخدع

بمراءة النساطرة. ومنه ترى أن لا سند إلى ما رواه السيد مطران يوسف الدبس في تاريخ سوريا (٣٢٧: ٧) حيث يقول إنَّ الأبوين اليسوعيين «ذهبا إلى أمد وجمع البطريرك أساقته بحضورهما وجحدوا ضلال نسطور» وقد ترك لنا الأب ماريتي (لا مارينوس كما ورد في تواريخ الموارنة) رسالةً موسعة في هذه السفارة نشرها فقيد الآداب الشرقية الأب أنطون رياط (Rabbath: *Documents II*, 421-422).

وكان تلاميذ رومية غير الأب بطرس المطوشي استحقوا شكر قداسة البابا بولس الخامس بما نقلوه من اللاتينية إلى الكلدانية ومن الكلدانية إلى اللاتينية بخصوص هذه السفاراة، وقد خصّ منهم بالذكر في رسالته وجهها إلى بطريرك الكلدان «إسحاق الشدراوي العالِم باللاهوت المقدس ويوحنا الحصروني».

ونضيف إلى هذه الخدم المشكورة التي أداها تلامذة الموارنة للكنيسة ترشيحهم لتعليم اللغات الشرقية أي العربية والسريانية في رومية أوّلاً ثمَّ في بعض حواضر البلاد الأوروبيَّة. وقد امتاز في ذلك بين التلامذة الأولين بطرس مطوشي الذي عُلِّم في المدرسة الرومانية، وgeberائيل الصهيوني الذي عُلِّم مَدَّةً العربية والسريانية في مدرسة الحكمة في رومية ثمَّ دُعي إلى باريس فعلم في كلية وشَرْفه الملك لويس الثالث عشر بلقب ترجمان ملكي. واشتهر أيضًا في تلك الحقبة بالتعليم في رومية إبراهيم الحاقلاني قبل أن ينقطع إلى التأليف في باريس مع الصهيوني.

فكَلَ هذه المآثر لتلامذة مدرسة الموارنة الأولين في رومية أَلْفَت إليهم الأنظار. ومذ ذاك الحين شاع في أوروبَة اسم الموارنة.

وكان الآباء اليسوعيون معلموهم لا يألون جهدهم في تدبير المدرسة وإرشاد الذين أنهوا دروسهم ليحسنوا المتاجرة بوزناتهم. وفي سجلات الرهبانية اليسوعية رسائل كتبها بعضهم إلى معلّميهم ينوهون فيها بفضلهم ويشكرُون جميِّلهم لا سيما رؤساء المدرسة الذين تولّوا إدارتها وهذه أسماؤهم: خلفَ الأب يوحنا برونو في رئاسة مدرسة الموارنة الأب

إيرونيوس فوروفاتوس الروماني (١٥٩٠-١٦٠٦) ثمَّ الأب أنطون لونغوس الفيرنسى (١٦١٠-١٦٠٦) ثمَّ الأب يعقوب كمپيوناس (١٦١٠-١٦٢٢) ثمَّ الأب أنيبال كاناليوس (١٦٢٥-١٦٢٥) ثمَّ الأب فايوس برونو (١٦٢٥-١٦٣٢) وهو الذي بإغرائه ألف الحاقلاني غراما طيقه السريانى كما يصرَّح بذلك في مقدمة اللاتينية.

وكان رئيس الرهبانية اليسوعية العامَّ الأب كلوديوس أكراويفيا يرعى تلك المدرسة بعين ساهرة ويكتب الذين عادوا إلى وطنهم. وفي تاريخ الموارنة للدويهي (ص ٤٥٣) «أنَّ البابا بولس الخامس أمر سنة ١٦١٢ الأَب كلوديوس أكراويفيا رئيس شركة اليسوعية أنْ يُخرج جسد القديس أميريطن (كذا) من بيت الشهداء ويرسله مع قوم أمناء إلى البطريرك يوحنا (مخلف) على موجب طلبه. ورأس هذا القديس هو إلى هذا اليوم مصون بكلَّ كرامة داخل بيت مذبح كنيسة الكرسيّ».

ويحسن هنا أن نورد أثراً عزيز الوجود يُطلعنا نوعاً على تلامذة رومية الذين تخرَّجوا في مدرسة الموارنة من أوَّل إنشائها إلى أواسط القرن السابع عشر فثبتته بعد مقدمة لتعريفه وتعريف كاتبه.

نظر في الأثر المذكور

بين مخطوطات المكتبة الثاتيكانية التي وصفها العلامة السمعانى في آخر الجزء الأوَّل من المكتبة الشرقية كتاب موسوم بالعدد ٢١ Bibl. Or. I, 577. (٤) من قطع الثمن يتألف من ٦٤ صفحة كتبه سنة ١٦٦٩ Codex XXI, n° ٤ بال Krishnuni القرن إلياس الغزيري راهب دير مار شليطاً وضمَّنه بعض القصائد العامية للمطران جبرائيل ابن القلاعي في المجامع والهرطقات وفي إيمان الموارنة المستقيم وحروب لبنان. يليها ثلث زجليات لتأسخ الكتاب القدس إلياس الغزيري: الأولى في وصف رومية العظمى، والثانية في مدح تلاميذ المدرسة المارونية القديمة في رومية التي كانت تحت تدبير الآباء اليسوعيين من السنة ١٥٨٤ إلى ١٧٧٣، والثالثة في رثاء البطريرك يوحنا الصفراوي من بيت الباب الذي خلف البطريرك يوسف حليب سنة ١٦٤٨ ودير الكرسي الإلطاكى إلى سنة وفاته في ٢٣ كانون الأوَّل سنة ١٦٥٦.

وقد تلطّف سعادة المطران عبدالله الخوري النائب البطريركي وأرسل لنا نسخة من مدحّة تلاميذ رومية للقسن إلياس الغزيري لنشرها في جملة كتاباتنا عن المدرسة المارونية القديمة. ولا نعلم أهذا النسخة منقوله عن النسخة الثانية أم عن أصل آخر. وعلى كل حال إننا نقدم لسعادة خالص شكرنا.

ولا بدّ لهذه الزجلية من شروح وتنزيّلات فتوّلنا ذلك لتعريف التلامذة الذين تخرّجوا في تلك المدرسة الشهيرة في الثمانين السنة الأولى لفتحها أعني من السنة ١٥٨٤ إلى سنة تاريخ الزجلية ١٦٦٩. وقد ورد في هذه القصيدة أسماء كثيرة لا يمكن الاستدلال على أصحابها لجواز إطلاقها على غير واحد. والظاهر أنّ المؤلّف لم يذكر كل التلامذة وقد فاته كثير منهم إما سهراً وإما اختصاراً. وقد روى منها أبياتاً الطيّب الذكّر المطران بطرس شibli في ترجمة البطريرك إسطيفان الدويهي. أما المؤلّف القسن إلياس الغزيري الراهب الماروني الحلبي فلم نقف على شيء من تاريخه.

مدحّة تلاميذ رومية

للقسن إلياس الغزيري راهب دير مار شليطا سنة ١٦٦٩

- ١ على اسم الآب الأبوئه وفي كلمته الأزلية وروح قدسه في السوية
أرتب أبيات إفرامية^(١)
- ٢ أنبأ وأبین بالأخبار في جملة الإخوة الأطهار المجتمعين من كل الأقطار
بمدرسة المارونية
- ٣ نبدي من الحبس سركيس^(٢) مطران طاهير وكان قدّيسن رزّي أصله على الناسبين
تابع أمانة رومية

(١) الأبيات الإفرامية تتألف من أربعة شطوط ثلاثة منها على روبي واحد والرابع على روبي يعود في ختام كل الأبيات.

(٢) هذا العجيس سركيس الرزّي من باقوفا قد مرّ لنا ذكره. كان من أول تلامذة رومية وابن أخي البطريركين ميخائيل وسركيس الرزّي وأخا البطريرك يوسف الرزّي ترهب بعد دروسه وسُقُّف على دمشق ثم أرسله أخوه البطريرك إلى رومية لتقديمه الطاعة باسمه وهناك اشتغل بطبع الكتب الفقهيّة لطائفته وعني خصوصاً بطبع التوراة اللاتينية العربية في ثلاثة مجلدات. توفي في رومية سنة ١٦٣٨.

- ٤ حافظ وساعي بالقوابين رتبة واعتقاد المؤمنين ومن أخيه لسنا مفترقين عن طوائف الشرقية
- ٥ عمه كان بطرك مخايل والأخر سركيس طايل كانوا بطاركه بالقبايل اثنينهم كانوا أخويه
- ٦ وبطرك يوسف ابن خيئم دير الرعيه من بعدمهم ثلاثة زايد عزهم تابعين درب البابية^(٢)
- ٧ بطرك يوسف راد يعمل رتبة مارون^(٤) ويكملا تكون صالحه ولا تُبدى على رتبة الرسولية
- ٨ إفرايم مارون حقاني تابعين كرسني الروماني^(٥) أخوه سركيس البقوفاني مطران مدينة سورئه^(٦)
- ٩ تلميذ رومية كان يا ناسن وطبع شحيم وكتاب قداسن وتوراه وخدمة الشمامس ومات بروميه بهنهية
- ١٠ وموسى كان من عاقورة^(٧) مطران وسمعته مشهورة تلميذ المدرسة المذكورة في العلوم اللامهورية
- ١١ ومطران حنا الحصروني^(٨) فسر ناموس كرشوني راهب حافظ قانوني داير يكرز بالرعاية

(٣) يزيد أنهم ثبتو في إيمان البابا خليفة مار بطرس. وقد مرّ لنا ذكر هؤلاء البطاركة الثلاثة.

(٤) يزيد برتبة مارون أي الطقس الماروني.

(٥) يزيد أن مار مارون كمار إفرايم على إيمان واحد.

(٦) مدينة سورئه هي دمشق التي سُقِّطَ عليها الراهب سركيس الرزّي.

(٧) هو القس موسى بن سعاده العنسي العاقوري من أول تلاميذه رومية الذي عُنى بطبع الفتنات المارونية في مطبعة الماديشين سنة ١٥٩٤ مع جرجس عميرة. رفقاء البطريرك يوسف الرزّي مطراناً على قبرص سنة ١٥٩٨ وتوفي سنة ١٦١٤.

(٨) هو يوحنا الحصروني الحوشبي سقفة البطريرك يوسف الرزّي على دير قُثوبين وكان قبلًا ترقد بربانية مار عبد الأحد الدومينikan. توفي سنة ١٦٣٢.

- ١٢ وبطرُك جرجس هدناني^(٩) مشهور بعلم السرياني ومطران إسحاق شداني^(١٠)
يكرز كلامه بعجلة^(١١)
- ١٣ وبطرُك أندراؤس يعقوبي^(١٢) من التلاميذ محسوبٍ صار ماروني مكتوبٍ
تبع أمانة البطريركيَّة
- ١٤ ومطران مخائيل حصروني^(١٣) رب حساب بالكريشوني ويئن فرق الماروني
من طوائف الشرقيَّة^(١٤)
- ١٥ ومطران سركيس العجري^(١٥) ومطران إسطفان يا حبرى^(١٦) الله يزيدُه العمري
من إهْدَن المسمَّية
- ١٦ وخوري جرجس بن عَنَاب^(١٧) كان معلمًّا وصاحب جواب حيث ربٌّ من علمه كتاب
منارة السريانية
- ١٧ والأب نصرالله خوري هو ابن شلن العاقوري^(١٨) كان نهيمًا وصاحب شوري
خلف المدرسة بكلية

(٩) هو بطرُك جرجس عمبه الذي جلس على السدة البطريركيَّة من ٢٧ لك^١ ١٦٣٣ إلى ٢٩ تمُوز ١٦٤٤.

(١٠) هو إسحاق الشدراوي مطران طرابلس المتوفى سنة ١٦٦٥. أطلب في المشرق (٢) [[١٨٩٩]]:
٩٤٥-٩٣٩ أخبار رحلته إلى فرنسا سنة ١٦٦٠.

(١١) يزيد أنه كان حاذقًا بليناً في الوعظ.

(١٢) هو أول بطاركة السريان الكاثوليك أندراؤس أخيجان. كان ارتداً عن اليعقوبية ثم درس في المدرسة المارونية في رومية وتوفي سنة ١٦٧٧.

(١٣) هو ميخائيل بن سعاده الحصروني سُقُفُّ البطرُك يوسف حليب على دير مار جرجس بقرقافا ومعاونٍ للكرسي. طبع في رومية سنة ١٦٣٧ بالكريشوني كتابه في الحساب الغربي المعروف بالغريغوري. كانت وفاته السنة ١٦٦٩.

(١٤) أي بين انتظامهم عن بقية الطوائف بخضوعهم للحساب الغريغوري.

(١٥) كان من إهْدَن وسُقُفٌ على كرسي دمشق ثم على قبرص. ومات في مرسيليا سنة ١٦٦٨.

(١٦) يزيد إسطفان الدويهي ولم يكن بعد ارتقاً إلى السدة البطريركيَّة وإنما كان تُسَقَّفُ سنة ١٦٦٨ على أسقفية قبرص. توفي سنة ١٧٠٤.

(١٧) لا نعرف جرجس المذكور.

(١٨) نصرالله بن شلن العاقوري أحد مشاهير الطائفة المارونية أنشأ مدرسة رافقتاً لأبناء ملته وأقام بأوروبا إلى حين وفاته سنة ١٦٣٥.

- ١٨ قتيس إبراهيم الحلبي تبع الشهداء بدربي من رهبان بسرع ربي
تشهد ببلاد هندية^(١٩)
- ١٩ طالب منه الشفاعة لضعفه وأيضاً للجماعة الذين يمشون بالطاعة
بحب العذراء النقية
- ٢٠ وقتيس سمعان تولاني^(٢٠) كان قدّيس بالرهبان أريده بطلب من شابٍ
حتى أنجو من الخطية
- ٢١ قبره في بيتله موجود بلزق الحايط هو ممدود كنيسة العذرا أم الجود
يشفي وجع البردبة
- ٢٢ قبره يقصده الأعوان الموجوع فوق منه ينام بيوم واحد من الأيام
يشفيه من كل وجعية
- ٢٣ قبل موته بيوم واحد أنبأ الله العلي وأكذ كهنة بشعلة فيه تشهد
ويعهم أكابر مسيئة
- ٢٤ وهو كان معروض من سيرته من الطاعة ومن غيرته حافظ قانون رهباته^{*}
في الطهارة والعفة
- ٢٥ خوري يوسف عبد المسيح^(٢١) الحدّي على التصحّح كان في شغله دوم فصيح
في البر والبحرية
- ٢٦ كهنة من جزيرة قبرص لوفا ويعقوب مع بطرس^(٢٢) في كتابهم الناس تدرس
كرشونية وسريانية

(١٩) هو إبراهيم جرجس الحلبي الذي دخل في الرهبانية اليسوعية وأرسل للتبشر في الهند ومات شهيد إيمانه في مصر سنة ١٥٩٥.

(٢٠) هو القسن سمعان بن هارون التلواوي ذهب إلى المدرسة المارونية سنة ١٦٤١ مع إسطفان الدويهي ثم رجع إلى لبنان سنة ١٦٥٥ وصار راهباً من رهبان القديس أنطونيوس وتوفي بعد سنتين قليلة برائحة القداسة.

(٢١) هو القسن عبد المسيح ابن إلياس الحدّي خدم طائفته في بلاد بشاره وأرسله البطريريك يوسف العاقوري إلى رومية لطلب الشبيت سنة ١٦٤٤ واشتعل هناك عدّة سنين بطبع كتب الطقس الماروني. لم نقف على سنة وفاته.

(٢٢) لوفا القبرصي من قرطاجنة سقّه البطريريك الدويهي على قبرص سنة ١٦٧١ وتوفي سنة ١٦٧٣. ويعقوب هو ابن ميخائيل من الأقصي الذي ذكرناه في جملة التلاميذ المرسلين إلى رومية سنة ١٥٨٣. أما بطرس فهو بطرس بن جبرائيل المطوش اليسوعي المترافق سنة ١٦٢٥. له =

- ٢٧ كهنة من قرية حصرولن حنا رزق الله وآخرؤن مخايل وفرحات بغیر فنون
ويوسف معهم جملية^(٢٢)
- ٢٨ خوري حنا الحوارني وخوري بطرس غوضطاني وخوري يوسف تولاني
وقتبس أنطون رزية^(٢٤)
- ٢٩ خوري بطرس هدناني وخوري جرجس حقلاني وقبس جرجس عرباني
وقتبس جرجس وغيرته^(٢٥)
- ٣٠ خوري حنا من غزير وخوري صافي من شتنعيز أخوه صادق قتبس كبير
في قانون الرهبانية^(٢٦)

=غرامatic سريانى باللاتينية طبع في رومية سنة ١٦٢٥.

(٢٣) إنَّ الحصرونيين الذين تخرَّجوا في المدرسة المارونية متعددون. أمَّا المذكورون هنا فيصعب تعرِيفهم ب مجرد أسمائهم ولعلَّهم غيرُوا هذه الأسماء لما صاروا كهنة. فمن المحتمل أنَّه أراد «بحنا» يوحنا بن قرياقس الحصروني المعروف من بيت صندوق الذي اشتغل في باريس بالتوراة مع إبراهيم الحاقلاني ثمَّ سامه البطرك يوحنا مخلوف أمنقاً. توفي سنة ١٦٢٦. ولعلَّه أراد بمخائيل الحصروني المعروف بابن صابون الذي أرسله البطريرك يوحنا الصفراوي إلى رومية سنة ١٦٤٨ ليطلب له التثبيت. أمَّا يوسف فهو يوسف بن شمعون الحصروني الذي درس في رومية من السنة ١٦٥٤ إلى ١٦٦٨ ثمَّ سقنه الدوهي على طرابلس. توفي سنة ١٦٩٥. أمَّا رزق الله وفرحات الكاهنان فلم تجد لهما ذكرًا.

(٢٤) بطرس الفرسطاني هو المطران بطرس بن مخلوف الآتي ذكره (ص ١٣٨) ويوسف تولاني هو يوسف الرامي (المذكور ص ١٤٠). وأنطون رزية هو أنطونيوس بن سركيس الرزيء من بان الذي كان سافر إلى رومية مع أندراوس أخيجان وموسى البشراني سنة ١٦٤٦. ثمَّ ترَهَّب بعد رجوعه إلى لبنان في قُنوبين وتولَّ على أملاك ديره ثمَّ أصيَّب بالرياه سنة ١٦٧٠.

(٢٥) نعرف اثنين من هؤلاء الأربعة: ١ - الخوري بطرس الأهدناني ابن إبراهيم ابن عم إسطfan الدوهي سافر إلى رومية معه سنة ١٦٦٤ وسكن دير مار قبريانوس بإهدن بعد رجوعه ثمَّ رفأه سنة ١٦٨٠ البطريرك الدوهي إلى مستشفى صيدا. توفي في أيار سنة ١٦٨٣ . ٢ - جرجس الحاقلاني الذي دخل المدرسة المارونية سنة ١٦٣٩ وأنفقه إلى رومية البطريرك يوسف العاقوري لقضاء بعض الأمور وخدم طائفته مدةً في القدس الشريف. توفي سنة ١٦٦٩.

(٢٦) يزيد حنا بن عريضة الغزيري الذي أرسله البطريرك يوسف حلبي إلى رومية سنة ١٦٤٦ مع أندراوس أخيجان بعد ارتقاده. وأراد بصافي صافي بن القديسي من شتنعيز الذي دخل المدرسة المارونية مع حنا بن عريضة وعند عودته إلى لبنان خدم وطنه شتنعيز ثمَّ عجلتون وصار ترجمانًا بين الشيخ أبي نوبل الخازن والفرنج المقيمين في سوريا. أمَّا أخوه القتبس صادق فلم تقف له على ذكر.

- ٣١ والكافئين الحقيقة مرهج ومتى البانبيه^(٢٧) وكلاء كرسى البطركتة
برومية عند الباباية
- ٣٢ قسيس فلبيبل الراهب من شر الناس كان هارب والبدري عليه نجاوب
قسيس جرجس معوشية^(٢٨)
- ٣٣ ومن عينترين قسيس يوسف معلم بغير تقييس راهب ثابت على التأسيس
من رهبنة اليسوعية^(٢٩)
- ٣٤ وشمام إبراهيم الحلاقاني^(٣٠) مشهور بعلم الكلداني عمل غراماطيق سرياني
يورث الحياة الأبديّة
- ٣٥ علّمه مشهور بين الناس عند البابا والجلامن دائم كان مرفوع الرأس
لأبراب الكردينالية
- ٣٦ وشدياق موسى بن أيوب^(٣١) خادم العذراء محبوب نقى ظاهر من جميع العبر
ممتنلى من الفدرستة

(٢٧) مرهج البانبي هو أحد مشاهير تلاميذ رومية يدعى أيضًا مرهج النيروني وباللاتينية Faustus Bannusius Naironus الكلية الرومانية. ووضع عدة تأكيد. توفي في أواخر سنة ١٧١١ وسيأتي ذكر أخيه نقولا ويوحنا (ص ١٤٢). أما متى البانبي فلم نجد له ذكرًا. وأراد بالباباية الكرسى الرسولي البابوي.

(٢٨) القس فلبيبل ذاكرة الديوبطي قريباً (ص ١٣٩). أما جرجس المعوشية فلا نعرفه ولا نفهم معنى قوله «والبدري عليه نجاوب».

(٢٩) هو الأب يوسف العينطورياني الحلبي والماروني اليسوعي دخل الرهبنة اليسوعية واشهر في إيطاليا بصفة واعظ وترقى في ٢٤ لـ ١ سنة ١٦٨٦.

(٣٠) إبراهيم الحلاقاني من الموارنة الذين عظمت في أوروبا سمعتهم. عُلم في الكلية الرومانية واشتغل في باريس بطبع التوراة المتعدة اللغات (البوليفلوكا). توفي في رومية سنة ١٦٦٣.

(٣١) موسى بن أيوب البشرياني كان سافر إلى رومية مع أندراؤس أخيه وصافي الشتميري. وقد أتّبع صاحب الزجلة بذكر تفاصي وموته الصالع فخَصَّه بشمانية أبيات منها ولم نعرف من أخباره سوى ما يُروى هنا مع ما خصّه الديوبطي بذكره (ص ١٤٣) وذكر أخيه يوسف (ص ١٤٤).

- ٣٧ بِيَوْمِ انتِقالِهِ بِالْقُدْرَةِ حَضِيرَتْهُ مَرِيمُ الْعَذْرَا تَكَلَّمُتْ مَعَهُ بِالْحُضْرَةِ
تَنَالْ مَلْكُوتَ السَّماوَاتِ
- ٣٨ قَبْلِ موْتِهِ بِخَمْسَةِ أَيَّامٍ جَاءَهُ السَّيِّدُ بِالْمَنَامِ وَقَالَتْ لَهُ مَا بَقِيَ لَكَ مَقَامٌ
بَيْنَ النَّاسِ الْبَشَرِيَّةِ
- ٣٩ وَيَوْمِ الْخَامِسِ تَنَبَّئَ بِدِيرِ فَتَوْبِينِ تَزَيَّنَ وَنَفْسُهُ بِالْمَلْكُوتِ تَفَرَّجَ
شَهُودُهُ ثَلَاثَةٌ حَقِيقَيَّةٌ
- ٤٠ بِطْرَكِ أَنْدَرَاوسِ مَحْسُوبٍ وَمِنْ حَصْرُونَ خُورَى يَعْقُوبُ وَالْمَرْتَبُ خَاطِئٌ مَعْبُوبٌ
الْمَعْرُوفُ بِكُلِّ رَزْيَةٍ
- ٤١ الْثَّلَاثَةُ فِيهِ تَشَهِّدُ وَقَدَّامِ الْعَذْرَاءِ تَسْجُدُ التِّي لَهَا النَّاسُ تَعْبُدُ
قَطُّ مَا عَمِلْتُ وَلَا سَبَبَ
- ٤٢ يَا شَدِيَاقَ بَا بَشَرَائِنِي يَا مُوسَى نُورُ أَعْيَانِي أَرِيدُكَ تَطْلُبُ مِنْ شَانِي
بِخَدْمَتِكَ الرُّوحَانِيَّةِ
- ٤٣ لَأَنَّكَ شَرَفَتِ التَّلَامِيذُ مَدْرَسَةً مَارُونَ عَلَى التَّوْكِيدِ حَتَّى لَكَ عَلَيْنَا التَّعْبِيدُ
لَأَنَّكَ حَفَظْتِ الْبَتُولِيَّةَ
- ٤٤ وَغَيْرُ ذَلِكَ نَبِيُّنَا الْأَنَّ شَمَاسُ يَوْسُفُ بْنُ فَتِيَانَ^(٣٢) وَأَيْفَا يَرْسَفُ اللَّيِّ مِنْ بَانَ^(٣٣)
بِدَرْجَةِ الشَّمَاسِيَّةِ
- ٤٥ نَاسٌ أَطْهَارٌ بِخَدْمَتِهِمْ حَافِظِينَ قَانُونَ رَتْبَتِهِمْ الْعَذْرَا هِيَ عَبَادَتِهِمْ
مِنَ الشَّرْذَمِ أَجْنبِيَّةَ^(٣٤)
- ٤٦ أَوْلَادُ الْمَطْرَانِ إِسْحَاقُ يَعْقُوبُ وَبِرْحَنَتَا شَدِيَاقَ^(٣٥) اثْنَيْنِتُهُمْ كَانُوا أَرْفَاقَ
وَتَعَلَّمُوا أَيْضًا سُوَيْةَ

(٣٢) هو الشَّمَاسُ يَوْسُفُ فَتِيَانُ الْحَصْرُونِيُّ الذِّي كَانَ أُرْسَلَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ الْمَارُونِيَّةِ سَنَةَ ١٦٤١ مَعَ إِسْطَفَانَ الدُّوِيْهِيَّ. تَوَفَّى فِي رُومَى فِي ٢٦ نِيسَانَ سَنَةَ ١٦٧٣ بَعْدَ أَنْ أَوْقَفَ جَمِيعَ مَالِهِ لِلطَّافِلَةِ.

(٣٣) هو يَوْسُفُ الْمِيسَاوِيُّ الْبَانِيُّ الذِّي بَعْدَ دُرُوسِهِ فِي الْمَدْرَسَةِ الْمَارُونِيَّةِ عَلَمَ فِي رُومَى الْلُّغَتَيْنِ السَّرِيَّانِيَّةِ وَالْمَرْبِيَّةِ فِي مَدْرَسَةِ اِنْتَشَارِ الإِيمَانِ وَغَنِيَ مَعَ مَرْهُجِ التَّبِرُونِيِّ بِتَقْرِيبِ طَبْعَةِ الْمَهْدِيِّ فِي السَّرِيَّانِيَّةِ وَالْكَرْشُونِيَّةِ الَّتِي طُبِّعَتْ فِي رُومَى سَنَةَ ١٧٠٣.

(٣٤) أَيْ كَانُوا مَتَجَيِّنِيْنَ دَائِنِيْنَ الشَّرِّ.

(٣٥) الْمَطْرَانِ إِسْحَاقُ هُو الشَّدَّارُوِيُّ الْمَازِيُّ ذَكْرُهُ الذِّي كَانَ مَتَزَوْجًا قَبْلَ كَهْنَتِهِ. أَمَّا وَلَدَاهُ يَعْقُوبُ وَبِرْحَنَتَا فَلَمْ نَجِدْ أَحَدًا أَوْرَدَ ذَكْرَهُمَا.

- ٤٧ ومخايل الكرمذاني ويوحنا البطحاني والعاقوري ترجمانى
أنطون عند الخواجكية^(٣٦)
- ٤٨ وشمس بطرس غبلاني الراهب الحتناني شهادتنا فيه طرباني
يشتهرها المالطية^(٣٧)
- ٤٩ وشمس بطرس تولاني يوسف حطيطاً غوستاني اثنينهمتبعوا الجسداني
ومشيرو بالسداجية^(٣٨)
- ٥٠ وشمس يوسف من الفتوح من غدراس لتحول نروح وجرجس فمه دُم مفتوح
يطلب خلاص من الحميدية^(٣٩)
- ٥١ ومن حدثيت أيضًا اثنين موسى وجابر سنتيثن إبراهيم قبرسي من الجملتين
فيه كملت العذبة^(٤٠)
- ٥٢ وشمس بولس عتبده وجرجس ليَا بتوكيده قرايام لم ينبعيدة
تقارب جبل المسمية^(٤١)
- ٥٣ وشمس نعمه تابعهم رفيقهم وكان من جملتهم وفي العلم أشطر منهم
مجتهداً وكان لهجية^(٤٢)
- ٥٤ وإليَا الكسراني ويوحنا ابن البانى لئَا بيقرروا يا إخوانى^(٤٣)
بمدرسة الرومانية

(٣٦) إنكى الدويهي بذكر مخائيل ويوحنا (ص ١٣٨). يزيد بالخواجكية الأشرف.

(٣٧) لا نعلم من هو الشمس بطرس غبلاني الراهب ولأى سبب تشهد له المالطية.

(٣٨) الشمس بطرس تولاني هو غير بطرس التولوي الحلبي الذي أتى بعد ذلك. اطلب الدويهي لاحقًا (ص ١٤٠) ونبهـلـلـأـخـبـارـ وأـخـبـارـ يـوسـفـ حـطـيـطاـ الغـوـسـطـانـيـ. ويـؤـخـذـ منـ قـوـلـهـ «ـتـبعـواـ الجـسـدـانـيـ»ـ آـتـهـماـ بـقـياـ بـيـنـ الـعـلـمـاتـيـنـ وـلـمـ يـكـفـهـاـ وـمـشـيـرـاـ بـعـيـشـةـ الـمـسـيـحـيـنـ الـبـسـطـاءـ.

(٣٩) كذلك نجهـلـلـأـخـبـارـ الشـمـسـ يـوسـفـ الفتـوحـيـ. وـقـوـلـهـ «ـمـنـ غـدـرـاسـ لـتـحـولـ نـرـوحـ»ـ يـزـيدـ أـنـ نـاجـيـةـ الفـتوـحـ وـاقـعـةـ بـيـنـ غـدـرـاسـ وـتـحـورـ قـرـيـةـ مـنـ بـتـرـوـنـ السـفـلـىـ. وـقـوـلـهـ «ـيـطـلـبـ الـخـلاـصـ مـنـ الـحـمـيـدـيـةـ»ـ يـشـيرـ إلىـ ظـلـمـ بـنـ حـمـادـ الـمـتاـولةـ.

(٤٠) حدثيت في بلاد البترون. ولم تتحقق من هما موسى وجابر سنتيثن (كذا). سياتي ذكر إبراهيم القبرسي (ص ١٤٧). أما العذبة فيزيد بها زجلاته.

(٤١) أطلب تاريخ الدويهي لاحقًا (ص ١٤٦) وجبل المسمية هو جبل الأرز.

(٤٢) الشمس يوسف نعمة مذكور لاحقًا (ص ١٤٦). وقوله «كان لهجية» أي كان فصيحاً.

(٤٣) إلى الكسراني ويوحنا البانى كانوا كما يقول من الدارسين حين كتب المؤلف زجاجة ولا نعلم ماذا صار بهما بعد ذلك. ولئَا يمعنـىـ إـلـىـ هـذـهـ السـاعـةـ أـيـ إـلـىـ الـآنـ.

- ٥٥ وجميع الذين ذكرناهم المستأهلين شكرناهم والغشيمين حقرناهم
والله عالم بالنبيّة
- ٦٥ لأجل التلاميذ اللاتينيين حتى يكونوا محترصين ولا يضيئوا أيام وسنين
في لعب المسكريّة^(٤٤)
- ٧٥ أيها التلاميذ تعلّموا وفيما ذكرنا أن تفهموا وإن تكاملتوا ستدبروا
وأيش تنفع الندمة
- ٨٥ الكاسب ذُرْم هو فرحان راضي عليه الرحمن والخاسر يوجد حزنان
جسدي وروحانيّة
- ٩٥ عند الناس دائم مرذولٌ وعند الله ليس له قبولٌ وعقله من همه مشغولٌ
وما يوجد له حتّية
- ١٠ ترثّبت هذه الأسطار أول يوم من شهر أيار نطلب منكم التذكرة
يا ساميعين المديحية
- ١١ بأيام البابا إقليميس الناسع وكيل مار بطرس وسيدنا البطريك جرجس
على ملة المارونية^(٤٥)
- ١٢ (سايلا) عبدكم المكتب^(٤٦) اقرأوا اسمه بالمقلوب والعذرا طاهره من العيوب
تحرسكم من البلبة

أثر جليل للبطريك إسطفانوس الديويهي تاريخ المدرسة المارونية في رومية

مقدمة

ذكرنا في جملة مخطوطات السعيد الذكر البطريك إسطفانوس الديويهي
تاریخاً كتبه في تلامذة المدرسة المارونية في رومية (اطلب المشرق ٢١
[١٩٢٣]: ٢٤). وقلنا هناك إنَّ هذا التاريخ أخذته يد الضياع إلا كراساً منه في

(٤٤) المسكريّة أي المتعاطرون السكر.

(٤٥) جلس البابا إقليميس الناسع على كرسي البابوية من حزيران ١٦٦٧ إلى ١٦٦٩. البطريك جرجس هو جرجس السبلانى (١٦٥٧-١٦٧٠).

(٤٦) (سايلا بالمقلوب هو «إلياس» مؤلف هذه الزجلة.

مكتبة سعادة المرحوم بولس مسعد رئيس أساقفة دمشق. وهذا الكراس الثمين قد أطلتنا عليه حضرة شقيقه الخوري الفاضل عبد الله مسعد وسمح لنا بنشره فلتلي بطيب الخاطر إلى رغبته فنشره كتمة لأخبار تلك المدرسة العامرة التي أدت للكنيسة وللطائفة المارونية أجل الخدم. والكراس المذكور يتناول تاريخ المدرسة المشار إليها من السنة ١٦٣٩ إلى ١٧٠٢ أعني إلى أواخر بطريركية الديويهي المتوفى سنة ١٧٠٤ وكأنه تابع لما نشرنا سابقاً عن تلك المدرسة ومفسّر لزجلية القسن إلياس الغزيري.

قال السيد الديويهي:

سنة ١٦٣٩ عندما قلَّ عدد التلاميذ (في مدرسة رومية المارونية) قدم جوان باطيشتا كورتي من الشركة اليسوعية يطلب تلاميذ فأرسله البطريرك جرجس بن عميرة إلى بلاد كسروان لعند المطران يوسف العاقوري ليجمع له الأولاد. فاختار خمسة عشر ولدًا وهم فَرَح من غوططا. وبطرس بن مخلوف من بيت دوميط من غوشطا. ويُوسف فليلل منها. وجرجس بن عبد الله الحقلاني. وميخائيل بن داود الكرمسياني. ويُوسف بن جبرائيل العاقوري. وميخائيل بن داود من بكري. وجبرائيل بن موسى منها. وجرجس بن عفيف من صيداء. وداود بن يوسف من مجديون. ويوحنا بن الياس من بيت مبارك من بطحا. ومنصور بن بطرس البانى. وبطرس بن سمعان الطرابلسي. ففرح الغوططاوي. مات في البحر.

«بطرس بن مخلوف» بعدما أكمل ثلث سنين من الفلسفة وسنة من علم اللاهوت نقلَ المعيد الشتوى من السريانى إلى اللاطيني ثمَّ رجع إلى بلاده سنة ١٦٥١ في سبعة من تشرين الأول فلبس إسكييم الرهبنة بدير مار شليطا وسيم قسيساً. ثمَّ لما ارتقى درجة البطريركية أوقفناه عندنا كاتباً. وفي السنة ١٦٧٤ في أربعة من تموز قدمناه مطراناً على مدينة الأنقسية بقبرس فبذل مجehوده في سياسة تلك الرعية وصار له تعب ومعارضة من طائفة الروم. ثمَّ في السنة ١٦٨٠ سُفِّرناه إلى رومية فوق يد المغاربة واحتمل مشقات وافرة

لأجل استفراك ذاته والأولاد الذين كانوا بصحبته. وفي السنة الثانية في عشرة من أيام رجع لعندها بسلامة. إجتهد كثيراً في نشوء الديوره وجمع قصص القديسين في مجلدين كبار ثم اختصرهم بنوع سنكسار وصنف ميامر وشمثفات (فروض) سريانية.

﴿يوسف فليفل﴾ كان دخل سابقاً في رهبنة مار أنطونيوس بدير مار شليطاً مقبس فإذا لم يوافق التلاميذ في أكل الظفر (الزفر) عرض عليه مدير المدرسة أن يبرز له أمراً من طرف البابا حتى يتظاهر بما أثر بتغيير نذره إنما ثبت مدة يسيرة في المدرسة ثم رجع إلى ديره فسيم قسيساً وخدم الله بكل سذاجة وطهارة.

﴿جرجس الحقلاني﴾ درس علم النية ستين ثم عاد إلى بلاده فسامه البطرك يوسف العاقوري قسيساً وأنفذه إلى رومية بقضاء صالح الطائفه. وبعد عودته توجه إلى القدس الشريف فخدم أولاً الطائفة بكل انتباه فحسدوه رهبان القدس ومنعوه عن وضع البخور في القدس ليقلعواه من القدس وما زال يجاهد حتى قضى أجله سنة ١٦٦٩.

أماباقي فقد اقتصرنا من ذكرهم لأنهم ما تقدّموا إلى درجة الكهنوت وصار نفعهم قليلاً.

سنة ١٦٤٠ دخل المدرسة **﴿مرهج بن ميخائيل بن نمرون البانبي﴾** وهو أخو نقولا الذي تقدّم ذكره. فمرهج لما دخل المدرسة كان ابن خمسة عشر سنة. وبعدما أكمل علم الفلسفة وستين من علم اللاهوت قصد المسير لجبل لبنان ورمي الطاعة للبطرك يوحنا صحبة قاصده الخوري ميخائيل الحصروني وكان ذلك في السادس عشر من تشرين الأول سنة ١٦٤٩. وعندما دخلوا بلاد الشام كان البطرك في زيارة بكفيما فأرسل الكهنة ورؤساء الكهنة وشعباً كثيراً إلى لقائهم برهمة وبخاتير. وبعدما لبس درع البطيريكية قسم مرهجاً قسيساً.

فثبت عنده مدةً من الزمان ثم جعله وكيل الكرسي الانطاكي بروميه وأرسل

صحبته أربعة أولاد ليهذبوا بالعلوم وكان ذلك سنة ١٦٥٠، فبذل جهده في خدمة الطائفة وقصد البطاركة وكان ذا نظر طائل وعقل رزين حتى إنه استمدّ محبة البلاط الروماني فأنعموا عليه بأن يدرس اللغات الشرقية في دار العلوم. وفي السنة ١٦٩٦ (صنف سيرة) أوسطاكيوس وصنف جملة كتب منها كتاب عن أصل الملة المارونية وصحة أمايتها منذ الزمان القديم ثمّ عن مناضلة آراء المبتدعين في بلاد الغرب من برهان علماء الشرق. ثمّ (كتب) عن شجرة البن وإفاده القهوة وغير ذلك آخر جها في الطبع باللغة اللاتينية.

سنة ١٦٤١ أرسل البطريرك جرجس صحبة القس سمعان التولاوي راهب مار أنطونيوس والشمامس يوسف فتیان الحصروني اثنينهما (وكلاهما) من تلاميذ المدرسة، أربعة أولاد وهم: يوسف، الرامي فتكنّى برومیة بولس التولاوي وأخوه بطرس أولاد أخت القس سمعان المذكور. وبطرس بن القس إبراهيم من بيت أمية الهدنانی. وإسطfan بن ميخائيل بن القس موسى الدوري من قرية إعدن اثنينهما (كلاهما) يجنسان البطريرك الذي أرسلاهما وكان دخولهم رومية في شهر حزيران.

﴿يوسف الرامي﴾ بعدما درس ستين في الفلسفة حكم عليه الأطباء بالعودة إلى بلاده لثلا يقع في الاستنقاء. وكان خروجه من رومية في أوائل التشارين سنة ١٦٤٩ فلبس إسكيم مار أنطونيوس وسيم قسيساً واجتهد كثيراً في علم الأولاد في عشقوت وبسكتا وقبرس وبيت شباب. كان طوبيل الروح وتلمذ كثرين وأنشأ دير مار جرجس بحردق بارض بيت شباب وسيم عليه خوري برديوط. وفي الدير المذكور انتقل إلى رحمة ربّه بكلّ ثناء في أوائل سنة ١٧١٢ (١٧٠٢؟).

أخوه ﴿الشدياق بطرس﴾ تزوج في بيت شباب ومات فيها.

﴿بطرس ابن القس إبراهيم الهدنانی﴾ كان ابن عشر سنين. درس علم المنطق وعلم النية وعلى شور الأطباء عاد إلى لبنان بلاده فسيم كاهناً وسكن دير مار قبريان بإهدن ثمّ أوقفناه عندنا يازجي (كاتباً) وكان له يد طويلة في

الخطّ السرياني والعربي والفرنجي. وفي السنة الرابعة أعني سنة ١٦٧٠ أقمناه مطراناً على مدينة صيادة فخدم الرعية التي تسلّمها بكلّ تقوى وفي السنة ١٦٨٨ في ستّة من أيّار انتقل إلى راحة الصالحين في وادي صفره وهو في زيارة الرعية.

﴿إسطفان ابن الشدياق ميخائيل بن القس موسى الديهي﴾ من قرية إعدن^(١) دخل المدرسة في أواخر السنة الحادية عشر من عمره. أكمل علوم الفلسفة واللاهوت في مجادلات: الأولى (كذا) على اسم الكردينال كپون كفيل المدرسة والثانية على اسم البطريرك يوحنا الصفراوي. وعند خروجه من المدرسة سنة ١٦٥٥ في ثلاثة من نisan اختاره سادات المجمع عن الانتشار (مجمع انتشار الإيمان) أنه يكون مرسلًا بعلمه وذلك بهمة المعلم إبراهيم الحقلاني. وفي السنة الثانية بعد البشرة رسّمه البطريرك يوحنا قساً على دير رأس النهر. فبذل مجده في التلمذ (أي التعليم) وتصنيف الكتاب عن سرّ القرىان المقدس.

وعندما قصد بيكتات (Fr. Picquet) ففصل الملّة الفنساوية بحلب رسامة القس أندراؤس أخيجان ليكون مطراناً على طائفته السريانية بحلب كان هو المساعد له عند البطريرك يوحنا. ثمَّ في السنة ١٦٥٧ دخل معه في دخول الصوم إلى حلب فثبت ثمانية أشهر يعهد المطران المذكور في الشور والوعظ وكان يوعظ جماعته في كنيسة ماري الياس. ولما رجع إلى جبل لبنان أخذ السكنى بدير مار يعقوب الجباش وكان خراباً فرممُه (فرممه) واستمرَّ فيه خمس سنين. وفي السنة ١٦٦٨ بعد عيد الكبير قصد زيارة الأماكن المقدّسة فأخذ صحبته والدته وأخاه الحاج موسى. وعند العودة قدّمة البطريرك جرجس إلى مطرانية الأقصيّة بقبرص ويازنه جال في رعایا الجبة والزاوية وعكار وقبرص يتعب على خلاصهم وبيلاغة تعب في دورانه وفحص الكتب وجمع كتاب تواریخ.

(١) هو البطريرك إسطفانوس الديهي الشهير صاحب هذا التاريخ.

وعندما حكم الباري بانتقال البطريرك جرجس إلى مجازاة تعبه مع الأبرار اختيار على رضا رؤساء الكهنة والشعب ليسوس الكرسي الإلانتاكي موضعه. وكان ذلك في عشرين من أيار سنة ١٦٧٠ وهي سنة الوباء الكبير، فسام الشمامس يوسف بن الخوري يعقوب الحصروني قسيساً وسفراً إلى رومية لأجل رمي الطاعة إلى قدس البابا زخيا (إينوشنسيوس) العاشر ولطلب درع كمال الرئاسة. وخرج وهو في الدورة إلى زيارة الرعايا وبنى الحارة التي بلزق كنيسة مار شليطا مقبس. وفي السنة ١٦٧٢ عاود إلى قنوبين وجاءه درع الشيت من رومية مع القس يوسف وأوقفه عنده يازجيما (كاتباً). ولو إن دهره كان عسيراً فبذل كل جهده في جمع الرتب الكنائسية بتمامها. وبسط الشرح ليس فقط في سرّ القرابان المقدس بل في جمع التوافير المقبولة وقصص الآباء الذين ألقواها وفي الشرطيات الكهنوتية وفي أسرار اليعنة وفي تكريبات الكنائس والميرون وما يليها. وضبط جميع رسومات المواقع الكنائية بترتيب واضح ليتميز بعضها من البعض ويرهن عن أصل الملة المارونية ودوماً اتحادها مع الكنيسة الرومانية.

سنة ١٦٤٢ دخل المدرسة (بيوحنا بن نمرون) هو أخو نقولا ومرهج. وبعد كمال علمه سيم كاهناً بروميا ثم تولى تدبير مدرسة راوونا (Ravenne) وعندما خلت قلدوه خزانة كتب مار بطرس سنة ١٦٦٣. عند موت صهره إبراهيم حقلاني سنة ١٦٤٦ قدم من حلب إلى المدرسة.

(**يوسف بن الحاج جرجي العتاري**)^(٢) صحبة عبد المسيح الحلبي. بعدما تهذب في علم المنطق دخل الشركة اليسوعية وبعد التجربة وتمام العلوم الرياضية والإلهية سيم قسيساً فاعتنى على الوعظ وبلغ فيه مرتبة عالية حتى إنه جلس على غالب منابر رومية وجذب إليه خواطر أكابرها ورؤسائها وصار له ثناء عظيم في الوعظ وتهذيب الشعب. ثم في سنة ١٦٨٦ طلبه سلطان مالطة وبعد ما كرز في الجزيرة الحدود (الأحاد) التي تتقدم ميلاد الرب

(٢) كما في الأصل «العتاري» يريد به الأب يوسف المعروف بالعينطوريين اليسوعيين.

انتقل إلى راحة الصالحين في بيرمون العيد.

وفي السنة المذكورة أرسل البطريرك يوسف العاقوري أربعة أولاد للمدرسة صحبة عبد الغال أخيجان السرياني الحلبي، والأولاد هم: فيليتوس وهو موسى ابن الخوري أيوب البشرياني. وأنطونيوس بن سركيس الرز الباناني. وحنا بن عويضا الغزيري. وصافي بن القديسي من شنتغير.

﴿فِيْعَدُ الْغَالِ أَخِيجَان﴾ كان في الأصل يعقوبياً وارتدى إلى طاعة الكنيسة على يد الأب أماتيوس (Aimé Chézaud) اليسوعي وكان عذب اللسان حسن الخطّ السرياني والعربي وعندما قدم إلى جبل لبنان أرسله السيد البطريرك إلى رومية ليثبت في صحة الإيمان. ثبت في المدرسة ستين بمنزلة ناظر على الأولاد ودرس علم النّيّة على يد جرجس الحقلاني الذي كان يترجم له. ولما رجع إلى لبنان سامه البطريرك يوحنا قتيساً. وفي السنة ١٦٥٦ عندما قصد شمعون بطريرك اليعاقبة الدورة على رعاياه ليوفي الدرّاهم التي كان تسلّمها في حلب يكاتق نفصل الملة الفرنسوية وكانت بكثرة، عرض عليه رسامه أخيجان أن يكون مطراناً ومتوكلاً موضعه. وحين أخذ خاطره وخرج في الدورة كاتب القنصل البطريرك يوحنا بسبب رسامته وتتكلّف له بجميع ما يصدر من تحت رأسه من الضرر، فسامه مطراناً على كنيسة السيدة بحلب وشارطه أن لا يتعاطى أمور الموارنة ولا يدخل كنيستهم.

وأمّا القنصل فلشدّة غيرته على انتشار الإيمان، حين توفي البطريرك شمعون سنة ١٦٥٩ تكفل دراهم كثيرة حتّى أبرز له خطأ شريفاً من السلطان محمد أنه يكون بطريراً على الملة السريانية، وما اقتله الشعب إلا بشرط أنه يوفي الديون التي كانت على كنيستهم ويستفك أناثها المرهونة ولا يكلفهم شيء على الخطّ الشريف ولا على خرجيّته. وعندما ملك الكرسي وسمّي إغناطيوس قسّ أخاه روحيجان مطراناً على حلب موضعه وكأنه بدبورنيسيوس فتعب على جماعته تعباً شديداً ورداً منهم كثرين. واحتمل من أخيه أصلان ومن المخالفين مشقّات جزيلة. ثم في السنة ١٦٧٧ انتقل من هذه الحياة الزائلة إلى الراحلة ليقبل مجازة تعبه.

﴿موسى ابن الخوري أتّوب البشّاراني﴾ ولد في حلب وبعدما دخل المدرسة درس سنتين في الفلسفة وستين في علم النّيَّة ثُمَّ عاد إلى قُنُوبين وخدم في الشّماسية للمطران يعقوب الرامي وقبل ما يدخل الرهبة والكهنوّت خطفه الوباء. وكان جزيل الخضوع والطهارة ورُسمت صورته بين الفضلاء الذين ربيوا (ربوا) في المدرسة.

﴿أنطونيوس الرّزّي﴾ بعدما أكمل علوم الفلسفة واللاهوت ترَهَّب في دير قُنُوبين وخدم البطريرك جرجس في الكتابة، وحين توجّه البطريرك المذكور إلى ناحية كسروان جعله وكيلًا بدير الكرسي فسابق عليه الوباء الشديد وخطفه في شهر أيار سنة ١٦٧٠.

﴿حنا بن عويضا الغزيري﴾ بعدما تَمَّ درس العلوم الرياضية والإلهيّة رجع إلى البلاد صحّبة أنطونيوس الرّزّي في ٣ من أيار سنة ١٦٥٨ فتزوج ثُمَّ ارتسم كاهنًا على قرية غزير فخدمها بكل انتباه وغيره. إنّقل لرحمة ربّه في ٢١ شباط سنة ١٧٠٤ بشيخوخة صالحة.

﴿صافي القديسي﴾ درس الفلسفة واللاهوت ورجع صحّبة أرفاقه الذين تقدّم ذكرهم وبعدما تزوج سيم كاهنًا على دلبنا فأرسل وأخذه إلى عجلتون الشيخ أبو نوبل فنصل بيروت ليخدم أهل عجلتون ويكون ترجمانًا بينه وبين الفرنج تجّار بيروت. ثُمَّ انّقل إلى رحمة الخالق سنة ١٦٧٦.

سنة ١٦٤٨ في ١٦ أيار دخل المدرسة ﴿يوسف ابن الخوري طانيوس الباني﴾ وله من العمر ثمانية عشر سنة. وبعدما أكمل العلوم الرياضية والإلهيّة رجع إلى البلاد وثبت فيها ثلث سنين ثُمَّ عاود إلى رومية فأولّقه سادات المجمع ليدرس تلاميذ المجمع المذكور عن الانّتشار (أي مجتمع انتشار الإيمان) في اللغة السريانية. صنّف كتاب علم النّيَّة وكتاب غراماتيق.

سنة ١٦٤٩ سَرَّ البطريرك حنا الصفراوي الخوري ميخائيل صابوتا الحصروني إلى رومية لسبب التّشكيت وأخذ صحبته ﴿يوسف ابن الخوري أتّوب البشّاراني﴾ وهو آخر موسى الذي تقدّم ذكره. استمرَّ قليلاً في المدرسة

وطلع قليل النفع.

سنة ١٦٥٠ القسّ مرهج بن نيرون عند عودته إلى رومية أخذ صحبته للمدرسة أربعة أولاد وهم: توما ابن الخوري برد الحدسيتي. وجبرائيل بن الفتى الحدسيتي. وجرجس زراظط من صيادة. وصادق القديسي من شنتوير.

﴿توما ابن الخوري برد﴾ كان عمره عشرين سنة وبعد درس الفلسفة واللاهوت توجه إلى عند والدته في حمّانا فتزوج ثم سُمِّنَاه كاهناً سنة ١٦٧٢ فخدم حمّانا والإشبارية في جهة المتن. وفي السنة ١٦٩٩ انتقل بالوفاة إلى رحمة ربّه ودُفن في دير مار يوحنا قتاله الذي كان سعى في عمار كنيسته.

﴿جبرائيل بن الفتى﴾ و﴿جرجس زراظط﴾ خرجا من المدرسة قبل أن يتقدما علمهما وطلع نفعهما شحيحاً.

﴿صادق القديسي من شنتوير﴾ درس الفلسفة وعلم النّيَّةَ وعندما رجع إلى بيت أهله ترَهَّب بدير مار شلبيطاً مقبس ثم سيم قسيساً. وبعد وفاة الخوري صافي خدم قرية عجلتون ثم انتقل إلى رحمة خالقه.

سنة ١٦٥٣ سار صحبة رجل كاهن إفرنجي ولدان وهم ميخائيل ولد فرات الحصاراتي ويوسف بن مؤنس من غدراس.

فـ﴿ميخائيل الحصاراتي﴾ كان ابن اثنين عشر سنة لما دخل المدرسة. درس الفلسفة ثم رجع لبلاده صحبة جبرائيل بن الفتى سنة ١٦٦١ في ٢٣ تموز. ترَهَّب في دير سيدة حروقا وسيم كاهناً ثم انتقل إلى العالم الباقي بكل طهارة وخضوع في الوباء سنة ١٦٧٠.

وـ﴿يوسف مؤنس﴾ دخل المدرسة ابن عشر سنين. درس الفلسفة وعلم النّيَّةَ ثم في ١٩ نيسان سنة ١٦٦٥ رجع إلى بلاده وسيم كاهناً على قرية غدراس في الفتور.

في أوّل سنة ١٦٥٥ دخل رومية الخوري يعقوب عوَاد الحصروني قاصد البطرك حتّى وصحبته أربعة أولاد وهم: يوسف شمعون وهو نعمة ابن الخوري

يوسف الحصروني. وجرجس بن إلئا كذلك حصروني. وجرجس التحومي.
ويولس بن العانيده الحدثي.

﴿يوسف بن نعمة الحصروني﴾ كان ابن عشر سنين وبعدما أكمل علوم الفلسفة واللاهوت خرج من المدرسة في ٢١ تشرين الأول سنة ١٦٦٨. خدم في اليازجية (الكتابة) عند البطرك جرجس ثمّ عندنا. وبعدما ارتقى لدرجة الكهنوت سنة ١٦٧٠ في ٢٦ أيلول سفّرناه لروميا إلى البابا قليموس العاشر لأجل العادة وطلب الشيّط. وبعدما قضى مصالحنا عاود بستين سِمناه على سيدة قُثُوبين ثمّ مطراناً على طرابلس سنة ١٦٧٥ في ١٤ تُمُوز بدير مار شلبيطاً. صنّف كتاباً عن علم النّيَّة لتهذيب الكهنة وجاهد كثيراً في زيارة الرعایا في الوعظ وارتشاد الشعب. وتعب قدّاماً في نسخ الكتب التي جمعناها والتي ألقناها بكلّ حرص واجتهاد. ثمّ قضى أجمله بكلّ ثناء في دير قُثُوبين وأوقف له جميع تخلفاته وانتقل إلى شركة الرعاة الصالحين في الحادي عشر من كانون الأوّل سنة ١٦٩٥ دام ذكره مخلداً.

﴿جرجس بن إلئا الحصروني﴾ دخل المدرسة ابن عشر سنين ثمّ درس الفلسفة واللاهوت في سنة ١٦٦٨ في أواخر نيسان ثمّ تزوج في حصرون وسيم عليها وعلى عرقوب الحدث كاهناً سنة ١٦٨٠ في ٨ من أيلول وخدمهم بكلّ انتباه ومات سنة ١٧٠٠ في ٦ كانون الأوّل.

﴿جرجس التحومي﴾ كان عمره إحدى عشرة سنة درس الفلسفة وعلم النّيَّة. وسنة ١٦٦٨ خرج من المدرسة برفقة يوسف مؤنس. تزوج في طرابلس ثمّ سِمناه عليها كاهناً وكانت وفاته بها سنة ١٧٠٠ في أواخر تشرين الأوّل.

﴿يولس العانيده﴾ كان ابن ١٥ سنة وبعدما درس الفلسفة واللاهوت سار إلى حلب. تزوج امرأة مسلمة وأسلم ولكن يقول عنه واحد من اليسوعية إنّه قبل وفاته ندم عَمَّا سلف منه.

سنة ١٦٦٠ سار من حلب **﴿حتا بن نمرون﴾** وله من العمر ١٥ سنة. دخل المدرسة في شهر آب. درس علم النّيَّة وفي السنة ١٦٧٠ في نيسان رجع

صحبة الخوري إلياس عويسا فاصل البطريرك. تزوج في حلب ثم سُمِّناه كاهناً على كنيسة مار الياس سنة ١٦٧٩ في ١٧ تشرين الأول.

بعد ستين قدم من حلب (فرنسيس ولد نمرون) آخر حنا الذي تقدّم ذكره ودخل المدرسة في شهر آب وله من العمر ١٣ سنة وبعد ثلاث سنين أخرجوه لعمارة ذهنه.

سنة ١٦٦٤ خلت مدرسة الطائفية التي كانت في راوناً وضبط المجمع عن الانثار (مجمع انتشار الإيمان) على علاييفها لأنّ نشوءها كان على خرجيّة الكردينال كپوني مطران المدينة وعلى الدرّاهم التي أوقفها القسّ رزق الله (ابن شلق) من حلب من قرية العاقورة ورسم على مدرسة الموارنة أن تزيد ولدَيْن عن جاري عادتها وأنّ خَرْج الولَدَيْن يكون على المجمع على حساب وقفية ابن شلق. ولهذا السبب في أول نisan انتقل من راوناً إلى مدرسة رومية إبراهيم من الكلبييني بقبرس ابن الخوري جرجس الترجي والياس ولد حنا بن مبارك من قرية بطحا.

(إبراهيم القبرسي) كان عمره ٢٨ سنة درس علم النّيَّة وفي السنة ١٦٦٦ رجع لقبرس فسُمِّناه سنة ١٦٦٩ في ٧ أيار قسيساً على كنيسة مار رومانوس وفي الشهر المذكور سنة ١٦٩٣ انتقل لرحمة الله.

(إلياس بن مبارك) كان عمره ١٨ سنة درس علم الفلسفة واللاهوت. وفي السنة ١٦٧١ خرج من المدرسة وسار إلى البندقية حيث كان قاطناً والده وارتسم كاهناً وخدم دير الراهبات في البندقية وهناك انتقل لرحمة ربه.

سنة ١٦٦٨ دخل المدرسة ديونوسيوس ويوحنا ولدا الشّمّاس (إبراهيم الحقلاني) الذي تزوج بروميا قونسطنطنة بنت ميخائيل البانى ورزق منها هذين الولدين.

(فديونسيوس) كان ابن ١٢ سنة درس نصف الفلسفة ثمّ خرج من المدرسة ودخل رهبة شمامسة مار لورنسيوس في السنة ١٦٧٤. ثمّ سُمِّ كاهناً واجتهد على التلمذ (التعليم) وصار له حظّ كبير حتى إنّ ملكة زواتسيه

(Suède) التي كانت قاطنة بروميه طلبت في السنة ١٦٧٨ من البابا زخيا (إينوشنسيوس) الحادي عشر ليكون مقيّداً في مصالحها.

﴿يوحنا﴾ دخل المدرسة مع أخيه وله من العمر عشر سنين وقبل أن يدرس علم الفلسفة خرج صحبة أخيه ودخل معه رهبة شمامسة مار لورنسيوس وقبل أن يكمل التجربة خرج ودخل رهبة أخرى.

سنة ١٦٦٩ أرسل البطريرك جرجس أربعة أولاد صحبة فرا بطرس من رهبان القدس وهم: بطرس التلاوي بن عبدالله من بيت زيت وعمره ١١ سنة. وأنطونيوس الهدناني وهو باخوس بن الشدياق أنطونو أخي المطران بولس وعمره ١٥ سنة. ونعمه بن يمين الهدناني وعمره ١٥ سنة. وعبدالله ولد حقوق البشعلاني وعمره ١٠ سنين.

﴿بطرس التلاوي﴾ تَمَّ علوم الفلسفة وال اللاهوت وتملّفَن ورجع إلى بلاده صحبة المطران بطرس بن مخلوف سنة ١٦٨٢ . قَدْنَا كاتباً وقدمناه لدرجة الكهنوت في ٨ أيلول من السنة المذكورة ثمَّ في السنة ١٦٧٥ أرسلناه إلى حلب ليوعظ في كنيسة مار الياس فجاد في الوعظ وعلم الأولاد وهدى الرعية بكل ثاء وأدخل بينهم عبادة المسبحه الوردية . وفي السنة ١٦٩٨ قدّمه المطران جبرائيل البلوزاني على جميع الكهنة وسامه بردوط .

﴿باخوس الدويهي﴾ أكمل العلوم وتملّفَن صحبة بطرس التلاوي ورجع إلى البلاد صحبة يعقوب بن عواد . وفي حال وصوله سِنَّاه قَسَا على دير رأس النهر في ٢٩ حزيران سنة ١٦٨٢ ولأنَّ عمَّه المطران بولس من جُرْن الدهر كان ساكناً في دير القمر سار إلى عنده وخدم دير القمر ثمَّ إِنَّه رجع إلى إهden وفي حال وصوله مرض وانتقل إلى راحة الصالحين سنة ١٦٨٥ .

﴿نعمه بن يمين﴾ استمرَّ في المدرسة ستين ثمَّ خرج منها وسار إلى حلب وهناك توفي بالسلام .

﴿عبدالله البشعلاني﴾ اعتبره الحال ووجع العينين وبعد ما درس نصف سنة على مشورة الأطباء في أواخر سنة ١٦٧٧ رجع إلى بلاده وأخذ السكنى في

دير مار أنطونيوس قزحيتا وفي السنة ١٦٩٣ مات بتفوى الله.

سنة ١٦٧٠ عندما ارتقينا الكرسي البطريركي وبلئنا أن المدرسة في عازة الأولاد أرسلنا صحبة فرا جوان من يامُّت الذي كان مستحبساً بدير مار أسياس ستة أولاد وهم: يعقوب الحصروني بن الخوري حنا ولد عواد ابن عشر سنين. وجرجس بن سركيس من بيت الهدنانى وعمره عشر سنين. وجرجس بن متاع الحصروني ابن خمسة عشر سنة. وإبراهيم بن خير الله حجوة الغزيري. ويوفى بن إسكندر القرطباني ابن ١٢ سنة. وكان دخولهم المدرسة في أوائل سنة ١٦٧١. وعبدالله بن باسيل البجاني كان ابن ١١ سنة.

﴿يعقوب بن عواد﴾ بعدما درس علم المنطق والنيَّة عاود سنة ١٦٨٢ مع باخوس الهدنانى. وفي السنة ١٦٨٥ في ٩ شباط سِمناه قَسَا على كيسة حصرون وأرسلناه لروميا مع ستة أولاد للمدرسة. وبعد عودته قَلَّدناه عندنا يازجي (كاتباً). في السنة ١٦٩٠ وبعد ثلاث سنين سِمناه بردوط. ثمَّ في السنة ١٦٩٦ في ٩ تمُّوز رفعناه إلى مطرانية طرابلس فجاهد قداماً جهاد الأبطال في اليازجية ونسخ الكتب وفي ارتداد الرعية التي تسلّمها بالوعظ والهدى^(٣).

﴿جرجس بن عيد﴾ بعدما أكملا سائر العلوم وعمل مجادلة لا هوية على اسم البابا زخيا العاشر خرج من المدرسة في آخر شهر آذار سنة ١٦٨٣ وفي السنة التي بعدها سِمناه كاهناً في ٧ تشرين الثاني على سيدة الحرارة السفلية ياهدن. زار المواقع المقدّسة واجتهد على درس كتب البيعة وتلمذ الأولاد واعتنى على الوعظ حتى إله صار عبرة صالحة يهتدى بوعظه الشرق والغرب. وفي ٢٧ آب سنة ١٦٩٠ رفعناه إلى مطرانية إاهدن بدل ابن عمتنا المطران بولس المرحوم وصرفناه في زيارة الرعايا ليجذبهم في فعل البر. عمر أقبية ومساكن داخل قلعة زغرتا لسكنة الرهبان وعلم الأولاد^(٤).

(٣) هو الذي صار بعد ذلك بطريركاً على طائفته سنة ١٧٠٥ وتوفي في ٩ شباط ١٧٣٣.

(٤) يُعرف أيضًا بجرجس بن氨基. تزال عن الأسرقة ودخل بعد ذلك في الرهبانية اليسوعية في روميا في ٤ كانون الأول سنة ١٧١٤ واشتهر فيها بتفواه وغيرها. توفي سنة ١٧٥٥.

﴿ Georges ben Manâع الحصروني ﴾ من الحال الذي وقع فيه درس علم الية ورجع صحبة عبدالله البشعلاني ثم سار إلى كسروان وارتسم كاهناً ثم في السنة ١٦٩٨ انتقل إلى رحمة الباري بدير مار يوحنا رشمنا بكل عبادة.

﴿ Ibrahim al-Gazirî ﴾ أكمل علم الفلسفة واللاهوت وسنة ١٦٨٤ في نيسان خرج من المدرسة وسار إلى رشمنا واجتهد في عمار دير مار يوحنا الذي أنشأه أبو صابر فترهب فيه. وفي السنة ١٦٨٥ سيم كاهناً وترأس عليه. ثم سنة ١٦٩٦ أرسلناه لروميا فاعتنى مع القسّ ميخائيل المطوشي في تأليف أحرف الطبع وطبعوا في جبل فيسكنون الشيشة والخدمة ومزامير الصلاة ورجمع للبلاد في السنة ١٧٠٠ فأخذه الخوري بطرس التلواوي صحبته إلى حلب.

﴿ Youssef al-Qarabawi ﴾ بعدما أكمل علوم الفلسفة واللاهوت عاود صحبة جرجس بن عبيد وسنة ١٦٨٧ في أواخر حزيران سِمناه كاهناً على سيدة قُوبيين وقلدناه في الكتابة عندنا. كان طبعه لِتَنَا طائعاً. وفي ٢٠ من أيار سنة ١٦٩٤ انتقل بقُوبيين إلى راحة الأبرار بكل ثناء وبضريبة الرباء.

﴿ Abdallah ben Basile al-Baqani ﴾ أكمل علوم الفلسفة واللاهوت بكل اجتهاد وخرج برفقة إبراهيم الغزيري. ترّج في بيت شباب وسيم عليها كاهناً سنة ١٦٨٥ واعتنى على خلاصهم في الوعظ وعلم الأولاد وتجديد كنيستهم^(٥).

سنة ١٦٧١ سَفَرْنا ولدنا القسّ يوسف الحصروني بسبب التشيت وأرسلنا صحبته ولدَيْن على خرجيَّة ابن شَلَق وهم بطرس بن القسّ سليمان بن مبارك من بطحا. وصافي بن بولس القديسي من شنتعيير. فبطرس بعد درس العلوم الطبيعية والإلهيَّة رجع صحبة قاصدنا القسّ يعقوب الحصروني وفي سنة ١٦٨١ في ٢٩ حزيران سِمناه قسًا على سيدة قُوبيين. خدم قرية غوسطا بكل انتباه. ثم في السنة ١٦٩١ أرسلنا معه تلاميذ رومية فتعلّق به أمير فلورنسا وأخذ خاطر البابا والمجمع أن يكون ناظراً على مخازن الكتب. وفي السنة

(٥) صار بعد ذلك أستقنا على طرابلس سنة ١٧١٠ وحضر المجمع اللبناني وتوفي في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٧٣٦.

١٧٠٠ عين له علوقة وأوقفه في مدينة بيضا (Pise) لعلم اللغات الشرقية^(٦).

«صافي القديسي» تعلم ورجع صحبة بطرس بن مبارك واعتنى أيضًا على علم الأسطرلاب. وفي وصوله لبين جماعته سار إلى بعقلين واجتهد على علم الأولاد ولكن حكمته حمئ شديدة وفي أربعة أيام نقلته إلى الحياة الباقية بحزن كل من كان يعرفه وكانت وفاته في شهر أيلول سنة ١٦٨٨.

سنة ١٦٧٦ رحل من قبرس صحبة فرا توماس من رهبان القدس أنطونيوس بن حنا نكي من ساماتوس وأخوه فيليبي وبعد مدة أشهر استقبلوهم في المدرسة.

«أنطونيوس بن نكي» بعد ست سنين دخل هو وأخوه شركة اليسوعية. فالاول بعد التجربة واكتساب العلوم أرسلوه إلى دير عين طورا في كسروان وسنة ١٦٩٨ رسموه كاهنًا وصار نسمة صالحة في السك والخضوع^(٧). وأخوه فيليبي انتقل إلى رحمة الله في رومية.

سنة ١٦٧٩ رحل صحبة رهبان الكرمل على شور الباروك «الياس بن جبرائيل البشرياني» القاطن في عكا وكان عمره ١٣ سنة. وبعدما استمر في المدرسة سنتين ونصف اعتراه المرض ووجع العينين وعلى مشورة الأطباء رجع لبلاده صحبة يعقوب الحصروني وباخوس الديويهي. ثم سنة ١٦٩٣ في ٢٦ تموز سمناه كاهنًا ليخدم جماعتنا في عكا وجيرتها.

سنة ١٦٨٠ في شهر أيلول دخل رومية المطران بطرس بن مخلوف وأخذ صحبته ثلاثة أولاد هم: تلميذه مخائيل القبرسي من مطوشة. وميخائيل بن نعمة الهدنانى من بيت أمية. وتوما القديسي ولد موسى الحصرونى وعمر ثلاثتهم ١٣ سنة. فصدق أنهم وقعوا بيد المغاربة وأخذوهم إلى طرابلس الغرب فألهם الله ليونز السمين من مدينة متينا الذي كان مستأسراً هناك حتى

(٦) ثم دخل بعد ذلك في الرهبانية اليسوعية ونشر مع الساعنة أعمال مار إفرايم وتوفي في رومية سنة ١٧٤٢.

(٧) الأب أنطون نكي صار بعد ذلك رئيساً على الرسالة اليسوعية في سوريا وتوفي في آب من السنة ١٧٤٦.

استفأكم لأنّه كان متوجّلاً في خزّن الأسرى وتتكلّف نحو ثلاثة أكياس دراهم إلى استفكاكم وكسوتهم وكراء دربهم وزواجتهم ولكن كافية البابا إينوشنيوس مكافأة فضله.

﴿مخائيل المطوشي﴾ بعدما أكمل علم الفلسفة واللاهوت عاود سنة ١٦٩٣ في حزيران. وثاني سنة في عشرة من نisan سِمناه قسّا على الكفرات. ثمّ سنة ١٦٩٦ أنفذناه إلى رومية صحبة القسّ إلياس بن جرجس الهدناني وكان إرسالهم صحبة الخوري إبراهيم الغزيري ولكن ما وصل إلى قبرس إلاّ كان سافر الخوري إبراهيم ومعه سبعة أولاد. ثمّ القسّ ميخائيل أخذ أربعة آخر ثمّ اجتمعوا كلّهم في رومية وولّفوا أحرف الطبع وساروا إلى جبل فيسكنون وطبعوا هناك بعض كتب تحت كف الكردينال.

﴿مخائيل بن نعمة الهدناني﴾ درس ستين الفلسفة. وفي تاسع سنة من دخوله رجع إلى بلاده وتزوج بطرابلس وسِمناه عليها قسّا فخدمها خدمة الراعي الصالح. ثمّ في السنة ١٦٩٨ قضى أجله.

﴿توما القدسي﴾ عندما استأسروا رفقاء في طرابلس الغرب أخذوه إلى القلعة ويدلّوا مجھودهم ليسّموه في عشق النساء وفي عقاب النار فما استطاعوا أن يغيّروا ثباته. ثمّ بشفاعة والدة الخلاص وبمعونة مختصة من لدن الباري استفأكم من القلعة ليوزدو المتقدّم ذكره المتتكلّف تدبير تلاميذ المدرسة. وفي ٩ آذار سنة ١٦٩١ دخل رومية ودرس علم الفلسفة والبنية. وفي السنة العاشرة خرج منها ورجع إلى القدس فتزوج وسِمناه قسّا على مغاراة الصليب في ٢٨ آذار سنة ١٧٠٠.

سنة ١٦٨٢ في شهر حزيران رحل من قبرس صحبة رهبان القدس ﴿إسطفان بن حتّى تكّي﴾ وهو أخو أنطون وفيليبي من ساماتوس اعتراه وجع العينين وبعد علم المنطق وعلم البنية رجع صحبة مخائيل المطوشي وتزوج في قبرس.

وفيها في شهر حزيران رحل من حلب ﴿أندراوس بن داود البشّريّ﴾

استمرَّ في المدرسة سنةً ونصف ورجع صحبة القسِّ يوسف العتاري ثُمَّ تزوج في القدس الشريف وفي السنة ١٧٠١ قُتل وهو داخل القدس في متجره.

سنة ١٦٨٤ دخل المدرسة **(برتلاماوس بن جرجي القبرسي)** ثُبت سنةً ونصف وخرج. وكان أبوه (جرجي) ربي سابقًا في المدرسة ثُمَّ سار إلى راونَا وتزوج هناك.

وفي السنة ١٦٨٥ انتهت المائة عام منذ انتقال التلاميذ من (المسكن المسمى) ناوفيتوس إلى مدرسة الطائفة. ولهذا السبب في عيد مار يوحنا الإنجيلي الذي هو شفيع المدرسة ويصير عيده في ثاني يوم بعد ميلاد الرب فخمسة أيام قبل السنة المذكورة صمدوا هيكله في الشماعدين والقناديل من فضة وفي أيقونات القديسين وثياب الكمخ. ثُمَّ إنَّ حضرة الكردنسال فرنسيس نرلي كفيل الملَّة المارونية ومدرستها، لشدة كرمه وجبه لتقيمان (القيام) ناموسها، رسم أن يتجمَّل محفل هذا العيد وأنَّ قاعة المدرسة تكون موشحة بثياب كمخ الحرير المذهب وأن تترخف على حيطانها صور التلاميذ الذين تهذبوا بها في العلوم ثُمَّ جملوها بفعل الفضائل وبرئاسة الكنيسة ليتم بهذا إرشاد غيرهم. وكان جملتهم أربعة وعشرين منهم ثلاثة بطاركة على كرسي أسطاكية أعني العبد الحقير في الرؤساء (إسطفانوس الديوبهي). وجرجس بن عميرة. وأندراوس عبد الغال السرياني. ثُمَّ اثنى عشر مطراناً وهم: سركيس الرزَّى من بقوفا. وموسى العنisi من العاقورة. وحنا الدومينيكانى من حصرتون. وحنا من بيت صندوق من حصرتون. ويسحاق من قرية شدرا. ومخائيل بن شمعون من حصرتون. وسركيس الجمرى من إهدن. وبطرس بن مخلوف من غوسطا. ولوقا القبرسي من قريصا. وبطرس بن أمية من إهدن. ويوسف نعمة من حصرتون. ومخائيل بن الصهيوني من إهدن. وهذا عرض جرجس الكرمسيّانى لأنَّ جرجس الكرمسيّانى الذي صنَّف اللكسيون (القاموس السريانى) كان خوري وليس مطراناً وجرجس المطران الكرمسيّانى ما دخل رومية. والتسعه الذين تشرَّفوا في الفضيلة والهدى هم: إبراهيم بن جرجس البشَّانى (من الرهبنة اليسوعية) الذي استشهد، والخوري حنا بن

عواد الحصروني والقسن بطرس المطوشي من شركة اليسوعية. والقسن نصر الله بن شلق العاقوري. والقسن جبرائيل الصهيوني. والمعلم إبراهيم الحقلاوي. والقسن سمعان بن هارون التولاني. والخوري مخائيل صابونا الحصروني. والشدياق فيلبوس موسى البشرياني.

وتلاميذ المدرسة فسروا على المنبر بلغات مختلفة أولاً مناقب البابا إينوشنيوس الحادي عشر الذي استفilk المطران بطرس والأولاد الذين كانوا صحبته من يسر (أسر) المغاربة. والبابا غريغوريوس الثالث عشر الذي أنشأ المدرسة. ثم مدحوا الكردينال نرلي وكيل المدرسة الذي بكرمه جمل محفلها والكردينال أنطون كرافا الذي تعب بنشوتها ثم أوقف لها جميع متخلّفاته. ثم شرحوا عن فضائل التلاميذ الأربع والعشرين الذين تقدّم ذكرهم وعن تعليم وجهادهم في انتشار الأمانة المقدّسة. وكان هذا المحفل شريفاً إلى الغاية حضره خمس كردينالية وأساقفة ومطارنة وعلماء المدارس وشعب لا يُحصى حتى إنَّ الكردينال نرلي لزيادة فضله طبع كتاباً جميلاً على هذا المحفل ينشد فيه صحة ديانة الملة المارونية واتحادها مع الكنيسة الرومانية منذ نشوئها ثم يمدح فيها فضائل البار يوحنا الثاولوغوس شفيع المدرسة ثم مناقب الباباوات والكردينالية المتفضلين عليها ثم مدح وصور التلاميذ الذين تقدّم ذكرهم ويشهد فيه أنَّه اقتصر عن نشيد التلاميذ الآخرين لثلاً يقلن مسامع السامعين بالطولة.

وفي السنة ١٦٨٥ في ٢٢ أيار دخل رومية القسن يعقوب الحصروني وصحبته ستة أولاد وهم: رزق الله ولد ابن أخيها الخوري مخائيل الدويهي وعمره ١٥ سنة. والياس ابن الخوري يعقوب الحصروني وعمره ١٣ سنة ونصف. وسمعان بن سعادة الفغالي. وحنا ابن أبو فرات الحدشيتي. وفرح بن جرجس عويضاً الغزرياني (الغزيري). وجرجس بن إبراهيم الغاوي الهدناني.

و﴿رزق الله الدويهي﴾ عمل مجادلة كلَّ الفلسفة. وفي دخول السنة الرابعة من الlahort أرسلوه لعندها رؤساء المدرسة لنسمع لهم بإرسال أولاد جدد

وفي وصوله لقبرس وجد الأولاد متجهزين ثمّ وصل لعندنا وفي آذار سِمنَاه قسًا على دير رأس النهر.

«إلياس الحصروني» تَمَلَّفَ في علوم الفلسفة واللاهوت وفي السنة ١٦٩٠ رجع وقيعدناه عندنا يازجي وسِمنَاه كاهنًا في ٢٨ تمُوز على كنيسة مار لا با بحصرون ثمّ في سنة ١٦٩٢ قَدَّمناه إلى البردوطية وسفرناه لروميا في ٢٤ آذار.

«سعان الفغالي» عمل مجادلة الفلسفة وبعد كمال اللاهوت ثبت أربع سنين لتعليم الأولاد المتجددين. وفي السنة ١٧٠٠ في تشرين الأول خرج من المدرسة، قَدَّمناه يازجي وسِمنَاه قسًا في ٢٤ من أيلول سنة ١٧٠٢ ...

(إلى هنا انتهى ما بقي من تاريخ تلامذة رومية للدوبيهي أعني إلى السنة ١٦٨٥ قبل وفاته بست عشرة سنة. وفق الله أحد قرائنا على اكتشاف ما فقد منه وجاري الله مؤلفه عن أتعابه ملء جزائه).

حلول الرهبانية اليسوعية في سوريا

في السنة ١٦٢٥ تَحَقَّقت نوعاً رغبة الطيب الذكر جرجس عميرة في كتابه إلى رئيس الرهبانية اليسوعية العام إذ كان أستقنا على إهدن وكان طلب إليه أن يُرسل بعضاً من رهبانه ليقيموا بين الموارنة على صورة ثابتة بعد القصادة الموقعة التي عُهدت إلى الآبوبين إيليانو ودنديني.

فإنَّ ملك فرنسة لويس الثالث عشر، لحسن الصلات التي كانت بينه وبين ملوك آل عثمان، كان نال من الباب العالي بعض الامتيازات لدولته في الآستانة وفي أساكيل الشام وبعض حواضرها كحلب ودمشق. لكنه رأى أن تلك الامتيازات تكون أعمّ خيراً وأفضل جدواً لنصارى الشرق لو منحت لمرسلين فرنسيين يستطيعون الممالك العثمانية ويسعون في خدمة الطرافف الشرقيَّة. ففَاتَّحَ في ذلك الكرسي الرسولي وكان الجالس حيثُنَّ على عرش الخلافة البطرسية البابا أوربانيوس الثامن. وبعد النظر في الأمر ومراجعة

مجمع انتشار الإيمان صدرت أوامر قداسته لثلث رهبانيات فرنسوسية أعني بهم الكرمليين والكتوشين واليسوعيين بأن يقصدوا أنحاء الشام ليشرروا بالإيمان.

١ - اليسوعيون والموارنة في حلب

وكان اليسوعيون أول من سبق إلى تلية هذه الأوامر فأرسل منهماثنان وهم الأبوان غسپار مانيليه وجان ستيلًا فأبحرا إلى سوريا في حزيران من السنة ١٦٢٥ ووصلوا إلى الإسكندرية في أواسط تموز وإذا عرفا أنَّ مدينة حلب من أكبر حواضر الشام وفيها من النصارى وتجار الفرنج أكثر من سواها مع قلة المرسلين فيها لمساعدة النفوس حيث لم يكن فيها غير الآباء الفرنسيسكان الإيطاليين، قصداً تلك المدينة وعزمَا على استطيانها وعلى خدمة أهلها الروحية تحت حماية قنصلها الفرنسي بيير دوليفيه فكان دخولهما إليها في أوائل شهر آب من السنة.

وهنا حدث ولا حرج بما نال الأبوين اليسوعيين من المحن والمعاكسات وضروب الاضطهادات التي تعاورتهم كالسهام الراشقة من قبيل قناصل الدول الأجنبية والمتمنين إليها. وأقفلت في وجههم كنائس الشهباء إلا كنيسة القديس إلياس للموارنة فأمكنتهم أن يقدموا فيها الذبيحة المقدسة ويجدوا عند أبناء طائفتها بعض التعزية في بلايام.

وفي رسائل المرسلين وتقارير السفراء والقنصل أنَّ الموارنة كانوا إذ ذاك في حلب أقلَّ الطوائف عدًّا وأنَّ كنيستهم كانت معبداً صغيراً بل حجرة مجاورة لكنيسة الأرمن لا تسع أكثر من أربعين إلى خمسين شخصاً. ولم يكن حينئذ مقيماً بينهم أسقف يرعاهم وإنما يقوم في خدمتهم وكيل أسقفية مع بعض الكهنة البسطاء.

وكان في نية الأبوين المرسلين أن يصبروا على بلاياماً لولا أنَّ أعداءهما سعوا عند الوالي العثماني قره قاش محمد باشا وأفتعوه بنيهما من حلب بل من أنحاء الشام فلم يستطعوا إلا الرضوخ للقوة القاهرة.

وقد فضل حضرة الأب تورنيريز اليسوعي تفاصيل أخبارهما في المشرق (١٩١٢ - ٦٤٣) فوصف سفرهما بحراً إلى مالطة ثمَّ إلى الآستانة حيث توقفاً بعد مدةً إلى نزال فرمان شاهاني يسمح لهما في السكنى بحلب فرجعاً إليها في أوائل السنة ١٦٢٧ وانتصراً بفضل المشير خليل باشا على كلِّ أعدائهما فاطمئنا بالآ وتفرغنا لأعمالهما الرسولية.

ونقتصر هنا وفقاً لغرضنا على ذكر ما أتياه من الخدم لطائفة الموارنة وحدها وقد باشراً أولاً بالعمل مع الفرنج ريثما يصحُّ لهما التعليم والتثمير باللغة العربية التي انكجاً على درسها.

وازد تمكناً من التكلُّم بها أخذنا يشرحان التعليم المسيحي للصغرى في الكنيسة المارونية وسعياً بإنشاء أخوية لأبناء الطائفة. إلاً أنَّهما وُجداً في حالة من الفقر المدقع لانقطاع كلِّ الحسنات عنهما تأثَّرت منه صحتهما، فأرسل سنة ١٦٢٨ الأب مانيليه رفيقه الأب جان ستيلًا إلى فرنسة ليلفت نظر الرؤساء والمحسنين إلى تلك الرسالة الجديدة المهمَّلة. فوافق وصوله إليها إذ كان الطاعون فاشياً في جهاتها فطلب من الرؤساء أن يخدم المطعونين وما لبث أن مات في أفينيون شهيد محبَّته نحو القريب في ١٨ ك^١ ١٦٢٩.

أما الأب مانيليه فتأذى كثيراً لبعد رفيقه وأصبح في حالةٍ من الضيق والعوز يُرثى لها فتَّ في عضده ومنعه من خدمته النقوس إلى أن بلغ أمره مسامع الأب جيروم كويرو (P. J. Queyrot) الذي كان قضى سنين عديدة في رسالة استنبول ثمَّ في إزمير بصفة رئيس ديرها فقام من ساعته وأتى إلى الشهباء لمساعدة الأب مانيليه. وكان الأب كويرو جاماً لكلِّ صفات المرسل النشيط من تفَّى عميق وعلم واسع ونشاط في العمل وحسن تدبير للأمور وهو يتكلَّم بكلِّ لغات الشرق. فانتعش الأب مانيليه لمجيئه وأخذ كلامهما في فلاحة كرم الربَّ بغيرِه لم تعرف الملل. وكان الأب كويرو يعرف شيئاً من الطبِّ فشاع صيته والتجأ إليه كثيرون من المرضى فشفاهم.

ولمَّا كانت السنة ١٦٣٠ فشا طاعون جارف في حلب أودى بحياة ألفٍ

مؤلفة من أهلها. فكان الأbowان ليلاً مع نهار يتجوّلأن في بيوت المصابين ليؤديا لهم ما استطاعا من الخدم الروحية والجسدية. فكان متأثراً بهذا مؤثراً في قلوب الجميع حتى المعادين لهما. ومذ ذاك الحين تيّسرت لهما الأمور وجعلها ينقطعان إلى أعمال دعوتهما دون مانع، ففتحا مدرسة للصغار وأنشأا الأب كوير وأخوية للرجال في كنيسة الموارنة وألّف كتبًا عديدة روحية وعلمية فبقي في حلب كمروفوس أو رئيس إلى أواخر السنة ١٦٤٣ ، فطلبـه البطريرك أفيتشيوس الصافرلي ليرافقـه إلى دمشق ليـخدم فيها طائفة الروم وكان في حلب قد شـارـكـ رـئـيـهـ بـآـلامـهـ إـذـ تحـامـلـ عـمـالـ الـأـتـراكـ عـلـىـ الرـهـبـانـ فأـلـقـيـ الأـبـ كـويـرـ وـفيـ حـبـسـ مـظـلـمـ مـقـيـداـ بـالـأـغـلـالـ وـبـقـيـ هـنـاكـ مـدـدـةـ إـلـىـ أنـ فـدـاهـ أـحـدـ التـجـارـ الفـرنـسـوـيـنـ بـمـبلغـ مـالـ.

وقدم إلى حلب في العقد الرابع من القرن السابع عشر بعض المرسلين ذوي الفضل والفضيلة ممن بقيت آثارهم إلى عهـدـناـ هـذـاـ . منهم الأـبـ جـانـ أمـيوـ (J. Amieu)ـ الذي وصل إلى حلب سنة ١٦٣٥ـ واشتهر فيها بـتـعـلـيمـ الأـحـدـاثـ الـمـوـارـنـةـ وـإـعـدـادـ بـعـضـهـمـ لـلـمـدـرـسـةـ الـرـوـمـانـيـةـ وـكـانـ يـعـظـ فيـ كـنـيـسـهـمـ . وكان منبر الوعظ قريباً من شـبـاكـ يـطلـ علىـ سـاحـةـ كـنـيـسـيـ الأـرـمـنـ وـالـرـوـمـ فـكـانـ هـؤـلـاءـ يـتـزـاحـمـونـ لـاسـتـمـاعـ وـعـظـهـ وإـرـشـادـهـ فـرـدـ مـنـهـمـ كـثـيرـينـ إـلـىـ الإـيمـانـ القـوـيـ . وقد اشتهر هذا الأـبـ بـخـدـمـةـ الـمـرـضـيـ وـالـمـطـعـونـيـنـ قـبـلـ أـنـ يـتـنـقـلـ إـلـىـ سـواـحـلـ الشـامـ سـنـةـ ١٦٥٠ـ وـيـنـشـيـ دـيرـ طـرابـلسـ .

ومنهم الأـبـ حـبـيبـ شـيزـوـ (Aimé Chézaud)ـ الذي أدار أخوية الموارنة في حـلـبـ وـغـنـيـ بـتـهـذـيـبـهـ وـإـرـشـادـهـ . إـلـاـ أـنـ تـقـرـيـهـ إـلـىـ الـأـرـمـنـ جـذـبـ إـلـيـهـ مـحـبـةـ أـهـلـ تـلـكـ الطـائـفـةـ وـأـسـاقـفـتهاـ فـانـقـطـعـ إـلـيـهـمـ وـسـافـرـ إـلـىـ أـصـفـهـانـ لـيـنـشـيـ هـنـاكـ رسـالـةـ لـخـدـمـهـمـ وـتـوـقـيـ هـنـاكـ سـنـةـ ١٦٦٤ـ ، وـكـانـ هـوـ أـيـضاـ قـاسـيـ أـوـجـاعـاـ كـثـيرـةـ مـنـ قـبـلـ الـأـتـراكـ فـيـ الشـهـباءـ وـأـلـقـيـ فـيـ حـبـسـ مـُـتـنـ لـادـعـاهـمـ بـأـنـهـ فـعـ مـعـبـداـ للـصـلاـةـ دـوـنـ فـرـمـانـ الدـوـلـةـ وـكـانـواـ وـجـدوـهـ يـصـلـيـ فـيـ غـرـفـةـ صـغـيرـةـ . وـكـانـ هـذـاـ الأـبـ بـارـعاـ بـالـطـبـ يـعـالـجـ الـمـرـضـيـ .

وـفـيـ العـقـدـ الـخـامـسـ مـنـ ذـلـكـ الـقـرـنـ أـرـسـلـ إـلـىـ حـلـبـ يـسـوعـيـانـ آـخـرـانـ مـثـلـ

السابقين فضلاً وبرارةً أحدهما الأب غليوم غوده (Guil. Godet) دخل حلب سنة ١٦٤٢ فعطرها برائحة قداسته مدة ثمانى سنين وخدم بغيرة متقدة كلّ الطوائف الشرقية ومات تكفيراً عن ذنب أحد الرهبان الذي جحد النصرانية. ومن خدمه للموارنة إنشاؤه أخوئه لشبانهم سنة موته ١٦٥٠. والآخر الأب فنسوا ريجوردي (Fr. Rigordi) الذي قدم حلب سنة ١٦٤٣ ولم يُظل فيها الإقامة وسندكره في جملة مرسلي دمشق وصيادة.

واشتهر في حلب في العقد السادس من القرن السابع عشر الأب فنسوا ريفو (Fr. Rigault) الذي جاء إلى حلب سنة ١٦٥٠ مع الأب أدريان بارفيلى (Adr. Parvilliers) وانصبَ كلاهما على أعمال الرسالة بين الموارنة وبقية الطوائف. وقد ضرب المثل بغيرة الأب ريفو وصبره على الضرب والإهانات التي نالته من قبل المسلمين في حلب. أما الأب أدريان فإنه حاز له اسمًا طيباً بكتاباته.

وفي هذا العقد عينه سنة ١٦٥٣ قدم إلى حلب الأب نقولا پواريسون (N. Poirresson) وتولى رئاسة ديرها وخدم الطوائف الشرقية مدة ٢٤ سنة مارس فيها أسمى الفضائل.

وأوسع منهم شهرة الأب يوسف بسون (J. Besson) مؤلف كتاب سوريا والأراضي المقدسة (*La Syrie et la Terre Sainte*) وفي كتابه معلومات شئ عن الموارنة وصفاتهم الدينية وأحوالهم المختلفة وقد طبع هذا الأثر الجليل باللغة الإيطالية أولاً ثم في أصله الفرنساوي في باريس سنة ١٨٦٢.

ومع أنَّ اليسوعيين شملوا بعاليتهم جميع الطوائف في حلب إلا أنَّهم كانوا يخصُّون بهمَّتهم طائفة الموارنة إذ وجدوهم كلَّهم كاثوليكًا بسطاء القلب يقبلون تعاليم مرشدיהם برغبة فيسقط البذار الجيد في تربة صالحة. وكانوا مع بساطتهم فقراء يستحقُّون تطريب السيد للقراء بالروح. أما عددهم فكان أولاً قليلاً ثمَّ ازداد حتى بلغ بمهاجرة اللبنانيين إلى حلب نحو مئتي عائلة و٤٠٠٠ نفس منهم يرثرون بالصناعات. وكان كهتمهم غالباً من لبنان قليلي العلم

مرتبطين بالزواجه فيسرُون بمساعدة المرسلين لا سيما أنَّ الفقر كان يعرض أبناء ملتهم لأخطار عديدة، فإنَّ أصحاب الأديان المختلفة كانوا يطمعونهم بالمال ليجذبواهم إلى مذهبهم. فانكبَ المرسلون اليسوعيون على تدبير هذا القطيع الصغير فرعوه بكلِّ حرص ولم يألوا جهداً في تأصيل الإيمان في ذوره وأنعشوا فيه روح التقى والإقبال على الأسرار. فكان الموارنة يسيرون الجميع في ممارسة الفضائل المسيحية واستماع الإرشادات والمواعظ ومباسرة العبادات الكنيسية والانصواء إلى الأخويات الروحية.

وفي أواسط القرن السابع عشر أخذ البطاركة يرسلون إلى حلب أسفاقه يقيمون فيها ويرعون أبناءها. وقد ذكر منهم الأب يوسف بوازو في إحدى رسائله المطران جبرائيل وهو جبرائيل بن يوحنا البلوزاني الذي سقَه على حلب البطريرك جرجس السبعلي سنة ١٦٦٣ فدبرَها إلى السنة ١٧٠٤ ثمَّ خلف العلامة الدويهي في البطريركية الإنطاكيَّة. قال الأب بوازو ما تعرببه في كتابه إلى سفير الدولة الفرنسوية في الأستانة^(١):

إنَّ الموارنة يمتازون بين كلِّ نصارى الشرق بخضوعهم للكنيسة الرومانية واعتصامهم بها. وبما أنَّهم جميعاً كاثوليك يقبلون منا كلَّ ما نقوله لهم لنكشف عنهم ذلك الجهل العميق الذي أتقنهم فيه الدولة العثمانية. بطريركهم مُقيم في قُوبين ولهم هنا (في حلب) رئيس أساقفة متقدَّم الغيرة لخلاص شعبه وهو يلتزم حماية فخامتك ويطلب بفتوذ عزتك أن تثال له الرخصة لترسيخ كنيسته بهدم حائط يفصل الكنيسة عن بيت أحد أبناء ملته فيمكن نساء الطائفة أن يحضرن منه الرتب الكنائسية فلا يختلطن، كما يُقضى عليهنَّ بذلك حاضراً، برجال من طوائف غربية. وسيفضل لفخامتك الأمر اثنان من مرسلينا بكتابتهما وهما الأبران بنيه (Benier) ودبشان. فإنْ توقَّن الأمر على موجب رغبة الأسقف حظيتم ببركة جميع الكاثوليك وشكراً لهم المخلَّد.

وكان بطاركة الطائفة المارونية يياركون مسامعي المرسلين ويطرئون أعمالهم الخيرية. كيف لا وكان منهم بطريركان جليلان جرجس عميرة (١٦٣٣-١٦٤٤) ويوسف بن حلبي العاقوري (١٦٤٨-١٦٤٤) تخرجاً في

(١) راجع كتاب الآثار للمرحوم الأب أنطون رياط RABBATH: *Documents II*, 94-95.

مدرسة رومية المارونية تحت إدارة الآباء اليسوعيين. ولما رفع بعض ذوي الغايات شكاوى عليهما إلى البطريرك يوسف لم يلبث أن وقف على ثُمَّهم أصحابها وزادت روابط الحب بين المرسلين والطائفة الحلبيَّة توئُّلاً، لا سيَّما بعد أن قدم إلى حلب بعض المرسلين المخلصين الحب للموارنة كالأب ميشال نو (Michel Nau) والأب إغناطيوس رينه كليسون (R. Clisson) والأب يوسف بوازو (J. Boisot) والأب ميشال ديشان (M. Deschamps) الذي استند وسعه لبيان من الباب العالي بواسطة السفير الفرنسي فرمانًا لتجديد كنيسة الموارنة وتوسيعها كما رأيت^(٢).

وقد ساعد المرسلين في إدراك غاياتهم المبرورة بعض من قناصل فرنسة الذين جاروهم غيرَة في نشر الدين وخدمة الكاثوليك ولا سيَّما الموارنة، شخص منهم بالذكر أنج دي بونان (Ange de Bonin 1639-1642) وفرنسوا پيكه (Fr. Baron 1661-1667) والمركيز فرنسو بارون (Fr. Picquet, 1652-1661) والفارس لوران دُرفيو (Chevalier L. d'Arvieux 1681-1695) فإنَّهم دافعوا عن حقوق الكاثوليك دفاع الأبطال ونجَّوهم من عدَّة مصادرات وإهانات.

٢ - اليسوعيون والموارنة في دمشق

رسالة دمشق هي الثانية من رسالات اليسوعيين في سوريا بعد حلب. فُتحت سنة ١٦٤٣ لما تعين بطريركًا على طائفة الروم الملكيَّين مطران حلب ملاتيوس الصاقلي الذي دُعي بأفتيروس عند ترقية السدَّة البطريركية، وكان المطران المذكور مشغوفًا بحبِّ جيروم كويرو اليسوعي المرسل في حلب فطلب إليه أن يرافقه إلى دمشق ليكون كاتب أسراره فيها ومهبَّاً لبناء طائفته. فأجاد إلى متمنيه وسكن في دمشق في الدار البطريركية وأخذ يعلم اللغة اليونانية أحداث الروم ويشرح للإكليلوس أعمال الآباء اليونان كيوحنا فم الذهب ويوحنا الدمشقي فأصاب شهرةً واسعة لكثرة آثار حسد البعض. ولما

(٢) راجع كتاب الآثار السابق ذكره (٢: ٦٥ و ١٠٠).

بارح السيد البطريرك دمشق بعد تسعه أشهر اضطرَّ الأب يسوعي أن يخرج أيضاً من المدينة.

لكتئَ بعد أن تغيب مدة عاد إليها مع أحد الإخوة المساعدين فسكن بيته مأجوراً وعاد إلى أعماله الرسولية التي أكبَّتْ صيَّاً عظيماً لدى نصارى الشام. وإذا حدثت في تلك الأثناء حرب الدولة العثمانية مع البندقية وألقى الأجانب في الحبس، وكان من جملتهم الأخ يسوعي المدعو غليوم بتشجن، لم يجرِ الأتراك على توقيف رئيسه الأب كوير و لما شاع في البلد من سرقة فضلَه وقداسته.

وكان في دمشق رجل إيطالي يُعرف بميشال كوندوليو في خدمة الدولة العثمانية وهو رئيس الطوبجيَّة، فهذا عُشيقُ الأب يسوعي ودافع عنه بشهادة لدى أولي الأمر وأدَّى له ولإخواته خدمَّاً مشكورةً أخْصَّها أنه اقتنَى للمرسلين ملكاً اتَّخذوه متزلاً لجماعتهم ومركزاً لأعمالهم الرسولية فجعلوه تحت حماية القديس بولس الرسول. وترقَّت المدرسة التي فتحها الأب كوير و حتى زاد تلامذتها على المائة. وبلغ عدد المتخرَّجين فيها بعد عشر سنين ما ينيف على الألف. ومن ذاك الزمان خصوصاً تألفت في دمشق الطائفة الرومية الكاثوليكية.

كانت وفاة الأب كوير سنة ١٦٥٣ فبكاه النصارى على اختلاف طوائفهم ودفنه بكل إكرام كأعز ساداتهم. وسار اليسوعيون على مثاله في خدمة الدمشقيَّن في طول ذلك الجيل السابع عشر اشتهر بينهم الآباء بارفيليه (Parvilliers) وريشليوس (Richelius) ورستو (Restou) وكليسون (R. Clisson) وميشال نو (M. Nau) ولكلِّهم مآثر طيبة شهد لها كتابات ذلك الزمان.

وقد ترقَّت مدرستهم في الفيحاء حتى ضاق المكان عنهم واضطُرَّ المرسلون إلى نقلها إلى معاهد أوسع. وكانوا يقومون في المدينة بسائر الأعمال التقوية من وعظ وإرشاد وتعليم وتاليف كتب. وكانوا إذا سمح لهم

الوقت يتجوّلون في القرى المجاورة إلى المعرّة وصيّدنايا حيث أرشدوا راهباتها.

وكان أكثر شغلهم مع الروم وهم العدد الأوّل من نصارى دمشق يبلغون إذ ذاك ٧٠٠٠ نفس. وكانت كنيستهم صغيرة حقيقة وكهنتهم مقتربة يتجاوز عددهم بضع المئات. وكانت كنيستهم بأمر بيتهما وكان أساقفthem يسكنون لبنان يشغلهم البعد عن العناية بطائفتهم. فكان اليسوعيون يتولّون تدبيرهم وتهذيب أولادهم ويردّون عنهم دسائس أعدائهم. على أنّ واحداً من ملّتّهم المدعى قرقماز مرق من دينه فأسلم وهيئ عليهم الشعب فنهبوا وأعملوا النار في كنيستهم. فكان الآباء يعزّونهم في بلايام ويسعون في تجديد كنيستهم.

٣ - الموارنة واليسوعيون في رسالة صيداء

رسالة صيداء أُنشئت سنة ١٦٤٤ أي سنة واحدة بعد رسالة دمشق. وكان سببها أنّ الطاعون فشا في دمشق فتولّى خدمة المطعونين الأب فرنسيس ريفريدي اليسوعي غير هياب من فتك الوباء فشكّر العلوم على تفانيه. ولما أخذ الوباء ينتشر في صيداء كتبت الجالية الفرنساوية المتاجرة هناك بأن يُرسل إليهم الأب المذكور ليقوم بخدمتهم كما فعل في دمشق وكان الكتاب ممضى بختم رئيس الرهبان الفرنسيسيّين هناك الأب كروسه. فلَبِّيَ الأب ريفريدي دعوة الصيداويّين وأفرغ المجهود في إسعافهم وألقى عليهم عطاء الصوم فأقبلوا عليها بمزيد الشكر حتى إنّهم بعد بطلان الطاعون طلبوا إليه أن يسكن بينهم ويخدمهم في أمورهم الروحية، وصدق رئيس الفرنسيسيّين على ملتمسهم فرضيّ الأب ريفريدي وبعد مراجعة رؤسائه أتى إلى صيداء مع راهبين آخرين فسكنوا في بعض معاهد الخان الفرنسي التي عيّنها لهم القنصل والتّجّار الفرنسيّون. تلك كانت مبادئ رسالتهم في صيداء التي جعلوها تحت حماية القديس إغناطيوس.

ما عَئِم اليسوعيون حتى أنشأوا في صيداء عدّة مشروعات روحية منها في

خدمة الفرنسيين ومنها لصالح الوطنيين، فأقاموا للفرنسيين أخوية على اسم العذراء البريئة من الخطية الأصلية أتت بأثمار عجيبة فانتظم فيها قناصلهم وأعيانهم فأصبحوا قدوة لكل أهل صيادة، وكانوا يرشدون القادمين إلى المدينة على مراكب دولتهم ويتقددون أسرى الحرب. وكانوا يلقون المواعظ في كنستي الموارنة والروم وبهتمون بارشاد فرائهم وتهذيب ناشئهم. ولما عهد الرؤساء إلى الأب ريفزدي السفر إلى العجم لينشئ هناك في أصحابه رسالة لرهبانيته قام بخدمة الصيادوين بعده آباء ذوق غيرة وصلاح جروا على آثاره وسعوا بترقية أعماله وإنماها، فاشتهر بينهم الآباء جان أميو (J. Amieu) وجلبرت (Gilbert) وريغنو (Rigault) وبوارسون (Poiresson) وجان فرسو (J. Verseau) وكلهم من مرسلين القرن السابع عشر أصبحت صيادة بهمّتهم ويحلول التجار الفرنج فيها من المدن الراقية.

وكان الآباء يتقددون على القرى اللاحقة بصيادة لا سيما المارونية فيرشدون أهلها ويعلمون فيها التعليم المسيحي. وكانوا في زمن الصوم الكبير يقصدون عكّا ويتولّون فيها أعمال التبشير. وكذلك كانوا يفعلون في بيروت قبل أن يتبرّع عليهم الشيخ أبو نوفل الخازن بدار يسكنونها كلّما دعّتهم إليها أعمال الرسالة. وكانوا يرشدون الشعب في كنيسة الموارنة المبنية على اسم القديس جرجس وعلى بابها دُفن رئيس رسالتهم الأب جان أميو في ٦ تشرين الثاني سنة ١٦٥٣ ، وكان قصد بيروت بعد أن تجوّل في أنحاء الجبل للتبشير وتوزيع الأسرار إذ أصيب بحمى خبيثة كانت القاضية على حياته فمات ميتة الأبرار في دير الآباء الكبوشيين^(٢).

٤ - الموارنة ورسالة اليسوعيين في طرابلس

هو الأب جاك أميو السابق ذكره الذي تولّى إنشاء رسالة رهبانيته في طرابلس. وكان أرسل قبله الأب ريفزدي ليراقب أحوال المدينة ويعدّ منزلًا

(٢) أطلب آثار الصراطية في المشرق للمرحوم الأب رياط (١: ٤٢٢-٤٣١).

للمرسلين سنة ١٦٤٥ . فبعد عودته سافر هو إليها بحرًا وكان وصوله إليها في زمن مشؤوم إذ أتت أوامر من السلطان لنشوب الحرب بين الدولة العلية والبنادقة أن يصادروا كلّ الأجانب ويقتيدوهم بالأغلال ، فقبض العمال على الأب أميو وحبسوه في سجن مظلم كابد فيه ضروب العذاب مدة ثلاثة أسابيع ثمّ أطلق سراحه ، ووجد في المدينة داراً ذات ثلاث غرف اقتناتها للرسالة اليسوعية واتّخذ لها محاميّ القديس يوحنا الحبيب لدخوله المدينة يوم عيده في ٦ أيار . وكان نصارى طرابلس إذ ذاك لا يتجاوزون الألف ٧٠٠ منهم روم و ٣٠٠ موازنة .

وما لبثت رسالة طرابلس أن أصبحت يانعة الشمار وفيها كان يُقيم غالباً رئيس الرسالة في الشام لوقوعها في وسط أنحاء البلاد . وكان أول ما وجّهوا إليه نظرهم لمساعدة النصارى أن يفتحوا مدرسة للأحداث تراحمت فيها ناشئة البلدة وجارت مدرستهم في دمشق بنجاحها . وكانوا إذا وجدوا بين تلامذتهم الموارنة أولاداً نجاء أتقياء يعذّونهم لمدرستهم المارونية في رومية فيرسلون لهم إليها ليتخرّجوا فيها بالأداب الكنهوتية ويساعدوا طائفتهم بعد أن تفّهوا فيها وأتقنوا علومها .

ثمّ أقبل الآباء في طرابلس على تهذيب الإكليلوس وإرشاد الكهنة بإيعاز السادة الأساقفة . فكانوا حيناً يجمعونهم لرياضات سنوية وحيثما يعرضون عليهم المشاكل اللاهوتية فيحلّونها أمامهم وتارةً يصلحون ما يرون من الخلل في إتمامهم الفروض الطقسية وتوزيع الأسرار .

ومن أشغال اليسوعيين في طرابلس عيادتهم للمرضى . وكان بينهم ولا سيّما من الإخوة المساعدين من يتقن الطبابة ويعحسن معالجة الأعلاء . فكانوا يؤذون للأهلين على اختلاف طوائفهم وأديانهم خدمةً جليلة لوجه الله لا يقبلون عليها أجراً ما . وكانت عنایتهم هذه بالمرضى تتضاعف في أيام الأوينة فكانوا يقضون ليهم مع نهارهم في علاج المطعونين وقد مات غير واحد منهم شهيد محبّته .

ثم إنَّ اليسوعيين اتَّخذوا مدينة طرابلس كمركز خاص لسياحاتهم الرسولية في شمالي لبنان وفي سواحل البحر من بيروت جنوباً إلى اللاذقية وطرطوس شمالاً. فكانوا يتَّقدُّلُون الجبل خصوصاً في أيام الصوم وبعدون الموارنة هناك لعيد الفصح المبارك لا سيما في القرى المأهولة كإاهدن وزغرتا وبشري أي وحصرون. ويسعون طاقة جهدهم في إصلاح الأعداء وتأليف القلوب وإزالة أسباب الشحناه والبغض. قد اشتهر بذلك الأب أميو منشى تلَك الرسالة ثم الأب فرنساو لمبار (Fr. Lambert) وبولس غوده (P. Godet) وبنولا بزير (N. Bazire) وغيرهم. وقد أدَّت بهم غيرتهم إلى أن طافوا أنحاء عَكَار ودخلوا جبال النصيريَّة وتقدَّدوا مَن كان فيها من النصارى.

٥ - الموارنة ورسالة اليسوعيين في كسروان

إنَّ المركز الخامس الذي حلَّه اليسوعيون في القرن السابع عشر في الشام كان في كسروان في قلب التراحي التي كان الموارنة استوطنوها منذ عهد الأمراء بني عَسَاف. فهناك كان الشيُوخ الخوازنة والجيشيُّون بسطوا سلطتهم على أملاك واسعة أكسبتهم غنى ونفوذاً بين مواطنיהם لا سيما الخوازنة الذين عُهدت إلى شيخهم أبي نوبل نادر قتصليَّة فرنسة.

فأبُو نوبل هذا كان المختار من الله لدعوة اليسوعيين إلى كسروان وذلك أنَّ الأب اليسوعي فرنساو لمبار الذي كان انضمَّ إلى الرهبانية اليسوعية بعد سنتين قضاها مع مواطنيه في التجارة في مدينة صيدا وأسفارٍ طويلة تجسَّمها إلى العجم والهند ونجا فيها مراراً من القرصان والفرق والموت، كان طلب من الرؤساء أن يعود إلى سوريا ليخدم أهلها مع المرسلين، فركب سفينَة تنقله إلى صيدا لكنَّ أنواعَ شديدة دفعت السفينة إلى جهات جونية فغرقت ونجا الأب فأخبر أهلها الشيخ أبي نوبل بالغريق فرَّحَ به إذ علم أنه راهب يسوعي ودعاه إلى سكنى كسروان وأعطى الرهبانية اليسوعية أرضاً في جوار عين طوراً يبنون فيها ديراً لرسالتهم وكان ذلك في السنة ١٦٥٣. فعَيَّنَ الرؤساء الأب لمبار كرئيس أول لهذه الرسالة الجديدة التي عُرفت برسالة القديس

يوسف فخدمها خدمة أنشط الرسل وأقدس أولياء الله ثم دُعي إلى طرابلس وفيها توفي في ١٢ تشرين الأول سنة ١٦٥٩.

إلا أنَّ رسالة عين طورا لم تزل في رقى متواصل لما كان المرسلون يصادفونه في تلك الجهات من إقبال الشعب على رياضاتهم وتعاليمهم ومواعظهم وذلك قبل أن تنشأ فيها المدرسة المعدة لتهذيب المرشحين للكهنوت عند الموارنة. وقد اشتهر في رسالة عين طورا عدَّة آباء أخصُّهم الأب نقولا بَزير المذكور والأب برنار كودار (B. Coudert) والأب جاك دي لا توباري (J. de la Thuillerie) والأب جان فرسو (J. Verseau) فكانوا يصرفون قسماً كبيراً من السنة يتقدّلُون من قرية إلى أخرى وكانوا إذا وصلوا إلى قرية دخلوها والصلب يتقدّمهم والأجراس تُقرع والشعب يتربّأ بالتسابيح فيدخلون الكنيسة بكلَّ أبهة ثم يدعون الأهلين باسم غبطة البطريرك وال السادسة الأساقفة إلى حضور الرياضات المختصة بكلَّ طبقة من طبقات الجمهور. فكانوا لا يخرجون من القرية إلا بعد أن يتلاطفوا كلَّ أمورها ويصلحوا ما طرأ على أهلها من الخلل في إتمام واجباتهم الدينية والأدبية والأهلية لاختلاطهم بالأمم الغربية.

وعلى هذا المنوال بلغ المرسلون إلى أعلى لبنان حتى بسكتا وانتقلوا إلى جبل الشيخ وقرابها المارونية. ودخلوا أيضاً أديرة الرهبان وشرحوا لهم قوانين دعوتهم وحرَّضوهم على بلوغ الكمال الرهباني.

وكان في الوقت ذاته قد رجع إلى لبنان كثير من تلامذتهم المتخرّجين في رومية تحت نظارتهم في المدرسة المارونية فخذلوا حذوهم في أعمالهم الرسوليَّة كما رأيت من الأثر الذي نشرناه قبل هذا للطِّبِّ الذكر البطريرك الدويهي.

ومما ساعد المرسلين اليسوعيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر على حسن خدمتهم للطائفة المارونية ولتهذيب ناشتها وإصلاح ما طرأ عليها من غبار الدهر وشوائب العصر وكوارث الزمان، التأليف التي وضعوها أو عرَّبواها لإنارة عقول المؤمنين وتأصيل العبادة في قلوبهم. وقد عرف ذلك

الأب إيليانو سفير الحبر الأعظم إلى الموارنة ورسولهم الغيور وقد عدّنا ما نقله إلى العربية من التأليف المفيدة ليوّزعها عليهم.

ولمّا دخل اليسوعيون بصفة ثابتة كمرسلين إلى بلاد الشام رأوا في أهل حلب رغبةً في مثل هذه المصنفات الدينية النظرية والعملية فأجابوا إلى شوقهم وسبقوا منذ أواسط القرن السابع عشر تلك النهضة الأدبية التي حصلت بين نصارى الشهباء بهمة جبرائيل فرحت و McKrabbie الكسيح ونقولا الصائغ كما يبيّن ذلك في المشرق (٩ [١٩٠٦]: ٦٦٩ و ٦٩١) وكان المُجلّي في هذا السباق الشريف الأب إيمه شيزو (P. Aimé Chézaud) المعروف في حلب بالأب حبيب اليسوعي المتوفّى سنة ١٦٦٤ ، فإنّ كاتب ترجمته يزعم أنّه ألف أو عَرَبَ نحو ٤٠٠ كتاب منها دينية ومنها تعليمية أو لغوّية ذهب الزمان بمعظمها . وقد اشتهر بالتأليف إخوته المرسلون الأب جان أميو (+١٦٥٣) والأب ميخائيل نو (M. Nau) (+١٦٨٣) والأب يوسف بوازو (+١٦٨٧) والأب رينيه كليسون (+١٦٩٢) وكلّهم تأليف شئ ذكرناها في مقالاتنا الموسومة بـ المخطوطات العربية لكتبة النصرانية .

وتقدّمّ آثارهم تلامذتهم المتخرّجون في مدرسة الموارنة في رومية كالبطريك جرجس عميرة والمطارنة سركيس الرزّي وإسحاق الشدراوي وسركيس الجمرّي ويوحنا الحصروني وبطرس بن مخلوف والكهنة ميخائيل الحصروني وبطرس المطوشة اليسوعي وجبرائيل الصهيوني ومنصور شلق والشمامس إبراهيم الحاقداني ولا سيّما البطريك العظيم إسطفانوس الدوبيهي والكافن الشهير بطرس التولوي في أواخر القرن السابع عشر .

وإذ وصلنا إلى حدود القرن السابع عشر أنجزنا ما توخيانا بيانه من أحوال الطائفة المارونية وما أتاه اليسوعيون خدمةً لأهلها في القرنين السادس عشر والسابع عشر . وقد يقى علينا أن نذكر الصلات التي جرت بينهما في القرن الثامن عشر إلى زمن إلغاء الرهبانية اليسوعية نوجّل ذلك إلى فرصة أخرى إن شاء الله .

(تمَّ)

فهرس الأعلام

اليسوعية) ، ١٠ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٦ ،
٨٥ ، ١٨

أفتيميوس الصاقلي (البطريرك
الأنطاكي) ، ١٥٨ ، ١٦١

إقليميس (الخوري الأهدنى) ، ١٩ ،
٥٥ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٤٠ ، ٤١

إقليميس التاسع (البابا) ١٣٧

إقليميس الثامن (البابا) ، ١٠٣ ، ١٠٤
١٢٢ ، ١٢٠ ، ١٠٥

إقليميس العاشر (البابا) ١٤٦

أكواقيثا (الأب كلوديوس رئيس
الرهبانية اليسوعية) ، ٧٣ ، ٧٦

، ٨٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢
١٢٨ ، ١١٣ ، ١٢٣ ، ١٠٧

ألدوبرنديني (الكرديناł محامي
الموارنة) ، ١٠٥ ، ١١٨

أسيط المورّخ ١٤

إلياس بن الحاج يوحنا (القسن) ١٢٠

إلياس عريضا (الخوري) ١٤٧

إلياس الغزيري (راهب دير مار شلبيطا)
١٢٩ ، ١٢٨

إلياس كركوسي ١٧

١

آريوس ٧٥

إبراهيم بن سركيس (الكافن الناصح)

٦٢

إبراهيم بن سمعان (الشمام الأدنتي)

٨٩ ، ٨٦

إبراهيم القس ١١٥

ابن جاموس (مفتى طرابلس) ١٢١

ابن عسّال القبطي ٦٢

أبو نوقل الخازن (فصل بيروت)

١٢٣ ، ١٤٤ ، ١٦٤ ، ١٦٦

أبوجي (الأب لويس اليسوعي) ٧

أبيلا (ليونزدو أسقف صيداء) ٨١

الأدريسي (الشريف) ١٢٥

إرميا (البطريرك الماروني العمشي)

٥٤ ، ٨

إسكندر الرابع (البابا) ٩ ، ١١١

إسماعيل شاه (ملك العجم) ٢١

أصلان (أخو البطريرك أندرادوس

أخيجان) ١٤٣

إغناطيوس دي لويولا (منشى الرهبانية

- إيمريك (القاصد الرسولي) ٣٨
- إينوكنت (إينوشنسيوس زخيا الرابع) ٩
- إينوكنت الثالث (البابا زخيا) ٩، ٢٤
- إينوكنت ١١١، ٥٤، ٣٨
- إينوكنت الحادي عشر ١٤٨، ١٥٤
- إينوكنت العاشر ١٤٩، ١٤٢
- ب**
- بارفيليه (الأب أدريان المرسل اليسوعي) ١٥٩، ١٦٢
- بارون (المركيز فنسوا قنصل فرنسة في حلب) ١٦١
- پاليوتى (الكرديتال محامي الموارنة) ١٠٣، ١٠٥، ١٠٨، ١١٨
- پريبيان البيانى اليسوعي ١٨
- برناردينو (الأخ اليسوعي) ٥١، ٥٢
- برونا (الأب فابيوس اليسوعي) ١٠٥، ١٢٨
- برونو (الأب جوان باطشنا أو يوحنا) ٤٣، ٤٥، ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥٢-٥٠
- برونو (الأب جوان باطشنا أو يوحنا) ٧٢، ٦٩، ٦٨، ٦٤، ٥٩، ٥٨
- برونو (الأب جوان باطشنا أو يوحنا) ٧٣، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٨٢، ٨٦
- برونو (الأب جوان باطشنا أو يوحنا) ٩١، ٩٥-٩٥، ٩٨-٩٥، ١٠٠، ١٢٧
- بزير (الأب نقولا المرسل اليسوعي) ١٦٦، ١٦٧
- بئشون (الأب يوسف) ١٥٩
- بطرس بن حسان (البطيريك) ١٠
- بطرس القصار ٢٦
- إيلاس اللاوي (العالم اليهودي) ١٣، ١٤
- إيلانو (الأب يوحنا أو جوان باطشنا اليسوعي) ٢١-١٣، ٢٣، ٢٤، ٤٥-٤٧، ٤٧-٤٨، ٥١-٤٧
- أماتو (الأخ اليسوعي ماريو) ٢٠، ٢٧
- أماتوس (الأب حبيب شيزو اليسوعي) ١٤٣، ١٥٨، ١٦٨
- أميو (الأب جان المرسل اليسوعي) ١٥٨، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦
- أنج دي بونان (قنصل فرنسة في حلب) ١٦١
- أنجلو ستلاً (رئيس الآباء الفرنسيسين في القدس) ٧٣
- أنطون لونغوس الفرنسيسي اليسوعي (رئيس المدرسة المارونية) ١٢٨
- أنيبال كاناليوس (الأب اليسوعي) ١٢٨
- أوجانيوس الرابع (البابا) ١٠، ٢٤
- أوريانيوس الثامن (البابا) ٩٥، ١٢٢
- أوريانيوس الثامن (البابا) ١٢٣، ١٢٤
- إيرونيموس فوروفانتوس (رئيس المدرسة المارونية) ١٢٨، ١٠٠

ج

- جاك دي لا توباري (اليسوعي) ١٦٧
 جبرائيل السابع (بطريرك الأقباط) ١٧
 جبرائيل القلاعى ١٢٨
 جرجس البسلوقىتى (الأسقف المارونى) ١٩-٢١، ٢٤، ٤٠، ٧٤، ٥٥، ٤٩
 جرجس بن مارون (القىن الأهدنى) ١٢٢، ١٢٠
 جرجس بن يونان (الخورى من إيليج) ٣٠، ١١٧
 جرجس السبعلانى البطريرك ١٣٧، ١٤٠-١٤٢، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٨، ١٦٠
 جرجس القىن ٩٩
 چلبرت (الأب المُرسىل اليسوعي) ١٦٤
 جوان باطشنا (أطلب إلينو)
 جوان باطشنا برونا (أطلب برونو)
 جيرولامو دافوساتو (رئيس القدس) ٨٣

ح

- حقوق ١٠٠
 حقوق البشعلانى ١٤٨
 حبيش (أبو منصور يوسف) ٤٠، ٢٣، ٤٨، ٧٨، ٥٨، ٤٩
 حبيش (أبو يونس سليمان) ٤٩

- بلرمينوس (الكرديتال روبرتوس الطوباوي اليسوعي) ١٢٤، ١٨
 البلوزانى (جبرائيل مطران الموارنة في حلب) ١٤٨، ١٦٠
 بنېه (الأب المُرسىل اليسوعي) ١٦٠
 بوارشون (الأب المُرسىل اليسوعي) ١٥٩، ١٦٤
 پوازو (الأب المُرسىل اليسوعي) ١٦٨، ١٦١، ١٦٠
 پوستيل (الطباخ غليوم الفرنسي) ١٩
 بولس بن موسى الدويهي (المطران) ١٤٨، ١٤٩
 بولس الثالث (البابا) ١١
 بولس الثاني (البابا) ١٠
 بولس الخامس (البابا) ١٢٠، ١١٦، ١٢١، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨
 پيار دوليشيه (قنصل فرنسة في حلب) ١٥٦
 بيكات أو بيكه (فرنسوا قنصل فرنسة في حلب) ١٤١، ١٤٣، ١٦١
 بيوس الخامس (البابا القديس) ١٨، ١٩، ٨٤، ٨٣

ت

- تاسيوس أمبروسيوس ٨٣
 توما دي نوڤاره أوبيشيني (الأب) ١٢٦
 توما راجيو اليسوعي ١٨، ٢٣، ٢٠، ٤٣، ٢٨-٢٦
 توما الكفرطابي ٦٢

حرفوش (الخوري إبراهيم) ٢٨

خ

الخازن (سركيس الشدياق) ٢٣

د

داود شاه (بطريرك العاقدة) ٨١

داود المطران (وكيل دير قرحتا) ٥٧

الدبس (المطران يوسف) ١٢٧

درقيو (الفارس لوران قنصل فرنسة في
حلب) ١٦١

دنديني (إيرونيموس الأب اليسوعي)
، ١٠٤-١١٣، ١١٥-١١٨، ١٢٠

١٢٤، ١٥٥

الدهان (من أعيان الروم في بيروت)
٤٩

الدوبيهي (السيد إسطفانوس البطريرك)
، ٩، ٢١، ٢٩، ٣٥، ٣٤، ٣٠

٦٨، ٥٨، ٥٦، ٤٥، ٤٥

٩٠، ٨٧، ٨٤، ٨٣، ٨٦، ٨٤

٧٨، ١٠١، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٥

، ١١٢، ١٢٢، ١٢١، ١١٥، ١١٥

، ١٢٨، ١٣٨-١٣١، ١٢٩، ١٢٨

١٦٨، ١٥٥، ١٦٧، ١٦٠، ١٥٣

ديشان (الأب ميشال المُرسل
اليسوعي) ١٦١، ١٦٠

ديونيسيوس روحجان (مطران السريان
على حلب) ١٤٣

رباط (الأب أنطون اليسوعي) ٧
، ١٧، ٤٧، ٤٦، ٢٨، ٢٠، ٥٥

١٦٤، ١١٢، ١٢٧، ١١٩

الرزّي (البطريرك ميخائيل) ١٩، ٢٣

، ٤١، ٣٠، ٣٦-٣٢، ٣٨

، ٥٨، ٥٧، ٥٥، ٥٠، ٤٩

، ٦٠، ٦٢، ٦٤، ٦٩-٦٧

، ٧١، ٧٤، ٨٣، ٨٥، ١٠٤

، ١١٢، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٠

الرزّي (البطريرك يوسف) ٧٧، ١٠٥

، ١١٣، ١١٥، ١١٦، ١١٨

، ١٢٩، ١٢٢-١٢٠

الرزّي (المطران سركيس من كفرحورا) ٣٠، ٣٤

، ٥٤، ٥٠، ٥٨، ٥٧، ٥٥

، ٧١، ٦٩، ٦٨، ٥٨، ٥٧

، ٧٨، ٧٩، ٨٧، ٨٥، ٨٥، ٩٧

، ١٠٠، ٩٧، ٨٧، ٨٥، ٨٥، ٧٩

، ١١٥-١١٢، ١٠٩-١٠٣

، ١٠١، ١٢٩، ١٢٩، ١٢٠

رسو (الأب المُرسل اليسوعي) ١٦٢

رافائيل المصوّر الشهير ٩١

روسي (الكونت) ١٢

ريشار سيمون ١٣، ١١٨

ريشليوس (الأب المُرسل اليسوعي)

١٦٢

ريغو (الأب فنسوا المُرسل اليسوعي)

١٦٤، ١٥٩

ريغوردي (الأب فنسوا المُرسل

اليسوعي) ١٥٩، ١٦٣، ١٦٤

ز

زخيا البابا (أطلب إينوكت)

س

سابا الخوري الماروني ٢٨

سافاري دي براف ١٢٤، ١٢٥

سان سفرينيو (الكردينال، و تعاليمه
لأب إيلانو) ٤٦، ٧٦-٧٤

٨٢-٧٩

ستيلاً (الأب جان المُرسل اليسوعي
في حلب) ١٥٦، ١٥٧

سركيس الرزي (أطلب الرزي)

سركيس القس ٩٩

سكاليجر ١٣

سكنطوس الخامس (البابا) ٨٢،
٩٩، ٩٠

سكنطوس الرابع (البابا) ١٠

سكيبني المؤرخ اليسوعي ٤٥،
٢٧، ١٢٠، ٥٣

سلمون (الطيب الأشkenازى) ١٤

سليم الأول السلطان (فتح الشام)
٢١، ٢٢سليم الثاني سلطان الأتراك (فتح
قبرص) ٢١

ستاكروس (الكردينال) ٨٣

سوريانو الأب فرنسيس (رئيس
الأراضي المقدسة) ٨٣

ش

شارون (الأب كيرلس) ٣٤

شibli (مطران بطرس) ١٢٩

الشرتوني (رشيد) ٢٦، ١١٧

شمعون (البطريك العقوبي) ١٤٣

شمعون بن حتان الحدي (البطريك)

٨٣، ١١، ١٠

شيزو (أطلب أماتوس)

ط

طوليت (الكردينال اليسوعي

اللاهوتي) ١٨

ع

عازر الشدياق القبرسي ٣٤، ٦٦

٦٧، ٦٤

عبد الله الخوري (المطران النائب

البطركي) ١٢٩

عساف (الأمير محمد) ٢٢، ٤٨

عساف (الأمير منصور) ٢٣، ٤٠

٥٨، ٤٩، ٤٨

علي باشا ٤٩

العنيسي (القس طوبيا) ٩، ٢٤، ٧٩

١٠٧، ١٢٣

غ

- فرا غريفون من بيامنت ٩
 فرسو (الأب جان المُرسل اليسوعي) ١٦٤ ، ١٦٧
 فرنسيسكو (فنصل البدقية في طرابلس) ٩٩
 فرنسوا دي شسطوبل (الحبيس الفرنسي في لبنان) ١١٩
 فرنسيس توريانو (الأب اليسوعي) ٤٥
 فرنسيس دي بورجيا (القديس اليسوعي) ١٨
 فرنسيس فيتشيوس (رئيس القدس) ٨٣
 فرنسيس كسافاريوس ١٢
 فروزيوس (أندراوس الأب اليسوعي) ١٥ ، ١٦
 فولناري ٣٨
 فيتوريو إيليانو أخو جوان باطشنا ١٥ ، ١٧
- غريغوريوس الثالث عشر (البابا) ١٠ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٥٤ ، ٥٠ ، ٤٤-٤٢ ، ٣٨ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٧٩-٧٧ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٩٠-٨٨ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١١١ ، ١٥٤
 غسبار مانيليه (المُرسل اليسوعي في حلب) ١٥٦ ، ١٥٧
 غليلموس الصوري ٣٨
 غليوم بنجن (الأخ اليسوعي) ١٦٢
 غنطوس ١٠٠
 غوده (الأب غليوم المُرسل اليسوعي) ١٦٦ ، ١٥٩
 غيسلاري (ميشال اليهودي المتنصر) ١٨

ق

- قرقماز (الأمير ابن فخر الدين) ٢٢
 قرقماز الماروني ١٦٣
 قره قاش (محمد باشا والي حلب) ١٥٦

ك

- كالسطوس الثالث (البابا) ١٠
 كانيزيوس (الطوباوي بطرس اليسوعي) ٥١ ، ٣٢ ، ٤٤
 كبني (الكردينال) ١٤٧ ، ١٤١

ف

- فابيوس (الأب اليسوعي) أطلب برونا ٤٤
 فارون (سبستيان) ٤٤
 فخر الدين المعنى الأول ٢٢
 فخر الدين المعنى الثاني الكبير ٢٢ ، ١٠٩

- لalon العاشر (البابا) ، ١٩ ، ٢٤ ، ١٠ ،
١١١ ، ٨٣
- لِيسما (الأب اليسوعي) ٢٢
- لَمبار (الأب فرنساو المُرْسِل اليسوعي
في كرسوان) ١٦٦
- لوتكا (غريغوريوس) ٤٤
- لويس (قنصل البندقية في قبرص سنة
٤٧ (١٥٨٠)
- لويس الثالث عشر (ملك فرنسة)
١٥٥ ، ١٢٧
- لويس الغرناطي ٤٥
- لويس غتزاغا (القديس اليسوعي) ١١٩
- ليپومانو (أسقف البندقية) ١٦
- لِينس (الأب جاك رئيس اليسوعيين
العام) ١٨
- ليوناردو لونغو (أو السمين) ١٥١ ،
١٥٢
-
- م
-
- مارون بن إسطفان المطوشي ٨٥
٨٩ ، ٨٦
- ماريانى (بولس) (قنصل فرنسة في
طرابلس) ٨٢
- ماريتى (الأب حنا أنطون اليسوعي)
١٢٦ ، ١٢٧
- ماريو (الأخ اليسوعي) ٨٢ ، ٧٨ ، ٧٦
- مرتين (الأب بطرس اليسوعي) ٧ ،
١١٢

- كراقا (الكرديتال أنطون محامي
الموارنة) ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ،
٢٤ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٦-٣٤ ، ٤٣ ،
٤٥ ، ٤٦ ، ٥١-٤٨ ، ٥٤ ، ٥٧ ،
٦٦ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ٥٩
-٨٩ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٢ ، ٧٩
، ٩٢ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،
١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٣
- كريستوفر رودريغوس (الأب اليسوعي)
٧٦ ، ١٧
- كروسه (الأب الراهب الفرنسيسي) ١٦٣
- كلافيوس الفلكي (اليسوعي) ١٨
- كلوديوس أكراقيا (الأب) ١٢٨
- كليسون (الأب رينه المُرْسِل اليسوعي)
١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٨
- الكمخي من علماء اليهود ١٣
- كودار (الأب برنار المُرْسِل اليسوعي)
١٦٧
- كورتي (الأب جوان باطشتا اليسوعي)
١٣٨
- كونلنجل (الأب) ٧٧
- كوندوليو (ميشار رئيس الطوبجية في
دمشق) ١٦٢
- كويرو (الأب جيرروم اليسوعي)
(المُرْسِل في حلب ودمشق)
١٥٧ ، ١٦١ ، ١٥٨

ل

لامنس (الأب هنري) ١٢ ، ٢٣

ن

- اليسوعيين العام) ١٨ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٣ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣
مسعد (البطيريك بولس) ١٣٨ ، ٢١
مسعد (الخوري عبدالله) ١٣٨
مصطفى باشا (فاتح قبرس) ٢١
مغري (الأب عبد الأحد اليسوعي) ١٢٢
مدونات (العلامة اليسوعي) ١٨
موسى بن سعاده العكاري (البطيريك) ١٠ ، ١١ ، ٢٣ ، ٧٣
موسى بن ميخائيل الدويهي ١٤١
ميخائيل السابع (بطيريك الروم) ٧٤ ، ٧٥
ميخائيل غبريل (الخوري) ١٠٧

ي

- يعقوب بن سركيس (الراهب الحرديني) ٨٩ ، ٨٦
يعقوب الحاقداني (الأسقف) ٥٧
يعقوب الحدثي (البطيريك) ١٠

- يعقوب الرامي (المطران) ١٤٤
يعقوب العاقوري (المطران) ٥٥
يعقوب القس ١١٥
يعقوب كمبيوناس (الأب اليسوعي)
(رئيس المدرسة المارونية في
رومية) ١٢٨
يعقوبي (الأسقف في قُوبين) ٥٦
ياواكيم الخامس (بطيريك الروم) ٧٤ ،
٧٥
يوحنا الأهدناني (المطران) ٥٥
يوحنا بن أيوب (الخوري
الحصروني) ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٧ ،
٩٩ ، ١٠٠
يوحنا بن مخلوف (البطيريك
الماروني) ١٢٣-١٢٠ ، ١٢٦ ،
١٢٨
يوحنا الجاجي (البطيريك) ١٠ ، ٢٣
يوحنا الحصروني (المطران) ٥٥
يوحنا الصفراوي (البطيريك) ١٢٨ ،
١٢٣ ، ١٤١ ، ١٤٣-١٤٥
يوسف (الخوري معلم السريانية في
رومية) ٨٣
يوسف (مطران قبرس الماروني) ٥٥
يوسف بن علوان (الأسقف) ٥٧
يوسف حلبي (البطيريك) ١٢٨ ،
١٢١ ، ١٢٣
يوسف خاطر (شمامس) ١٠٩
يوسف العاقوري (البطيريك) ١٣٢ ،
١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٤٣
يوسف الكاهن ٩٩

يوليوس الثالث (البابا) ١٢

يونان بن علوان (الجبيس المطران) | يونان الكاهن

٥٧

فهرس تلامذة مدرسة الموارنة في رومية في القرنين السادس عشر والسابع عشر

<p>إليا الكسرواني ١٣٦</p> <p>إلياس بن جرائيل البشرياني ١٥١</p> <p>إلياس بن مبارك البطحاوي ١٤٧</p> <p>إلياس بن يعقوب الخوري الحصروني ١٥٠ ، ١٤٩ ، ١٥٤</p> <p>أندراوس بن داود البشرياني ١٥٢</p> <p>أندراوس عبد الغال أخيجان الحلبي (بطريك السريان) ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤</p> <p>أنطانيوس بن حتنا نكّي ١٥١ ، ١٥٢</p> <p>أنطانيوس الهدناني (باخوس ابن الشدياق أنطون آخر المطران بولس) ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١</p> <p>أنطون بن سركيس الرزّي الباني ١٣٣ ، ١٤٤</p> <p>أنطون العاقوري ١٣٦</p> <p>أنطون فرنسيس الحصروني ٨٥ ، ١٠٢</p> <p>باخوس الدوبيهي (أطلب أنطانيوس</p>	<p>١</p> <hr/> <p>إبراهيم بن خير الله حجوة الغزيري ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٢</p> <p>إبراهيم جرجس الحلبي (الأب اليسوعي الماروني) ١٢ ، ٢٨ ، ٨١ ، ٨٧</p> <p>إبراهيم الحاقدلاني (الشمامس) ١٠٧ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨</p> <p>إبراهيم الحاقدلاني (الشمامس) ١٣٤ ، ١٤١ ، ١٤٢</p> <p>إبراهيم القبرسي (ابن الخوري جرجس الترجي) ١٤٧ ، ١٣٦</p> <p>إسحاق الشدراوي ١١٢ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٥٣</p> <p>إسطfan بن ميخائيل بن القسّ موسى الدوبيهي (البطريك) ١٣١ ، ١٣٧ ، ١٤٠</p> <p>إسطfan حتنا نكّي ١٥٢</p> <p>إليا القسّ الغزيري (صاحب الزجلة) ١٣٧ ، ١٢٩ ، ١٢٨</p>
<p>ب</p>	<hr/>

الهداياني

برتلماوس بن جرجي القبرسي ١٥٣

طرس ابن القس سليمان بن مبارك
(من بطحا) ١٥٠، ١٥١

طرس بن جرائيل المطوشى اليسوعي
١٢٧-١٢٥، ١٢٠، ١١٩، ٨٦
١٦٨، ١٥٤، ١٣٢

طرس بن سمعان الطرابلسي ١٣٨

طرس بن القس إبراهيم (من بيت أمية)
الهداياني مطران صيدا ١٢٩
١٤٠، ١٤٣

طرس بن مخلوف الغوطةاوي
(مطران قبرص) ١٣٣، ١٣٨
١٤٨، ١٥١، ١٥٣، ١٥٤

طرس التولاني بن عبدالله (من بيت
زيتو) ١٣٦، ١٤٠، ١٤٨، ١٥٠،
١٦٨

طرس الرامي (الشدياق أخو يوسف
الرامي) ١٤٠

طرس غيلاني (الراهب) ١٣٦
طرس الهداياني (الخوري) ١٣٣
١٤٠

بولس التلاوي هو يوسف الرامي ١٤٠
بولس عينيه أو عائده الحدثي ١٣٦
١٤٦

ت

توما ابن الخوري برد الحدثي ١٤٥

توما القدسي ابن موسى الحصروني

١٥٢، ١٥١

ج

جرائيل بن سعيد أو سعد الأدبي
الباني ٣٤، ٨٤، ٨٥، ٩٥، ٩٦،
١٠٢

جرائيل بن الفتى الحدثي ١٤٥

جرائيل بن موسى (من بكركي) ١٣٨

جرائيل الصهيوني ١٠٣، ١٢١،

١٢٤، ١٢٥، ١٢٧، ١٥٤، ١٦٨

جرائيل نعمة الأهدناني أو الهداياني
٨٦، ١٠٣، ١٠٢، ٨٦

جيبر ستين ١٣٦

جرجس بن إبراهيم الغاوي الهداياني
١٥٤

جرجس بن أنطون القبرسي ٨٦

جرجس بن سركيس من بيت عبيد
الهداياني مطران إهden (هو اليسوعي

جرجس بن يامي ١٤٩، ١٤٩

جرجس بن عبدالله الحقلاني
(الخوري) ١٣٣، ١٣٨، ١٣٩،
١٤٣

جرجس بن عفيف (من صيدا) ١٣٨

جرجس بن عناب (الخوري) ١٣١

جرجس بن مناع الحصروني ١٤٩
١٥٠

جرجس بن ميخائيل الأهدناني الشهير
بابن عميرة ٨٦، ١٠٣، ١١٦،
١١٨، ١٣١، ١٣٠، ١٢٦-١٢٣

	رزق الله ابن الخوري ميخائيل الدويهي	١٣٨، ١٥٣، ١٥٥، ١٦٠، ١٦٨	
١٥٤	جرجس التحومي	١٤٦	
	رزق الله الحصروني	١٤٥ (من صياده)	
١٣٣	جرجس عرباني القسيس	١٣٣	
	جرجس الكرمسداني أو الكرماني	١٠٣، ١٢٤	
س	جرجس ليا هو جرجس بن إلبا	١٤٦	
	الحصروني	١٤٦	
٩٨، ١٠٠، ١٠١، ١١٣، ١١٥، ١١٦، ١٢٩، ١٢٩، ١٢٤، ١٢٠، ١٢٠، ١١٦، ١٥٣، ١٦٨	جرجس المعاوشي (القسيس)	١٣٤	
	جرجس منصور الحلبي	٨٧	
سركيس الجمرى (مطران قبرص)	١٣١، ١٥٣، ١٦٨	ح	
	سركيس الشدراوى	١٢٢	
١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٤٠، ١٣٢	الحاقلانى (أطلب إبراهيم)		
	حتا بن جرجس القبرستى	٨٦	
سمعان بن سعادة الفغالى	١٥٤	حتا بن عزّاد (الخوري)	١٥٣، ١٥٤
سمعان بن هارون التولانى (القسيس)	١٣٢	حتا بن عويضا الغزيرى (الخوري)	١٣٣
	حتا بن فرحتا الحدشيتى	١٥٤	
ص	حتا بن نمرؤن الحلبي	١٤٧	
١٤٥	حتا الورانى (الخوري)	١٣٣	
صادق الشتتيرى (القسيس)	١٣٤	د	
١٤٥	داود بن يوسف (من مجلدilion)	١٣٨	
صافي بن بولس القديسى الشتتيرى (الخوري)	١٣٣، ١٣٤، ١٤٣	ديونيسيوس (ابن الشمامس إبراهيم)	
- ١٤٥	الصهيونى (أنطونيوس المترقب)	١٤٧	
١٤٥	الصهيونى (جبرائيل) (أطلب جبرائيل الصهيونى)	الحاقلانى (الخوري)	
ع	رزق الله بن شلق (أطلب نصر الله)	ر	
١٤٢	عبد المسيح الحلبي		

عبدالله بن باسيل البجاني (أسقف طرابلس) ١٤٩، ١٥٠
منصور بن بطرس البانى ١٣٨
منصور شلق العاقورى ١٢٥، ١٦٨
(أطلب نصر الله بن شلق)
موسى (فيليوبس) بن أيوب البشرى اوى ١٤٤، ١٣٤، ١٣٣
موسى الحدشيتى ١٣٦
موسى سعد العاقورى العنسي ٨٦، ٨٨، ١١٦، ١٠٧، ١١٨، ١٢٠، ١٣٠
ميخائيل الأدنتي ١٠٣، ١٢٤
ميخائيل بن داود (من بكركي) ١٣٨
ميخائيل بن داود الكرستانى ١٣٦، ١٣٨

ميخائيل بن سعادة (المطران الحصرونى) ١٢٢، ١٢٦، ١٣١
ميخائيل بن فرات الحصاراتى ١٤٥
ميخائيل بن نعمة الهدناني (من بيت أمية) ١٥١، ١٥٢

ميخائيل الحصرونى المعروف بابن صابون (الخوري) ١٣٣، ١٣٩، ١٤٤

ميخائيل شمعون من حصرون (المطران) ١٥٣، ١٦٨
ميخائيل صليب البسلوقيتى ٨٦، ١٠٣، ١٠٢

ميخائيل الصهيونى المطران ١٥٣
ميخائيل عبيد الأهدنى ١٢١
ميخائيل المطوشى القبرسى (القسن) ١٥٢-١٥٠

عبدالله بن حبقوق الشعلانى ١٤٨
عبدالله بن نمرؤن الحصبوني ١٥٠

ف

فرج بن جرجس عويضا الغزيري ١٥٤
فرج الغوططاوى ١٣٨
فرحات الحصرونى ١٣٣
فرنسيس بن نمرؤن الحلبي ١٤٧
فيليوبس موسى البشرانى ١٤٣، ١٥٤
فيليبي بن نكى ١٥١، ١٥٢

ك

كرييليوس القبرسى ١١٩
كبار الغريب القبرسى ٣٤، ٨٤، ٨٥، ١٢١، ١٠٢، ١٢٢

ل

لوقا القبرسى ١٣٢، ١٥٣
لويس مبارك القبرسى ١١٩

م

مئى البانى ١٣٤
مرقس إسطfan المطوشى ٨٥، ١٠٢، ١١٩
مرهوج بن ميخائيل بن نمرؤن البانى

ن

- نصر الله (أو منصور) بن شلق العاقوري
١٣١، ١٤٧، ١٥٤
نعمه الخوري ١٠٣، ١٠٢
نعمه الشماس ابن يمين الهدنانى
١٤٨، ١٣٦
نيقولا بن ميخائيل بن نمرؤن البانى
١٣٤، ١٣٩، ١٤٢
نيقولا جرجي ٨٧، ٨٩، ١١٩
نيقولا فالستان الحلبي ٨٧

ي

- يعقوب بن إسحاق الشدراوى ١٣٥
يعقوب بن سمعان الحصرونى ٨٥، ١٠٢
يعقوب بن ميخائيل القبرسى ٨٦، ١٣٢
يعقوب جبران اللبناني ١٢٠
يعقوب الحديثى (البطيريك) ١٠
يعقوب الخوري ابن حنا عواد
الحصرونى (الذى صار بطيريكًا) ١٤٨
يعقوب عواد الحصرونى (الخوري)
١٤٥، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٤
يوحنا (بن ميخائيل) بن نمرؤن البانى
١٤٢
يوسف بن جبرائيل العاقوري ١٣٨
يوسف بن حليب (البطيريك) ١٦٠، ١٦١
يوسف ابن الشماس إبراهيم العاقلاني
١٤٨، ١٤٧

يوسف بن مؤنس الغدراسي الفتوحي ١٣٦، ١٤٥، ١٤٦	يوسف بن نعمة الحصروني (المطران) ١٤٥، ١٤٦، ١٥٣
يوسف العتاري (القس) ١٥٣	يوسف العيساوي الباني (الخوري) ١٣٥
يوسف العيتوريني (الأب اليسوعي) هو يوسف ابن الحاج جرجي العتاري ١٣٤، ١٤٢	يوسف التولاني (الخوري) ١٣٣ (هو يوسف الرامي) ١١٩
يوسف فتيان الحصروني ١٣٥، ١٤٠	يوسف حطيطا الغوسطاني ١٣٦ يوسف الرامي الخوري (البرديوط) ١٤٠
يوسف فلiful (القسيس) ١٣٤، ١٣٨، ١٣٩	يوسف شمعون الحصروني (أسقف طرابلس) ١٣٣

فهرس الموضوعات

ب

بطاركة الموارنة تلاميذ رومية ١٥٣
بيروت وكنيسة الموارنة والروم فيها ٤٩

الپیض من الموارنة ٤١ ، ٧٧ ، ٧٨

ت

الشیت عند الموارنة ٢٦ ، ٣١ ، ٦٠

٧٩

التقدیس المثلث عند الموارنة -٢٤

٢٦ ، ٣١ ، ٦٠ ، ١١٣

تلامذة الموارنة في رومية:

إنتخابهم، سکنهم ٣٦ ، ٦٣ ، ٧٩

١١٧ ، ٨٨-٨١

رجوعهم للرسامة والخدمة -١٠٠

١٠٣

إعتنازهم بطبع الكتب الطقسية

١٠٣

تونخ (بنو) في لبنان ٢٢

أ

أرجوزة القس إلیاس الغزیري في
تلاميذ المدرسة المارونية -١٢٨

١٣٧

أساقفة الموارنة تلاميذ مدرسة رومية
١٥٣

الأساقفة والرهبان العصاة على
البطريك ميخائيل الرزى ، ٢٦

٤٦ ، ٤٢ ، ٣٢ ، ٢٧

خضوعهم ٥٨ ، ٥٧

أسر بعض تلامذة الموارنة على يد
قرصان المغرب ، ١٥١ ، ١٥٢

١٥٤

الأسرار وتوزيعها عند الموارنة ٣١

٣٩ ، ٦١ ، ٧٢ ، ١١٠

الأطفال: عمادهم ومناولتهم عند
الموارنة ٦١ ، ٦٠ ، ٣١

ابشاق الروح القدس من الآب
والابن في معتقد الموارنة ٦٠ ،
٧٥ ، ١١٣

ح

حيش (المشايخ) ٢٣، ٢٢، ١٦٦
الحساب الغربي عند الموارنة ٧٧،
١٣١، ١٢٦، ١٢٥

حلب (حلول اليسوعيين فيها
وأعمالهم) ١٥٦-١٦١

حلب وأحوالها سنة ١٥٨١ ٧٩-٨٢

خ

الخازن (المشايخ) ٢٣، ٢٢، ١٦٦

د

الدروز في لبنان ٤١

دمشق (حلول اليسوعيين فيها) ١٦١-١٦٣

دمشق وأحوالها سنة ١٥٨١ ٧٣-٧٦

ر

رهبان الموارنة في القرن السادس
عشر ١١٧، ١١٠، ٣٨، ١٠٩

الروم في حلب ٨٢

الروم في دمشق ٧٤-٧٦

ز

الزواج عند الموارنة ٢٦، ٣١، ٤٠

س

سيفا (بني) في لبنان ٢٢

ش

الشام وفتحها في عهد سليم الأول
٢١، ٢٢

شهاب (بني) في لبنان ٢٢

ص

صيداء (رسالة اليسوعيين فيها) ١٦٣،
١٦٤

ط

طرابلس (رسالة اليسوعيين فيها)
١٦٤-١٦٦

الطلاق عند الموارنة ٣١، ٤٠، ٦٠

٦٢

ع

عستاف (بني) في لبنان ٢٢

عماد الصغار عند الموارنة ٣١، ٣٩

عين طورا ودير اليسوعيين فيها ١٦٦،
١٦٧

ف

الفرنسيسيون ورسالتهم في لبنان

١٠ ، ٩

الفطير والخمير عند الموارنة ٣٩

ق

قبرس وفتحها في عهد الأتراك ٢١
القربان وما ذه وتقديسه وتوزيعه عند
الموارنة ٦١ ، ٦٠ ، ٣٩ ، ٣١ ، ٢٤

قُنُوبين وديرها ٢٣

مجمع قُنُوبين الأول في آب ١٥٨٠ ، ٥٢

مجمع قُنُوبين الثاني سنة ١٥٩٦ ، ١١٣-١١١

القيسيون واليمانيون في لبنان ٤١

ك

الكتوشيون في سوريا ١٥٥

كتب الموارنة الطقسية المشوّهة
بدسائس الهراطقة ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ٧٩
، ٨٠ ، ١٠٣ ، ١٠٥-١٠٣

الكرمليون في سوريا ١٥٥

كسروان (رسالة اليسوعيين فيها)
١٦٦ ، ١٦٧

كنيسة السيدة للروم الملكيين في
بيروت ٤٩

كنيسة مار جرجس للموارنة في بيروت
(مقام الخضر) ٤٩

كهنة الموارنة ٣٨

ل

لبنان وأحواله في أول الفتح التركي
٢٣ ، ٢٢

- وفي عهد الأب دندبني ١٠٩
١١١

م

مجمع قُنُوبين الأول (١٥٨٠) وقوانينه
٦٤-٥٢

المدارس المنشأة في لبنان ٦٣ ، ٧٢
١٢٤ ، ١٢٣

مدرسة دير سيدة حocha ١٢٣
مدرسة راينا ، ١٣١ ، ١٤٧

المدرسة المارونية في رومية:
مبادئها (١٥٧٨-١٥٨٤) ٣٤

٣٦ ، ٨٨-٨٣

إنشاؤها الرسمي ٩٢-٨٨
إنعامات الباباوات عليها ٩١-٨٨

إدارتها في أيدي اليسوعيين ٩١
٩٥

رئيسها الأول الأب يوحنا برونو
٩١ ، ٩٨

مواسم المدرسة وطقوسها
وقوانينها ٩٢-٩٢

رئاسة الأب إيرونيموس فوروفتشي
١٠٠

اهتمام تلامذتها الموارنة بطبع
كتبهم ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤

توزيعهم للأسرار	٣١	١١٦
موارنة قبرس	٢١	١٥٠ ، ١٢٤ ، ١٢٥
موارنة القدس	٧٣ ، ٧٤	١٢٧
موارنة دمشق	٧٣-٧٦	١٥٣
الميرون عند الموارنة	٢٦ ، ٣١ ، ٦٠	٧٢ ، ٦١ ، ٤٠
ن		١٥٠
النواير المارونية المطبوعة في رومية	٦٣	٤٤
ي		مطبعة لورتكا
اليسوعيون ورسالتهم في الشرق	١٢	مطبعة المدرسة الرومانية بالعربية
الأقصى وفي الحبشة	١٢	١٩
براءة يوليوس الثالث إليهم	١٢	المطهر وعقيدته عند الموارنة
مطبعتهم العربية في رومية	١٩	٦٠
حلولهم في سوريا ١٥٥-١٦٨	١٦٨	١١٣
في حلب	١٥٦	معن (بنو) وحكمهم على جنوب لبنان
في دمشق	١٦١	٢٢
في صيدا	١٦٣	الموارنة :
في طرابلس	١٦٤	أحوالهم قبل القرن السادس عشر
في كسروان	١٦٦	١١-٩
اليعاقبة لا سيما في حلب	٨١	حالتهم في السنة (١٥٧٨) ٤٢-٣٧
اليمينيون والقيسيون في لبنان	٤١	البراءات البابوية المرسلة إليهم ٩-١١
		تعريفهم وعددهم ٣٧ ، ٣٨
		منازلهم في لبنان ٢٢ ، ٢٣
		حالتهم المدنية ٤٠
		تدبيرهم الروحي ٣٨
		مخطبوطاتهم الطقسية والدينية ٢٩ ، ٣٠
		أعيادهم السنوية ١١٠

فهرس المحتويات

٥	مقدمة الناشر
٧	تروطنة
٩	الطاقة المارونية قبل القرن السادس عشر
١١	الرهبانية اليسوعية والشرق
١٣	الأب يوحنا إيلانو أول مرسل يسوعي إلى الموارنة
٢٠	سفارة الأب إيلانو الأولى إلى لبنان (١٥٧٩-١٥٧٨)
٢١	نظر في أحوال الشام عند قدوم الأب إيلانو إلى لبنان
٣٣	عوده الأب يوحنا إيلانو إلى رومية وتعيينه لقاصدة ثانية
٣٧	شرح حال الموارنة سنة ١٥٧٨
٤٣	تعيين الأب إيلانو لسفارة ثانية إلى لبنان
٤٧	سفارة الأب يوحنا إيلانو الثانية إلى الموارنة (١٥٨٢-١٥٨٠)
٤٨	من طرابلس إلى قُرُبَين
٥٢	المجمع الملطي في ١٦ آب ١٥٨٠
٥٨	زيارة الأب إيلانو لقرى لبنان
٦٠	وصايا غبطة السيد ميخائيل الرزّي بطريرك الطائفة المارونية الواجب على الجميع قبولها وحفظها

وفاة البطريرك ميخائيل الرّزّي وآثاره	٦٤
إنتخاب البطريرك سركيس الرّزّي	٦٨
الأب إيلانو والبطريرك سركيس الرّزّي	٧١
زيارة الأب إيلانو للقدس ثمًّا إلى دمشق	٧٣
رجوع الأب إيلانو إلى لبنان	٧٦
سفر الأب إيلانو إلى حلب	٧٩
فصل في تاريخ المدرسة المارونية في رومية	٨٣
سفارة الأب إبرونيموس دنديني إلى لبنان (١٥٩٦-١٥٩٧)	١٠٥
الأب دنديني في لبنان	١٠٨
مجمع قُوَّوبين في سنة ١٥٩٦	١١١
وفاة البطريرك سركيس الرّزّي وانتخاب خلفه	١١٣
علاقة الموارنة واليسوعيين في أوائل القرن السابع عشر	١١٨
خدم تلامذة رومية الأوَّلين لطائفتهم وللكرسي الرسولي وللعلم	١٢٢
أثر جليل للبطريرك إسطفانوس الديويهي	
تاريخ المدرسة المارونية في رومية	١٣٧
حلول الرهابيَّة اليسوعيَّة في سوريا	١٥٥
فهرس الأعلام	١٦٩
فهرس الأسماء	١٧٩
فهرس الموضوعات	١٨٥
فهرس المحتويات	١٨٩

تصميم الغلاف

الصف والإخراج : شركة الطبع والنشر اللبنانيّة
(خليل الدبك وأولاده)

الطباعة : مؤسسة دكاش للطباعة

٢٠٠٣/٦/١٥ - ١,٥ - ٩٩٤

Eliano et Jérôme Dandini vers la fin du XVI^e siècle, puis, dans les différentes Missions qu'ils établirent à Alep, à Damas, à Saïda, à Tripoli et dans le Kisrouan, dès la 1^{ère} moitié du XVIII^e siècle. On y trouvera pour la première fois une histoire du fameux Collège Maronite de Rome, confié par Grégoire XIII à notre Compagnie, et d'où sortirent durant près de deux siècles, une pléiade d'hommes distingués, comme les Assemani, les Ecchellensis, les Sionita. Deux documents inédits nous donnent de précieux renseignements sur ce Collège célèbre, l'un en une poésie populaire composée en 1669 par le moine Elie de Ghazir, et gracieusement communiqué par M^{gr} Abdallah Khoury, vicaire patriarchal maronite, et l'autre de la main même du Patriarche Douaïhi, contenant un fragment important de l'Histoire des élèves du Collège Maronite, et provenant de la Bibliothèque de l'Abbé 'Abdallah Mass'ad. Nous y avons ajouté diverses notes complémentaires.

Ce travail est un petit tribut de reconnaissance à la France, dont les Missionnaires faisaient connaître le nom et bénir la mémoire par leur travaux apostoliques et leurs sueurs fécondantes.

Trois Tables terminent l'ouvrage

Beyrouth, 10 Octobre 1923

AU LECTEUR

On sait combien sont rares les Documents relatifs à l'Histoire des Maronites avant les deux siècles derniers. C'est au Patriarche Étienne Douaihi, mort en 1704, qu'est dûe la première ébauche d'une histoire de cette nation. Le mérite de cet écrivain est incontestable; mais confiné dans un coin du Liban, loin de tout centre intellectuel, il ne pouvait utiliser dans ses Annales qu'un nombre restreint de documents. Ceux des bibliothèques d'Europe, et en particulier du Vatican et de ses Archives lui échappaient.

Les Missionnaires des divers Ordres qui l'avaient précédé d'un siècle et demi, ont en grande partie comblé cette lacune. Ils avaient tous beaucoup écrit sur ces pays qu'ils évangélisaient; bon nombre de leurs Mémoires se retrouvent encore dans les bibliothèques de Rome et de Paris. Les Archives de la Compagnie de Jésus sont tout particulièrement riches en ces sortes de documents écrits presque au jour le jour par les anciens Jésuites de Syrie. Les Pères Louis Abougit, Pierre Martin, Antoine Rabbath, songèrent à recueillir ces matériaux et en firent tirer des copies qui forment plusieurs volumes de notre Bibliothèque Orientale. Le regretté Père Antoine Rabbath alla plus loin; il voulut exploiter ces mines précieuses et commença la publication de toutes ces pièces dans leurs langues originales. Six fascicules, dont le dernier terminé par le R. P. François Tournebize, ont déjà vu le jour et forment deux beaux volumes in-4 de près de 1300 pages sous le titre de *Documents pour servir à l'Histoire du Christianisme en Orient*.

Nous nous sommes inspirés de tous ces documents pour donner dans notre Revue arabe *al-Machriq* une esquisse de l'histoire des relations qu'eurent les Pères de la C^{ie} de Jésus avec les Maronites, à commencer par les Ambassades des Pères J.-B.

LA NATION MARONITE ET LA COMPAGNIE DE JÉSUS

Aux XVI^e et XVII^e siècles

**PAR
le P. LOUIS CHEIKHO S. J.**

*Extrait de la Revue Al-Machriq
avec Tables*

Deuxième édition



DAR EL-MACHREQ SARL EDITEURS

مَنشَوَاتْ :
ذَارُ الْمَشْرُوفْ شِمْم

ص. ب. ١١٠٩٤٦
١١٠٧ ٢٠٦٠ رياض الصلح، بيروت
لبنان

الْمَوْزِيْعْ :
الْمَكْتَبَةِ الْشَّرْقِيَّةِ
ص. ب. ٥٥٢٠٦ - بيروت، لبنان